جامعة الزاوية
UNIVERSITY OF ZAWIA

جامعـــــــــــــــة الزاويـــــــــــــــة

إدارة الدراسات العليا والتدريب

كليـــــــــــة الآداب

قسم التاريخ

الأثر العلمي للمدرسة الأندلسية في المغرب الأقصى في عصر المرابطين
(448-540هـ/1056-1145م)

إعداد الطالبة: **ناجية صالح الحسيني**

إشراف الدكتور: **عليّ حامد الطيف**

إشراف: أستاذ مشارك

قدمت الرسالة استكمالا لمتطلبات الإجازة العالية (الماجستير) في علوم التاريخ

بتاريخ 26/ ربيع الأول/1447هـ الموافق 2025/09/18م

﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾

صدق الله العظيم

سورة الإسراء الآية رقم (85)

الإهداء

إلى إمام الذاكرين وقِبلة العارفين ومعلّم المتعلمين.

سيدنا وحبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم

إلى روح أبي الطاهرة الذي أسس فينا معنى القوة والنجاح وإلى أمي أطال الله سبحانهُ وتعالى في عمرها التي كانت دوماً الأم والمعلمة وإلى زوجي الذي كان دعمي الأول في إتمام هذه الرسالة إلى أولادي الأعزاء، الى ابنتي الوحيدة.

وإلى من حبهم يجري في عروقنا وتلهج بذكرهم ألسنتنا...

أهدي هذا العمل

الشكر والتقدير

الشكر لله سبحانه وتعالى أولاً.

ثم الشكر والاحترام لجميع الأساتذة الذين قَدَّموا لي العلم والإرشاد وأخص بالشكر مشرفي

الأستاذ الدكتور / علي حامد الطيف

الذي كان لي دليلاً ونبراساً في رحلة البحث العلمي وعلى كل ما بذله من جهد في سبيل إنجاح هذا العمل.

قائمة المحتويات

الموضـــــوع	الصفحة
الآية القرآنية	أ
الإهداء	ب
الشكر والتقدير	ج
قائمة المحتويات	د
المقدمة	1
التمهيد	
المغرب والأندلس قُبيل واثناء دولة المرابطين	15
تسمية وجغرافية بلاد المغرب والأندلس.	18
قبيلة الملثَّمين (المرابطين): التسمية – الفروع – البعد الحضاري.	20
تأسيس دولة المرابطين.	24
مرحلة التوسع لدولة المرابطين: ضم بلاد المغرب الأقصى ودخول الأندلس.	34
الفصل الأول	
العلاقات الثقافية بين العدوتين ودورها في نشأة مراكز العلم في عهد المرابطين	42
المبحث الأول: العلاقات الثقافية بين المغرب الأقصى والأندلس وبداية تطور الحركة الفكرية	42
المبحث الثاني: مراكز العلم في بلاد المغرب الأقصى وأهمية الرحلة في نمو العلائق الثقافية.	48
المبحث الثالث: إسهامات الرحلات العلمية في تقدم العلوم في المغرب الأقصى والأندلس.	64

الموضـــــوع	الصفحة
المبحث الرابع: انتشار العلوم الدينية.	83
الفصل الثاني	
أثر المدرسة الأندلسية في التكوين العلمي بالمغرب الأقصى	**95**
المبحث الأول:مصادر العلوم عند علماء الأندلس	95
المبحث الثاني: أثرأعلام المدرسة الأندلسية في التكوين (العلمي) للمغاربة (القاضي عياض نموذجاً)	105
المبحث الثالث: التصوف في بلاد المغرب الأقصى في القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلاديوموقف المرابطين منه.	136
الفصل الثالث	
المظاهر الحضارية للمدرسة العلمية الأندلسية في بلاد المغرب الأقصى	176
المبحث الأول:دور مدينة سبتة في التواصل العلمي بين المغرب والأندلس.	142
المبحث الثاني: دور العامة في انتشار العلوم.	147
المبحث الثالث: تأثيرات العلوم الأندلسية في الفن المعماري في بلاد المغرب.	157
المبحث الرابع: أهمية دراسة العلوم الأندلسية في الجانب الحضاري في بلاد المغرب.	168
الخاتمة	177
قائمة المصادر والمراجع	182
الملاحق	197

المقدمـــــــة

ســـجَّلت دولةُ المرابطين في التاريخِ الإســـلامي العديدَ من الأهداف في بلاد المغرب الأقصى والأندلس، وفي مقدمتها إيقافُ الزحفِ المسيحي، ويُعدُّ قادةُ المرابطين نتاجَ رباط السوس وتلاميذَ الفقيه عبد الله بن ياسين، منقذي الإسلام في الأندلس من أيدي النصـــارى لمدة أربعة قرون أخرى. فقد أعزَّ الله ســبحانه وتعالى الدّين في وقتٍ تظافرت فيه قوى الكفر لتقضــي على ما تبقّى من مسـلمين في الأندلس. فتمكّن أمراء دولة المرابطين من إرســاء قواعد دولة مركزية مترامية الأطراف جمعت العدوّتين تحت راية واحدة، ليمتد الحُكم الإســـلامي لبلاد الأندلس مدة ثمانية قرون، أصـــبحت فيها الأخيرة مركزاً للإشعاع الحضاري، وأُخذت عنها العلوم والثقافات المختلفة.

ولم يقتصــر دورهم في تاريخ المغرب الإســلامي على الجهاد ضــد النصــارى الإسبان لنصف قرن فحسب؛ بل شهد عصرهم نهضة علمية وثقافية واسعة، اجتمع فيها العلم والجهاد مع الانتصـــارات في آنٍ واحد. وعلى الرغم من وجود العديد من الدراســات التي كُتبت حول تاريخ المغرب والأندلس، فإنَّ فضــل الأندلس العلمي على بلاد المغرب لم يلقَ حظَّه الكافي من الدراســة، ما حفّز الباحثة على الشــروع في هذا الجانب، وكذلك معرفة أهم التأثيرات التي خلّفها الأندلسيون في بلاد المغرب الأقصــى في جانبيه العلمي والثقافي. ولهذه الأســـباب كان اختياري لموضـــوع **(الأثر العلمي للمدرسة الأندلسية في بلاد المغرب الأقصى في عصر المرابطين) (448–540هـ / 1056–1145م) مجالاً للدراسة والتقصّي.**

إنَّ اختيار الباحثة لفترة المرابطين لتكون التحديد الزمني للدراســـة يعود لكونه عصراً قام بعد تَصَدُّع حالة الاستقرار التي نَعِم بها الأندلس في عهد الخلافة، وسقوط بعض المدن الأندلســية في أيدي النصــارى وظهور عهد **ملوك الطوائف** الذي شــهد أيضــاً صــراعات شــتّى؛ إلا أنه لم يتوقّف على نتاجه للعلم والعلماء، ما زاد في تقدمها العلمي حتى وصــل هذا التقدم إلى بلاد المغرب خاصــة وأوروبا عامة. فبلادُ الأندلس

ورثت نشـــاطاً فكرياً وحضـــارياً بعد عهد أمراء الطوائف في القرن الخامس الهجري الحادي عشـــر الميلادي، كما أن كثيراً من القامات العلمية الأندلســـية المعروفة التي ظهرت في ذلك العصر رافقت عهد المرابطين.

أمّا أهمية الدراســة: فهي إيضــاح للدور الذي أدته دولة المرابطين في تسـيير عملية نشـــر العلم في بلاد المغرب الأقصـــى في فترة تُعدّ من أصـــعب فترات تاريخ المسلمين في الأندلس، فترة الاسترداد المسيحي بقيادة ألفونسو السادس وغيرهم من ملوك النصـــارى، الأمر الذي أدى إلى خســارة المســلمين لمعظم الممالك الإســلامية وتقلّص مســاحتها الجغرافية، والتنقيب عن دور المدرســة الأندلســية في نقل المعرفة وإدخال العلم إلى بلاد المغرب الأقصى.

احتوت الدراســـة على عدد من التســـاؤلات بخصـــوص التأثيرات العلمية والحضـــارية التي خُصّـــت بها تلك المرحلة التاريخية بشـكل عام، وسـتحاول الباحثة الإجابة عنها بما تســـمح به المادة العلمية المتوفرة. حيث كان دخول المرابطين إلى الأندلس دخولاً جهادياً، فكيف تسـنّى لهم الجمع بين الانتصـــارات العسـكرية والتفوّق العلمي والثقافي في آنٍ واحد؟بذلك تكون الإشكالية الرئيسة على النحو التالي:

1- ما هو تأثير المدرسة الأندلسية على تطوير النظام التعليمي في المغرب الأقصـى خلال فترة المرابطين؟ وكيفأسـهمت هذه المدرسة في تشكيل ملامح الفكر والمعرفة في تلك الحقبة؟

2- ما طبيعة العلاقة بين العلماء الأندلســـيين وأمراء المرابطين؟ وهل كانت العلاقة تشجع على انتقال المعرفة؟

3- كيف تم نقل وتبادل المعرفة في الأندلس والمغرب الأقصـى؟ وهل سـاهمت الرحلة العلمية في ذلك؟

4- هل كان لهذا التأثير دور في توحيد أو تشـكيل الهوية الثقافية والعلمية للمنطقة في ظل الدولة المرابطية؟

5- هل كانت هناك مقاومة فكرية من العلماء المغاربة تجاه التأثير الأندلسي؟ وماهي المؤسسات التعليمية التي تأثرت بالمدرسة الأندلسية؟

6- ما الدور الذي أداه العلماء الأندلسيون في تنشيط الحركة العلمية في المغرب الأقصى؟ وهل تبنت الدولة المرابطية توجهات المدرسة الأندلسية في التعليم والدين؟

7- هل زاد حجم التأثير حتى بدأ التقارب بينهما في المستوى الثقافي إلى درجة المساواة في بعض العلوم والتفاوت في بعضها الأخر؟

8- كيف انعكس هذا التأثير على حياة العامة في المغرب الأقصى؟

وتفضي هذهِ التساؤلات إلى معرفة أهمية فترة الدراسة في تاريخ المغرب والأندلس بين التأثير والتأثر، وتهدف أيضًا إلى معرفة الإسهامات العلمية للدولة المرابطية في بلاد المغرب الأقصى والأندلس، والتعرّف على الأثر العلمي للمدرسة الأندلسية في تطوير المناهج التعليمية في المغرب الأقصى الناشئ من الناحية العلمية، وكذلك التعرف على دور العلماء المغاربة والوافدين الأندلسيين وإسهاماتهم العلمية وأثرها في المجتمع المغربي.

إنّ هذهِ الدراسة تسعى للوصول إلى إثبات كل هذه الأهداف من خلال رحلة البحث، التي أرجو أن تضيف جديدًا من المعلومات حول هذا الموضوع. وقد اعتمدتُ في هذه الدراسة على المنهج التاريخي الوصفي القائم على جمع المعلومات من المصادر والمراجع التي تحوي تلك النصوص، وكيفية التعامل معها لتحقيق أكبر قدر من الاستفادة وتقديم الجديد للبحث والخروج من الكتابة التقليدية ما أمكن ذلك.

تقسيمات الدراسة:

تضمّ الدراسةُ مقدمةً وتمهيدًا وثلاثة فصول رئيسة، إضافةً إلى الملاحق، ففي المقدمة جرى بيان أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وصعوباته، وإشكالياته، كما تضمّنت تقديمًا لأهم المصادر والمراجع المعتمدة في البحث.

ثم جاء التمهيد المعنون بـــــ **"المغرب والأندلس قبيل قيام دولة المرابطين وأثناءها"**، وفيه بيان لتسمية وجغرافية بلاد المغرب والأندلس، ودراسة لقبيلة الملثَّمين من حيث التسمية والفروع، إضافة إلى استعراض البعد الحضاري والتاريخي للمغرب والأندلس قبيل قيام دولة المرابطين وأثناءها، وكذلك تناول حياة العامة وكيفية توحيد المغرب والأندلس

أما الفصول فقد اقتضت طبيعة البحث وظروف المادة العلمية أن يقسم الفصل الأول والثالث الى أربعة مباحث والفصـــل الثاني الى ثلاثة مباحث، هي على النحو الآتي:

الفصل الأول :وعنونتُه بـــ "العلاقات الثقافية بين العدوتين ودورها في نشأة مراكز العلم" في عصـــر المرابطين ويتناول المبحث الأول: العلاقات الثقافية بين المغرب الأقصى والأندلس وبداية تطور الحركة الفكرية.

المبحث الثاني: مراكز العلم في بلاد المغرب الأقصـــى وأهمية الرحلة في نمو العلائق الثقافية.

المبحث الثالث: إســـهامات الرحلات العلمية في تقدم العلوم في المغرب الأقصـــى والأندلس.

والمبحث الرابع: انتشار العلوم الدينية.

الفصل الثاني :أثر المدرسة الأندلسية في التكوين العلمي بالمغرب الأقصى ويتناول:

المبحث الأول :مصادر العلوم عند علماء الأندلس.

المبحث الثاني :أثر أعلام المدرسة الأندلسية في التكوين العلمي للمغاربة (القاضي عياض نموذجًا)

المبحث الثالث :التصوّف في بلاد المغرب الأقصى وموقف دولة المرابطين منه.

أما الفصل الثالث، فقد خُصِّص لدراسة **المظاهر الحضارية للمدرسة الأندلسية في بلاد المغرب الأقصى،** ويتضمن:

المبحث الأول :دور مدينة سبتة في التواصل العلمي بين المغرب والأندلس.

المبحث الثاني :دور العامة في انتشار العلوم.

المبحث الثالث :تأثيرات العلوم الأندلسية في الفن المعماري ببلاد المغرب.

المبحث الرابع :دراسة أهمية العلوم الأندلسية في الجانب الحضاري لبلاد المغرب الأقصى.

وتجدر الإشارة الى ان الرسالة احتوت على عدة أسماء للعلماء تخص فترة الدراسة وقد ترجمت للبعض منهم دون الآخر، وذلك لكثرة عددهم، ولعدم الإطالة والخروج عن الهدف.

كما واجهتِ الدراسة عددًا من الصعوبات؛ فعلى الرغم من قوة فرضية التأثير الأندلسي في المغرب الأقصى في شتى جوانبه الحضارية، فإنها لم تحظَ بدراسات مستفيضة تُبرز مدى إسهامات المدرسة الأندلسية في مختلف أوجه الحياة، ولا سيما الثقافية والفنية منها ، وذلك لوجود بعض الصعوبات أهمها: وجود بعض الأحداث والشخصيات قد لا تكون موثقة توثيقاً دقيقاً مما يصعب الوصف التاريخي للأثر بشكل واضح،كما كان لتشابك التأثيرات الثقافية والعلمية أمراً يصعب فيه عزل تأثير المدرسة الاندلسية وحدها عن غيرها ،مثل التأثيرات المشرقية أو المحلية الأمازيغية مما يجعل عملية التقييم غير دقيقة ،وأيضاً فترة المرابطين نفسها تمتد لعقود وتنوعت فيها

الظروف السياسية والاجتماعية مما قد يجعل من الصعب تعميم بعض النتائج على كامل الفترة.

نقد المصادر:

تعتمد الدراسة في مراحلها على المصادر المتقدمة التي تخاطب الموضوع بشكل مباشر، غير أن مادتها العلمية تتوزع بين مكتبات عدة يصعب الإحاطة بها بطريقة مباشرة، وأيضاً وجود دراسات سابقة حول الموضوع الا انها تتبع أسلوب الاختصار في عمومها ،وتَوجه الكُتَّاب المعاصرين في أبحاثهم الى دراسة التاريخ السياسي ،وعدم الاهتمام بالجوانب الحضارية والعلمية لبلاد المغرب الأقصى وإسهامات المدرسة الأندلسية في ذلك ،وإن مصادر هذه الدراسة منها العربية المتخصصة في التاريخ والجغرافيا والتراجم والأدب والشعر وبعضها معاصر للأحداث وكان أكثر الاعتماد عليها؛ لأنها أقرب إلى الحقيقة التي تجعل للدراسة قيمة علمية وكذلك المراجع الحديثة التي تحوي معلومات متجددة تتعلق بالمغرب والأندلس، فمنها ما أُلِّف باللغة العربية ومنها ما ترجم بعد ذلك وهي ذات قيمة علمية، اما بالنسبة الى فترة المرابطين يكتنفها كثيرٌ من الغموض ،ولا يعود ذلك الى شح المصادر التي تعالج الموضوع ،بل إغفال بعض المؤرخين لفضل المرابطين العلمي على بلاد المغرب الأقصى ،واتهامهم بأنهم قبائل حرب لا علاقة لهم بالعلم ،وإنهم لا فضل لهم في دخول العلم الى بلاد المغرب بمعنى عدم اهتمامهم بالمجالات العلمية والثقافية، ومن تلك المصادر ما يلي:

1. **ابن بلقين** :الأمير عبد الله الزيري، مذكرات الأمير عبد الله بن بلقين الذي حكم غرناطة بين سنتي (469– 483هـ/1076–1090م) المسماة بكتاب التبيان، تحقيق أ.ليفي بروفنسال من بين أهم الكتابات التي وفرت مادة تاريخية عن فترة مهمة من تاريخ بلاد الأندلس وهي فترة حكم ملوك الطوائف، ذلك أنها صدرت عن شخصية كان لها دور فاعل في هذهِ الأحداث وهو أمير مملكة بني زيري بغرناطة،

ولأنه شـــاهد عيان ومؤثر في وقائع وأحداث تلك الحقبة، فأن كتابه يعد مصـــدراً تاريخياً مهماً للأحداث الســياســية في غرناطة قبيل الســقوط ،غير أنهُ يعاني من قصــور في توثيق الحياة العلمية وتجاهل كبير لدور المرابطين في نشــر المذهب المالكي ،وبناء المؤسسات العلمية في بلاد المغرب ،كما أغفل فضل الأندلس في ترسـيخ النهضــة العلمية في المغرب الإســلامي الأمر الذي يوجب عدم الاعتماد عليه وحده في دراسة التأثير العلمي للأندلس والمرابطين.

2. **ابن عـذارى المراكشـــي:** هو أبو العبـاس أحمـد بن محمـد (تُوفِّي ســـنــة 712هـ/1312م)، صـــاحب كتاب "البيان المُغْرِب في أخبار الأندلس والمغرب"، تـحـقـيـق: ح. س. كـولان ولـيـفـي بـروفـنســـال، بـيـروت، د.ت. ويُعدّ ابن عذارى المراكشـي من أهم المصـادر الإخبارية التي لا يُستغنى عنها في دراســة تاريخ شـمال أفريقيا والأندلس خلال العصــر الوسـيط. وقد وقعت بالكتاب بعض الخُروم التي تسـببت في ضـياع أخبار مهمة من تاريخ المرابطين، غير أنّه قدّم معطياتٍ قيّمة حول مرحلة دقيقة من مراحل تطوّر الدولة المرابطية، كما تضـــمّن أخبارًا كثيرة وروايات نادرة ومهمة عن أوضـــاع المغرب والأندلس ،وقد اكتسب أهميته في هذه الدراسة خصوصًا في الجزء الثالث منه، الذي خصصه ابن عـذارى لأخبـار الـدولـة المرابطيـة بـالمغرب والأنـدلس إلى غـايـة ســـنـة (667هـ/1268م)، ويُعدّ ابن عذارى من أكثر مؤرخي المغرب الإســـلامي دقةً ونزاهةً وموضوعية، إلا أنهُ يضل البيان المُغرب مصدراً تأسيسياً لا مصدراً تفصيلياً لدراسة الحركة العلمية ومؤسساتها.

3. **ابن أبي زرع الفاسـي:** هو أبو الحسـن علي بن محمد بن أحمد بن عمر الفاسـي (ت 726هـ/1328م)، صـــاحب كتاب(الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس) تحقيق/عبدالوهاب بن منصـور، الرباط : دار المنصور للطباعة والوراقة الطبعة الثانية ،1972م، والكتاب ينقسم الى قسمان

رئيسيان ،القسم الأول تاريخ دول المغرب ، قدّم أخبار المغرب الأقصى كاملًا منذ سنة(145هـ) إلى سنة (726هـ)، مبتدئًا بدولة الأدارسة وزناتة، مرورًا بدولتي المرابطين والموحّدين، وصولًا إلى دولة بني مرين، وهذا القسم يغلب عليه الطابع السياسي الإخباري، والقسم الثاني :تاريخ مدينة فاس وهذا القسم يغلب عليه الطابع العمراني والحضاري، وقد استفادت الدراسة من هذا الكتاب لما أورده عن أصل المرابطين ونشأتهم ودعوة ابن ياسين، وجهود الأمراء المرابطين الأوائل في السيطرة على المغرب الأقصى، ثم عبورهم إلى الأندلس وانتصارهم في الزلاقة، إلى جانب الإشارة إلى أهم أحداث عصر علي بن يوسف في المغرب والأندلس، وبذلك يعد كتاب ابن أبي زرع (الأنيس المطرب)مصدراً في تتبع التاريخ السياسي والعمراني للمغرب الأقصى ،غير أن الفائدة منهُ في دراسة الأثر العلمي للأندلس ودور المرابطين في نشر العلم تظل محدودة ،بسبب غلبة الطابع الإخباري السياسي ،وضعف العناية بالحياة العلمية والمؤسسات التعليمية ،وقلة التحليل الحضاري ،وذلك لا يصح الاعتماد عليه منفرداً في هذا المجال ،بل يجب موازنته بكتب التراجم والطبقات والمصادر العلمية المتخصصة.

4. **ابن الخطيب:** لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد (ت776هـ/1374م)، كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق/عبد الله عنان، المنشور بالقاهرة، سنة 1977م.ويعد من أبرز وآخر كُتَّاب الأندلس في العصر الوسيط، وذلك لتعدد كتاباته، ولعل مناصبه الوزارية التي تولاَّها قد أتاحت له الفرصة للاطلاع على الوثائق والمراسلات الرسمية، وله مؤلفات مهمه تخدم موضوع البحث منها:

أ- **كتاب الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام.** وقد استفادت الباحثة من قسميهِ الثاني والثالث، إذ يتحدث الثاني عن تاريخ الأندلس منذ الفتح الإسلامي

حتى عصر السلطان محمد بن يوسف بن إسماعيل، وأما قسمه الثالث فَخُصِّصَ لتاريخ المغرب منذ قيام دولة الأغالبة حتى قيام دولة الموحِّدين.

ب- **كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة**، يعد كتاب الإحاطة لابن الخطيب من أهم مصادر التاريخ الأندلسي، لما يزخر به من مادة علمية وحضارية واسعة، غير أن تأثير المؤلف بموقعه السياسي، وغلبة الأسلوب الأدبي، يظل مصدراً أساسياً لدراسة الحياة العلمية بغرناطة، لا مصدراً عاماً لتاريخ الأندلس كله.

5. كتاب العِبَر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر لأبي زيد عبد الرحمن بن خلدون(808هـ/1405م)، وينقسم الكتاب إلى سبعة أجزاء بحسب موضوعاته وطبيعة مادته، وقد خُصِّص الجزء الأول لمقدمته الشهيرة التي زوّدَتنا بمادة تاريخية مهمّة تتعلق بتعريف أهم المناصب الإدارية العليا التي ظهرت ببلاد المغرب، وما انتقل منها من الأندلسيين، إضافة إلى أبرز التغييرات التي أحدثوها في تلك المناصب، ولتأثره أحياناً بالواقع السياسي ،فقد أفادت بقية الأجزاء الدراسة بحصرٍ مهمّ لأكبر قبائل البربر ومناطق استقرارهم، كما قدّم معلومات قيّمة عن دور قبائل المغرب في الدفاع عن بلاد الأندلس إلى جانب المرابطين.

6. **كتاب نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب**: لأبي العباس أحمد المقّري التلمساني (1041هـ/1632م). وقد تضمّن الكتاب تاريخ وجغرافية الأندلس وسكانها منذ فتحها على يد طارق بن زياد سنة(92هـ/711م)، إلى آخر أيام بني نصر بغرناطة سنة (897هـ/1491م). كما يحوي مادة علمية غزيرة عن العلماء الأندلسيين الذين انتقلوا إلى مدن المغرب الأقصى واستقروا بها.

7. **الاستقصا في أخبار دول المغرب الأقصى لأبي العباس أحمد بن خالد الناصري السلاوي (1315هـ / 1897م)**، وقد توسّع فيه في عرض تاريخ المرابطين، فكان

من المصـــــادر التاريخية المهمة التي أفادتنا عند الحديث عن أمراء المرابطين ودورهم في صدّ الخطر النصراني عن بلاد الأندلس.

8. **الحلل الموشية** في ذكر الأخبار المراكشية: وهو لمؤلف مجهول ومصدر لهُ دور مهم في توثيق بعض أخبار المغرب خاصة مراكش وفي هذا الكتاب كل ما يخص الدولة المرابطية سياسياً منذ قيامها حتى السقوط.

بالإضافة الى هذه المصادر فهناك الكثير من الكتب التي انتفعت بها الدراسة نذكر منها

اولاً/ كتب التراجم:

تقدّم كتبُ التراجم الصـــورةَ الحقيقية للحياة العلمية في شـــتى ميادينها؛ ففيها يُذكَر نَسَبُ العالِم، وشيوخه، وتلاميذه، ومؤلفاته. وسنذكر بعض هذه الكتب، ونخصّ بالذكر المغربية منها

1 – **كتاب جذوة المقتبس للحميدي:** وهو لأبي عبد الله محمد بن الفتوح بن عبد الله الأزدي (ت 488هـ/1095م)، وهو محدّث ألّف كتابه هذا سنة (464هـ/1071م)، وقد حصر فيه رواة الحديث بالأندلس، وأهل الفقه والأدب وذوي النباهة والشعر.

2 – **ترتيب المدارك وتقريب المســالك لمعرفة أعلام مذهب مالك،** للقاضـــي عياض: وهو لأبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي السبتي (ت 544هـ/1149م). تحدّث فيه عن انتشار مذهب مالك في العالم الإسلامي، وذكر تراجم تلامذته، ويُعدّ من أهم كتب الحضارة والمصادر الرئيسة للحياة العلمية.

3 – **فهرســت شــيوخ القاضــي عياض:** وهو من أهم المصـــادر التي اعتمدت عليها الدراســـة؛ إذ تحدّث فيه عن العلاقات العلمية بين المغرب والأندلس، وعن شـــيوخه

ورحلاتهم العلمية، وذكر الإجازات العلمية التي مُنحت في ذلك الوقت، وتناول الكتب والمؤلفات المتبادلة بين العلماء.

4 – **كتاب الصلة لابن بشكوال:** لأبي القاسم خلف عبد الملك الأنصاري القرطبي (ت 578هـ/1182م). وهو تكملة لكتاب ابن الفرضي المعروف بـــ تاريخ علماء الأندلس. وقد قيد فيه ابنُ بشـــكوال كثيرًا من أخبار العلماء وآثارهم وسِـــيَرهم وبلدانهم وأنســـابهم ومواليـدهم ووفيـاتهم، ومن أخـذوا عنهم ومن روى عنهم، ورتّبـه على حروف المعجم على طريقة ابن الفرضي.

5 – **كتاب التكملة لكتاب الصـــــلة لابن الأبار:** وهو للإمام ابن الأبار القضـــــاعي البلنســـــي، أبي عبد الله محمد بن عبد الله (ت 658هـ/1260م). أكمل به كتاب ابن بشكوال، وللمؤلف أيضًـا المعجم في أصـحاب القاضـي الإمام أبي علي الصـدفي، وقد قلّد فيه القاضـي عياض في جمع شيوخه. وله كذلك الحلة السيراء، وفيه مجموعة من التراجم لكبار الأمراء والعلماء في الأندلس والشـــمال الإفريقي، ويُعدّ من الكتب المهمّة في تاريخ الأندلس والمغرب.

ثانياً/ كتب الأدب ودواوين الشعر

1. **قلائد العقيان ومحاسن الأعيان :**لأبي نصر الفتح بن محمد بن عبد الله بن خاقان (ت 528هـ/1134م). وقد استفادت منه الباحثة في تراجم الأدباء في عصر ملوك الطوائف الذين انتقلوا إلى دولة المرابطين.
2. **كتاب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة:** لأبي الحسن علي بن بسّام الشنتريني (ت 542هـ/1147م). ترجم فيه ابن بسّام لعدد من أدباء وشعراء الطوائف والمرابطين، وهو معاصر لتلك الأحداث، لذا عُدَّ من المصادر الأدبية الدقيقة لعصر المرابطين.
3. **المُغْرِب في حُلى المغرب:** لابن ســـعيـد علي بن موســـى المغربي (ت 685هـ/1286م)، يضـــم الكتاب معلومات قيّمة عن الحالة الأدبية والعلمية في

الأندلس بجميع مدنها، وما فيها من آثار فنية ومناقب أدبية، ممتدة من القرن الرابع إلى منتصف القرن السابع الهجري.

4. **ديوان ابن خفاجة:** لأبي إسحاق إبراهيم بن خفاجة الأندلسي (ت 533هـ/1138م)، وهو شاعر عصره من مدينة شُقَر. وقد مدح الأمير أبا إسحاق إبراهيم بن يوسف بن تاشفين، وألقت قصائده الضوء على كثير من مظاهر الحياة الأدبية في زمنه.
5. **ديوان الأعمى التطيلي:** لأبي جعفر أحمد بن عبد الله بن هريرة. عكست أشعاره البيئة التي نشأ فيها وهي مدينة إشبيلية، وهي بيئة علمية وأدبية، وصوّر في شعره جمال المدينة. كما تضمنت قصائده وصف المعارك التي دارت بين المرابطين والنصارى.

ثالثاً/ المصنفات الجغرافية

عدَّ الجغرافيون القدامى علم التاريخ والجغرافيا علمين متلازمين لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر، فكلاهما يكمل الثاني في إيصال الحدث إلى القارئ والباحث بصورة واضحة، ومن أهم هذه الكتب:

1. **جغرافية الأندلس وأوروبا: من كتاب المسالك والممالك:** لأبي عبيد الله البكري (ت478هـ/1094م). استقى البكري معلوماته الجغرافية من رحلاته والمشاهدة وما رواه له شيوخه، وما ذكره عن الأندلس كان بالغ الأهمية في هذه الدراسة.
2. **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق:** للشريف الإدريسي (ت 560هـ/1164م). ويُعد من أهم المصادر الجغرافية لدراسة الجوانب الحضارية للمغرب والأندلس في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، وقد أفادني في دراسة الآثار المعمارية التي أُقيمت في المغرب والأندلس في عصر المرابطين.

رابعاً: الكتب الحديثة: وهي كثيرة ومتنوعة في مادتها وأهميتها، وأبرزها:

1- قيام دولة المرابطين صـفحة مشـرفة من تاريخ المغرب في العصـور الوسـطى: للدكتور حسن أحمد محمود.

2- الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين: لعصمت دندش.

3- الحضـارة الإسـلامية في المغرب والأندلس في عصـر المرابطين والموحِّدين لحسن علي حسن.

خامساً/الكتب المترجمة:

1-تاريخ الفكر الأندلسي: لأنجل جنثالث بالنثيا، ترجمهُ: حسين مؤنس.

2-**شـمس العرب تسـطع على الغرب:** هونكه زيغريد، ترجمة: فاروق بيضـون وكمال دسوقي.

3-**الإسـلام في المغرب والأندلس:** ليفي بروفنسـال، ترجمة السـيد عبد العزيز سـالم ومحمد صلاح.

سادسًا / دراسات سابقة:

وفي السياق ذاته أودّ أن أشير إلى أن هناك بعض الدراسات السابقة القريبة للموضوع حول دور الأندلس في بلاد المغرب في عهد المرابطين، نذكر منها:

1-**إبراهيم القادري بوتشيش:** الحياة الاجتماعية في المغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، رسالة دكتوراه، جامعة مولاي إسماعيل، كلية الآداب، مكناس، 1991م. وقد كان موضع استفادة في البحث، لا سيما انعكاسات الحياة العلمية في عصر المرابطين.

2-**حسن علي حسن:** الحياة الإدارية والاقتصادية والاجتماعية في المغرب خلال القرنين الخامس والسادس الهجري، رسالة دكتوراه، القاهرة: جامعة القاهرة، 1973م.

وبعد، فقد كان هذا عرضًا موجزًا لأهم المصادر والمراجع التاريخية الأولية التي قامت عليها الدراسة، إضافة إلى البحوث والدراسات السابقة. وتجدر الإشارة إلى أن

بعض المصادر كثرت العودة إليها لانفرادها أو لتخصصها في جانب تاريخي معيّن، مع أهميتها في كشف كثيرٍ من حقائق وقضايا موضوع البحث. وقد مثّلت هذه الرسالة جهدًا متواضعًا أراه أوفى بجانب مهم في موضوع الأثر العلمي الأندلسي في العدوة المغربية، آملًا أن يكون تنبيهًا للباحثين إلى أهمية دراسة فضل الأندلس في التكوين العلمي للمغاربة؛ لأنه يخلص إلى نتائج مثمرة ومفيدة.

التمهيد

المغرب والأندلس قبيل قيام دولة المرابطين وأثناءها

المبحث الأول: تسمية وجغرافية بلاد المغرب والأندلس.

المبحث الثاني: قبيلة الملثمين (المرابطين) التسمية –الفروع-البعد الحضاري.

المبحث الثالث: تأسيس دولة المرابطين.

المبحث الرابع: مرحلة التوسع لدولة المرابطين.

1-ضم بلاد المغرب الأقصى.

2- دخول الأندلس.

أولا-تسمية وجغرافية بلاد المغرب الأقصى والأندلس.

يقع المغرب الأقصـى في الركن الشمالي الغربي من القارّة الإفريقية، يحدّه شرقًا وادي ملوية وجبال تازا، والمحيط الأطلسـي غربًا، وشـمالًا بحر الروم، وجنوبًا (جبال درن)[1]،ومنطقة الصحراء الكبرى[2].

وسُـمّي المغرب الأقصـى ؛ لأنّه أبعد أقطار المغرب الثلاثة عن دار الخلافة. ويعرف اليوم بالمملكة المغربية، ويشمل المغرب الأقصى عدداً من المدن المهمة يأتي على رأسها مدينة فاس[3]،والتي كانت مدينة حضارية ومحطة جذب للعلماء الأندلسيين، منهم من كان مقرئًا ومنهم من كان محدثًا، ومنهم الفقهاء وعلماء اللغة، ومنهم الأطباء والعُشـاب، ومنهم من كان في السياسة وغير ذلك، ولذلك اكتسبت المدينة الطابع الأندلسي في عاداتها وحضارتها، وهذا يدل على اتساع الخريطة العلمية في بلاد المغرب الأقصى في فترة البحث.سبتة[4]،ومراكش[5]،وسجلماسه[6]،ويتبع كل مدينة من هذهِ المدن عدد من المدن الصغرى.

ويعتبر المغرب الأقصـى امتداد لإقليمي المغرب الأدنى والأوسـط، إذ يمثّل النهاية القُصـوى لهذه الوحدة الجغرافية المسـمّاة بالمغرب، حيث يطلّ على البحر

---

(1) يطلق على سلسلة جبلية تقع في جنوب المغرب الأقصى ،وتمتد في نواحي سوس درعه وعرفت هذه المنطقة بوعورتها وكثرة قبائلها البربرية ،وكان لها دور بارز في نشأة الدولة المرابطية واحتضان الرباطات والحركة العلمية ينظر :بن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي (ت808هـ/1405م)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الفكر، بيروت، 1999، ج6 ، ص 189، وينظر أيضًا: أبي العباس أحمد بن محمد علي القلقشندي (821هـ/1418م): صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، المطبعة الأميرية: القاهرة، 1915م، ج5، ص. 102

(2)علي الصلابي: الجوهر الثمين بمعرفة دولة المرابطين، دار النشر والتوزيع الإسلامية: القاهرة،2003م، ج1، ص12-13.

(3) فاس: مدينة عظيمة وهي قاعدة المغرب، وتشمل مدينتين عظيمتين متقابلتين يفصلهما نهر كبير يسمى وادي فاس. تأسست كل واحدة على ضفتي النهر بصورة منفصلة: فالمدينة الشرقية أسسها إدريس الأول سنة 172هـ/789م، والثانية أسسها إدريس الثاني سنة 194هـ/809م. لاحقًا اتحدت الضفتان تحت حكم الدولة المرابطية خلال القرن الخامس الهجري /الحادي عشر ميلادي، ينظر عبد المنعم الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، تح. إحسان عباس، مكتبة لبنان، 1975م، ص. 434. وينظر: ابن أبي زرع: أبو الحسن علي بن عبدالله الفاسي (ت726هـ/1326م)، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، ص. 54. وينظر : محمد عادل عبد العزيز: الجذور الأندلسية في الثقافة المغربية، دار غريب للطباعة والتوزيع والنشر، ص. 105.

(4) سبتة: وهي من مدن المغرب الأقصى، عبارة عن شبه جزيرة تقع على البحر المتوسط وتحيط بها الجبال من الجنوب. وقربها الشديد من الأندلس جعلها شديدة الارتباط بأحداثها، ينظر ابن عبيد الله بن عبد العزيز البكري (487هـ/1094م): المسالك والممالك، تح/ أدريان فان ليُوفن وأندري فيري، دار الغرب الإسلامي، 1992م، ج2، ص103.

(5)مراكش: مدينة عظيمة في المغرب الأقصى، بناها يوسف بن تاشفين سنة 462هـ/1070م، واستمرت عاصمة للمرابطين، وتميزت بالتجارة وكثرة الفواكه. الزهري: أبو عبد الله محمد بن أبي بوبكر (ت قبل 556هـ/1160م)، كتاب الجغرافيا، تح/ محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت، ص. 115-116.

(6)سجلماسه: تقع في جنوب المغرب الأقصى، وقد بُنيت سنة 140 هـ/757م، لتصبح عاصمة بني مدرار، ومركزاً حضارياً وفلاحياً وتجارياً مهماً، وهي مدينة سهلية كثيرة النخيل والأعشاب وجميع الفواكه، وتسمى الآن تافيلالت. ينظر: لسان الدين بن الخطيب، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت 776 هـ/1374م)، معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، تح/ محمد كمال شبانة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002م، ص180.

المحيط، ولا يفصله عن الأندلس سوى بعض الكيلومترات[1]، وكان لهذا التقارب أثر كبير في الاتصال المباشر بين المغرب الأقصى والأندلس، وما صحب ذلك من تأثير وتأثر واضح بين العدوّتين في شتّى مناحي الحياة. كما كان هناك اتصال بين المغرب الأقصى ومنطقة الصحراء بجنوبه، وهو الطريق الذي تدفّق منه الملثّمون من الصحراء إلى المغرب ليغيّروا من الأوضاع القائمة ويؤسّسوا دولة المرابطين فيه.

أمّا من الناحية السياسية، فقد كانت بلاد المغرب تعيش حالة من الضعف الشديد، تتقاسمها أربع قوى :قبائل غمارة في الشمال، وقبائل برغواطة في الغرب، وقبائل زناتة التي كانت تُشكّل نطاقاً حول هذه القبائل، ثم طوائف الشيعة الرافضة والوثنيين في الجنوب.

عاش المغرب حالة من الفوضى السياسية بعد الفراغ الذي تركته دولة الأدارسة، وانتشر في ربوعه الجور والظلم، كما تفشّت مظاهر الشعوذة والانحراف الديني[2].

لم تستطع الدول الإسلامية المتعاقبة القضاء على تلك الانحرافات، غير أن زمن المرابطين شهد نهاية ذلك الوضع. فقد أصبحت العوامل الدينية، والفراغ السياسي، والظلم، جميعها أسبابًا لانطلاقة المرابطين نحو بلاد المغرب. وكان هذا التفكك الذي عاشه المغرب الأقصى قبل مجيء المرابطين طبيعيًّا، مما أدى إلى ظهور مظاهر الضعف السياسي، وهو ما انعكس بدوره على مختلف مناحي الحياة الأخرى، لا سيما الاجتماعية والاقتصادية والفكرية.

على الرغم من أن الأندلس تنتمي إلى القارة الأوروبية، والمغرب الأقصى إلى القارة الإفريقية، فإن الجغرافيين السابقين كانوا يعتبرونهما كتلة واحدة مكونة من

---

(1)حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، دار النهضة للنشر، بيروت، 1957م، ص17.

(2)أحمد مختار العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، 1977م، ص276 وينظر: رجب محمد عبد الحليم، دولة بني صالح في تامسنا بالمغرب الأقصى (125-455هـ/743-1063م)، دار الثقافة للنشر والتوزيع، د.ت، ص98.

عدوتين. فنجدهم عند الحديث عن المغرب يذكرون معه الأندلس، ويُعزى ذلك إلى أن التسـمية كانت عامة في بادئ الأمر، بمعنى أنها كانت تشـير إلى كل الأقاليم الغربية من الدولة الإسلامية[1]، يقول المقدسي: "وقد جعلنا المغرب مع الأندلس"[2]، وذلك ما نجده من تشابه كبير في المناخ بين المغرب الأقصى والأندلس، إذ يتأثر كلاهما كثيرًا بمؤثرات البحر الأبيض المتوسط، حيث تهطل الأمطار في فصل الشتاء وتتميز الأجواء بالدفء، بينما يشهد فصل الصيف الجفاف وارتفاع درجات الحرارة.

كما أُطلِق لفظ الأندلس على القطر الواقع شمال بلاد المغرب، فمن الجنوب يحدُّها البحر الرومي (البحر الأبيض المتوسط)، ومن الغرب بحر الظلمات (المحيط الأطلسي)، ومن الشمال بحر الأنقليس، ولذلك سُمّيت بالجزيرة[3]وقد ذكرها الإدريسي وقال عنها: "إنها موقع قريب من بلاد المغرب، وهي في ذاتها تشكّل مثلثًا يحيط به البحر من جهاته الثلاث، ومقسومة في وسطها بالطول بجبل يُسمى (الشارّات)"[4]، ويعد هذا الجبل أحد السلاسل الجبلية الرئيسة في إسبانيا.

ومن جهة التضاريس والملامح الجغرافية فإننا نجد الأندلس شبيهاً بتضاريس بلاد المغرب، إذ يتخلّل الأندلس جبال "البرتات [5] التي تشبه في تكوينها جبال أطلس في المغرب الأقصى.

---

(1)أحمد المختار العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ص21.

(2)المقدسي: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي (ت380هـ/990م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط3، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1991م، ص216.

(3) مريم بوعامر: الهجرة الأندلسية إلى المغرب الأدنى ودورها في الازدهار الحضاري ما بين (7 –9 هـ / 13 –15م)، رسالة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، العلوم الإسلامية والعلوم الاجتماعية قسم التاريخ والآثار، تلمسان، 1930هـ–1431هـ / 2009م–2010م، ص 02.

(4) محمد بن محمد الإدريسي (560هـ): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت، 1989م، ج2، ص535–536.

(5) جبل البرتات: هي سلسة جبلية تقع جنوب غرب أوروبا وهي حد فاصل طبيعي بين فرنسا واسبانيا، تمتد من المحيط الأطلسي غرباً الى البحر المتوسط شرقا وبطول حوالي 500 كم، وتتخلل هذه الجبال ممرات ومضايق تصل بين البلدين، وتضاريس بلاد الأندلس تشبه بلاد المغرب الى حد كبير، العبادي: أحمد مختار، في تاريخ المغرب والأندلس، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية،2005م، ص23.

ذكرها الإدريســـي: [2] "كانت الاندلس والمغرب كأنهما قطرُ واحد تتشـــابه أحوالهما، وتتقارب دولهما، لشدة الاتصال بينهما وقرب المسافة، وركوب البحر بينهما يسير "ووصف البلاد بحسن الهواء وطيب الإقامة.

فالمناخ الجغرافي المعتدل في بلاد المغرب والأندلس خلال عصــر المرابطين أثر بالغٌ في اسـتقرار العلماء وبقائهم فترات طويلة كما أشـار ابن عذاري[3] الى إقامة العلماء الســنين الطويلة في ظل العمران والاســتقرار وأكد ابن أبي زرع كثرة العلماء واطمئنانهم في الحواضر المرابطية.

لقد شـكلت العلاقة بين الأندلس والمغرب الأقصــى خلال عصــر المرابطين نموذجاً فريداً للتواصل بين دولتين متقابلتين جغرافيا حيث لم تقتصر هذه العلاقة على الوحدة الطبيعية والموقع الجغرافي فحسب بل امتدت لتشمل الدين والعقيدة واللغة مما عزز الروابط السـياسـية والثقافية وسـاهم في اسـتقرار العلماء وطول اقامتهم في كلا العدوتين[4].

فقد ساعدت كل هذه العوامل على متانة العلاقات وجعلتها تتميز بخصوصية تختلف عن غيرها من البلاد. فقد أتاح هذا التقارب لقادة المرابطين مهمة الجمع بين المجالين المغربي والأندلسي

ثانياً–قبيلة الملثَّمين "المرابطين"– التسمية– الفروع –البعد الحضاري:

سـمي المرابطين بالملثمين لا لسـبب اتخاذهم اللثام؛ لأن معظم القبائل العربية وغيرها من قبائل السـودان كانت تتخذه، ومع ذلك لا يطلق عليها هذا الاسـم، بل لأن شـكل لثام المرابطين اختلف عن شـكل اللثام الذي اعتادته مختلف القبائل، وقد أبرز البكري

(2) الادريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص49، ابن خلدون: العبر، ج6، ص23.

(3) ابن عذاري: العباس أحمد بن محمد (ت بعد سنة 712هـ) البيان والمغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، تح/ احسان عباس، دار الثقافة، بيروت،1967م، ج2، ص10–15، عياض: ترتيب المدارك، ج1، ص36.

(4) ابن خلدون: العبر، ج6، ص36.

هذا الشكل الجديد حين كشف أنهم أضافوا إلى اللثام نقاباً، وهو ما يبرر صحة فتوى ابن رشد القائلة بأنهم أرادوا أن يتميزوا به عن سائر الأمم ولا يسمح لغير المرابطين باستعماله للظهور بمظهر السلطة والنفوذ ويختص به الطبقة المترفعة في المجتمع، كما تغيَّر اللثام من اللون الأزرق إلى اللون الأسود اقتداء برموز العباسيين منذ البداية الأولى لحركتهم وتغير اسمهم من الملثمين إلى المرابطين إلا أن المؤرخين اختلفوا حول الظروف التي أُطلِق فيها اسم المرابطين على الملثَّمين [1]،وأن الاسم أُطلق على قبيلة لمتونه فقط دون غيرها؛ نظراً لتضحيتها الكبيرة واستماتتها في سبيل الدعوة، فأطلق عليها عبد الله بن ياسين اسم المرابطين[2].

بينما يرى بعضهم[3]،إ إن الاسم جاء من الرباط أو الرابطة، ومعناه ارتباط الخيل إزاء العدو في الثغور، ومنه المرابطون، ومنه ملازمة الثغور الإسلامية[4]،وأخذها ابن أبي زرع وصاحب القرطاس من قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ "[5]،فيرى

(1) نظر: إبراهيم القادري بوتشيش: المغرب والأندلس في عصر المرابطين، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1993م، ص7.

(2) أحمد مختار العبادي: دراسة حول الحلل الموشية، مجلة تطوان المغرب الأقصى، عدد:5، سنة (1960م)، ص146-147، وينظر: عبد الحميد حاجيات، المرابطون ودورهم في تاريخ المغرب وحضارته مجلة التاريخ، في العدد الخاص بالصحراء الغربية، مركز الأبحاث التاريخية، الجزائر، مارس 1979، ص34.

(3) ابن أبي دينار: هو محمد بن أبي القاسم الرعيني (ت 1120 هـ/1690م)، المؤنس في أخبار أفريقية وتونس، مطبعة الدولة التونسية، تونس،1286هـ نص102 ، حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص 128.

(4)يوسف أشباخ: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ط2، ترجمة محمد عبد الله عنان، مؤسسة الخانجي، القاهرة ،1958 م، ص 63.

(5)سورة آل عمران،الآية200.

العبادي أن مصطلح مرابط بمثابة "وسام شرف عسكري" يمنح لكل من خدم الدولة المرابطية[1].

أمّا عن أصلهم فقد تباينت روايات المؤرخين حول نسبهم العربي الحِمْيري، وهو رأي الأغلبية. فهم مجموعة قبائل نزحت من بلاد اليمن في تاريخ غير مضبوط، واتجهت نحو أفريقيا، حيث توقّف قسم منهم فاستوطنها، بينما استمر القسم الآخر في النزوح إلى أن انتهى به المقام في الصحراء المغربية الموازية للمحيط الأطلسي. ويُذكر من بين هذه القبائل المهاجرة: لمتونه وجدالة ولمطة وتاركة وعطا وغيرها من القبائل الصنهاجية التي دخلت القفار الممتدة من غدامس شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً، ومن جبال درن شمالاً حتى تخوم السودان جنوباً[2]،فظهر الملثّمون "المرابطون" كقوّة جديدة كان لها الفضل في نشر الإسلام في أرجاء المغرب والسودان الغربي، بعد أن تبنّوا مذهب الإمام مالك ورفعوا لواءه في أقصى الصحراء. وقد امتدّ نفوذهم من منحنى نهر النيجر في الجنوب إلى بحر الروم في الشمال، بل تجاوزوه إلى الأندلس. وكان لهذا الظهور دورٌ مهم اضطلعت به دولة المرابطين في تاريخ بلاد المغرب

وهذهِ القبائل كثيرة حيث تجاوزت السبعين عدداً، فذكر منها المؤرخون، قبيلة لمطة، ترغه، سرته، جزوله، لمتونه، جدالة، سمطه، تازكاغت، كاكدم، زغاوة، وأشان، ثمالة، أتوارى، مداسة، دكالة، هسكوره، ومسوفة [3]وغيرهم.

---

(1)أحمد مختار العبادي: الصفحات الأولى من تاريخ المرابطين، مجلة كلية الآداب، الإسكندرية، العدد:21، سنة1967م، ص53.

(2) بوتشيش: المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص8.

(3) شمس الدين أبو عبد الله محمد أبي طالب الأنصاري الدمشقي: نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، نشر: الأكاديمية الإمبراطورية، 1865م، ص238، 239.

وأهم هذهِ القبائل جميعها لمتونه [1]،ثم جدالة[2]وتاليها مسوفة[3]،حيث كانت الرئاسة للمنونة، تحديداً في بني (وارتقطين) التي أنجبت القائد المغربي يوسف بن تاشفين سنة (400هـ/1009م)[4].

وبالحديث عن أهم هذهِ القبائل فقد كان لكل قبيلة أوطان ومضارب خاصة بها ومجال لتحركاتها، فقبيلة لمطة وجزوله، تحتل المنطقة الممتدة من جبال درن حتى مدينة نول [5]،القريبة من المحيط الأطلسي[6]على حين تقع ترغه في وادي درعه[7]،وجميعها تصل إلى مدينة سجلماسه، والمناطق القريبة منها [8]،أما قبيلة جداله فتعد الأقرب إلى بلاد السودان وكانت أوليل [9]مركزاً لها.

---

(1) لمتونه: قبيلة من بطون صنهاجة، وموطنهم من بلاد الصحراء يعرف كاكدام، وكانت ديانتهم الوثنية حتى جاء إسلامهم بعد فتح الأندلس، وكانت الرياسة في لمتونه لبني ورتنطق بن منصور جد أبي بكر عمر أمير لمتونه في مبتدأ دولتهم، ومنهم الأمير يوسف بن تاشفين وإليه آلت رياسة الملثمين، الطبقة الثانية من صنهاجة، وآلت رياسة لمتونه لبني ورتنطق، وأغلب ملوك المرابطين كانوا من لمتونه، ومنهم تلاكاكين،ونيولتان بن تكلان، وابوبكر بن عمر، ويوسف بن تاشفين ،ينظر: حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، دار الفكر العربي، القاهرة ،(د. ت)، ص40.

(2)جدالة: هي أحد قبائل صنهاجة، أهلها رحل يقيمون في الصحراء تمتد أرضهم إلى نهر السنغال، ينظر: حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص46.

(3)مسوفة: من القبائل الصنهاجية التي كانت مضاربها قاحلة إذْ حصرت بين سجلماسه في الشمال وأدغشت في الجنوب، ينظر ابن أبي زرع: روض القرطاس ص120.

(4)يوسف بن تاشفين بن إبراهيم بن توريفت وارتقطين بن منصور بن تامليت الحميري من قبيلة لمتونه، كان يوسف محليا بالخصال الحميدة ، منها العدل، والكرم ، والرحمة، ذكياً ، كثير الاستغفار زاهداً، قام بالعديد من الفتوحات والإنجازات في الدولة المرابطية، ينظر: لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ط6 ، تح/محمد عبدالله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1977م، ج4، ص348،وينظر: ابن خلدون، العبر، ج6، ص181،وينظر: محمد الأمين: المفيد في تاريخ المغرب، الدار البيضاء، دار الكتاب، د.ت ، ص11، وينظر: علي محمد الصلابي، فقه التمكين عند دولة المرابطين، مؤسسة اقرأ ،القاهرة ، 2006م، ص59.

(5)مدينة نول آخر مدن الإسلام، وهي أول صحراء المغرب ونهرها يسمى وادي نول ويصب في البحر المحيط، البكري، المُغْرِب، ص161-162.

(6)البكري: المُغْرِب، ص162، حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص45.

(7)ابن حوقل: أبو القاسم محمد بن حوقل (ت367هـ/977م): المسالك والممالك، ليدن المحروسة، 1873م، ص172

(8)ابن حوقل: المسالك والممالك، ص172-173.

(9) أوليل جزيرة بالبحر على مقربة من الساحل بها ملاحة ولا يعلم بأرض المغرب ملاحة غيرها، ينظر: البكري: المسالك والممالك، تح/ أندري فان لوفين و أندري فيري، الدار العربية للكتاب، ج1، ص867

وأما قبيلة لمتونه وهي الأهم في هذهِ القبائل وأقواها، فهي تمتد من منطقة تلي منطقة لمطة وجزوله، وتمتد من وادي نون على المحيط، حتى رأس بوجادور الحالية، وإلى الشـرق من وادي نون تقع مدينة أركي، لمسـيرة سـبعة أيام من وادي نون وهي حصن لمتونه [1]ومعقلها.

فوفرة المال والعدد والموقع الممتاز، كلها أسـباب تكفي أن تكون لها السـيادة على هذهِ القبائل جميعها، وكانوا يعتمدون على الإبل في كل أمورهم الحياتية، فمنها مأكلهم وكسـاؤهم، وهي مطيّتهم التي تقرّب المسـافات وتعينهم على مصـاعب الصـحراء، كما اسـتخدموا الإبل في القتال حتى برعوا في ذلك "وكانوا يقاتلون على النُجُب أكثر من الخيل""[2]،ويبقى السـؤال لهذهِ القبائل: كانت تعيش حياة البداوة والجهل؟ أم تدركها مؤثرات حضارية، أم العكس؟

إن المؤثرات الحضـارية لابد أن تكون قد نفذت إليها، فقد وجد عقبة بن نافع في بلاد السـوس حضـارة محلية متأثرة بالحضـارة الفينيقية، وأن بلدة أوليلي التي اتخذها الأدارسة حاضرة لهم هي بلدة (voluble) الرومانية القديمة، ما يدل على أن حضارات حوض البحر (الأبيض) تدفقت إلى المغرب الأقصى ونفذت إلى الصحراء، وتركت في هذهِ القبائل آثاراً، يقول الرحالة إنها لا تزال حتى اليوم [3].

أما بخصوص اعتناقهم للإسلام، فقد اعتنق الملثمون الإسلام بعد فتح الأندلس [4]،وكان دينهم قبل ذلك المجوسـية [5]،وكانت رئاسـتهم في تلك المرحلة في قبيلة لمتونه التي اتخذت النظام الملكي، وكان ملكهم أيام عبد الرحمن الداخل الأموي

---

(1)البكري: المُغْرِب، ص164.

(2)لسان الدين بن الخطيب: الحلل الموشية، ص11.

(3)حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص56.

(4) لم يستقر إسلامهم حتى أجاز طار قوم وسى بن نصير إلى الأندلس بعد أن فتح المغرب وأجاز معهما كثيراً من رجالات البربر وأمرهم بالجهاد، فحينئذ استقر الإسلام بالمغرب وأذعن البربر لحكمه، ونسخت كلمة الإسلام وتناسوا الردة، ابن خلدون: العبر، ج6، ص181.

(5) المصدر نفسه، ج6، ص60.

يتلوثان بنت لاكاكين اللمتوني [1]،وقد حارب هذا الملك القبائل الوثنية ونشـــر بها الإســـلام، وبعد وفاته ســـنة(222هـ /837م) خلفهُ حفيده الذي دام حكمهِ حتى وفاته سـنة(287هـ/899م)، وقد حارب هذا الملك القبائل الوثنية ونشـر بها الإسـلام، وبعد وفاتـه ســـنـة (222هـ/837م) خلفـهُ حفيـده الـذي دام حكمـهُ حتى وفـاتـه ســـنـة (287هـ/899م)، فخلفهُ ابنه تميم الذي قُتل ســنة (306هـ/920م) على يد مشــايخ صـنهاجة، وافترقت كلمة الملثمين مدة مئة وعشـرين عاماً، إلى أن قام بالأمر الأمير محمد بن تفاوت اللمتوني [2]،الذي وحَّدهم، وقد استشهد هذا الأمير بعد ثلاث سنوات من حكمهِ على يد الوثنيين في حربٍ مع السودان، فقام بالأمر من بعده صهره الأمير يحيى ابن إبراهيم الجدالي [3].

ثالثاً-تأسيس دولة المرابطين:

إنّ هذا الضـعف الذي أصـاب الملثمين لم يَستمر طويلاً، حتى تأسـست دولة المرابطين في الصـــحراء الكبرى، فوحدت قبائل صـــنهاجة الجنوب، وبدأت بنشـــر الإســـلام بين القبائل الوثنية في الســـودان [4]ولمَّا أثبتت هذه الدولة متانتها حينها تحولت تلك القبائل البدوية إلى شـعب صـاحب رسـالة حضـارية بتأسـيس دولة المرابطين.

وقد آلت زعامة قبيلة جدالة إلى يحيى بن إبراهيم، الذي كان لهُ الفضـــل في تحمّل أعباء توحيد تلك القبائل، وعُرف عن يحيى بن إبراهيم تقربه إلى الله ســـبحانه وتعالى، إذ كان صـاحب بصـيرة وفطانة فذاق ذرعاً من الانحراف الديني، وسـوء فهم

---

(1) ايتلوتان بنت لاكاكين الصـــنهاجي اللمتوني، أول ملوك صـــنهاجة ملك الصـــحراء كلها، ينظر: ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص120-121.

(2)المصدر نفسه، ص121.

(3)السـلاوي: أبو العباس أحمد بن خالد الناصـري (ت1315هـ/1897م) الاسـتقصـا لأخبار المغرب الأقصـى، تح/جعفر الناصـري ومحمد الناصـري، دار الكتاب، الدار البيضـاء،1997م، بيروت، 1971م، ج2، ص5، وينظر: ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص76.

(4)ابن خلدون: العبر، ج6، ص373.

قومهِ للإســـلام، وكان هو الآخر يشـــعر بحاجة إلى التفقه في الدين فعزم على تحصـــيله، والتّعرف على مبادئ الإســـلام وتدريس العلوم والمعارف ببلاد المغرب الأقصى [1].

وفي سنة (427هـــ/1030م)، رحل إلى المشرق لأداء فريضة الحج بعد أن اســتخلف ولدهُ إبراهيم بن يحيى الجدالي [2]،ويعتقد الدكتور حســن أحمد محمود نقلاً عن إحســان عباس، أن يحيى بن إبراهيم لم يخرج للحج فحســب، وإنما طلباً للعلم، وبحثاً عن فقيه يثقِبه، ويطمئن إليه، فيعود بهِ إلى قومهِ مبشــراً ونذيراً لهُ يخرجهم من الظلمات إلى النور [3].

ثم إن رحلته إلى الحج عرَّفتهُ أوضــاع المشــرق الإســلامي، وعند عودتهِ عرج على القيروان التي كانت أهم مراكز الثقافة الإســـلامية في القرن الخامس الهجري، الحــادي عشـــر ميلادي، وتعرف على العــالم المــالكي أبي عمران الفــاســـي[4] (ت430هـ/1040م) الذي لاحظ عليه شدة تعلقه بحلقاته العلمية..

أُعجب الشيخ أبو عمران بالأمير يحيى لما لمسهُ فيه من حبّه للخير وحرصه على التّعلم، وعرف أنهُ من صـــحراء جدالة وتحدث إليه الأمير عن ســـوء الأحوال الاجتماعية في بلاده، وأخبره بأن لا علوم ولا مذهب عندهم؛ لأنهم منقطعون في الصحراء لا يصلهم إلا بعض التجار الجهال [5].

---

(1)حســن أحمد محمود: قيام الدولة المرابطين، ص105، وينظر أيضــاً علي محمد الصــلابي: الجوهر الثمين بمعرفة دولة المرابطين، ص15.

(2)البكري، المُغْرِب، ص164، ابن عذاري المراكشي: ج4، ص7.

(3)حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص107.

(4) بو عمران موسي بن عيسي بن الحجاج المعروف بأبي عمران الفاسي (ولد بفاس 356هـ/966م وتوفي بالقبروان 430هـ/1039م) فقيه وحافظ ومحدث وأصــولي مالكي ومن ابراز أعلام هذا المذهب ترك أثرا كبيراً في تاريخ بلاد المغرب خلال العصــر الوســيط، ينظر: مخلوف، محمد بن محمد مخلوف، شــجرة النور الزكية في طبقات المالكية ، تح /علي عمر، مكتبة الثقافة الدنية، القاهرة، 2006، ج1، ص255.

(5)ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب، ص7.

وظهرت على الزعيم الجدالي تطلعاته نحو الإصـــلاح، فطلب أن يســـمح لهُ الشيخ بمرافقة أحد تلاميذه إلى قومهِ ليعلمهم أصول الفقه والشريعة الإسلامية.

فعرض الفقيه الأمر على طلبته غير أنهُ لم يجد من بين تلاميذه من استجاب إلى دعوتهِ، لصعوبة دخول أرض الصحراء [1]،فلمّا لم يجد بغيته بين تلاميذه نصحهُ أبو عمران بالتوجه إلى فقيه الســوس الأقصـــى، وتلميذه وجاج بن زلو اللمطي، فقيه المالكية بالســـوس الأقصـــى وكان فقيهاً صـــالحاً يقيم بمدينة نفيس [2] أو قرية ملكوس[3]،لاعتقاده بأنهُ أعرف منهُ بما يصلح للقيام بهذه المهمة في بلاد الملثمين.

وكان يحيى يحمل كتاباً من الشيخ أبي عمران الفاسي إلى تلميذه الفقيه الشيخ وجاج، يتضـمن رغبته في أن يرسـل مع يحيى إلى بلادهم من طلبتهم من يثق بدينه وورعه وكثرة علمه وسياسته، ليُعلم القرآن وشرائع الإسلام ويفقههم في دينهم [4]،وعند استلام وجاج الكتاب من الأمير يحيى عرضـه على تلاميذه، فانتدب لذلك رجلاً منهم جزولي النسب من أذكى طلبته وأبرعهم وأحذقهم وهو عبد الله بن ياسين الجزولي [5]،

---

(1)البكري: المُغْرِب، ص165، مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تح/ سهيل زكار وعبد القادر زمامه، الدار البيضاء: دار الإرشاد الحديثة، 1979م، ص8-9.

(2)نفيس: مدينة قديمة غزاها عقبة بن نافع ســـنة 62هـ، وهي أمنع حصـــن أو قلعة في بلاد المغرب لوعورة الطريق، ويشقها نهر منبعه من جبل درن، مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق سعد زغلول، مج1 ص208، ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص83.

(3)البكري: المُغْرِب، ص165، ابن عذاري: البيان المغرب، ص8.

(4)البكري: المُغْرِب، ص165.

(5) هو عبدالله بن ياســين بن مكوكب بن ســير بن علي الجزولي من قبيلة جزوله، ولد في قرية تمامانا وتوفي طرف صحراء غانة في أوائل القرن الخامس الهجري من أب ملثم صنهاجي، وامتد دعوته إلى مارن من بني جزوله، وهو داعية ومجاهد مالكي سوسي، من زعماء الإصلاح الإسلامي وتجديد الإسلام في أفريقيا، وخرج في طلب العلم فتلمذ على فقهاء المغرب، ورحل إلى الأندلس لطلب العلم، ووضـــع الأســـس الأولى لدولة المرابطين في المغرب الأقصى، توفي في الجهاد ضد قبيلة برغواطة في 24 جمادى الأول 451هـ، الموافق يوليو 1059م، حيث أصـيب بجراح بالغة، ودُفن ببلدة كريفلة على بعد 50 كم من مدينة الرباط التي تحمل في اسمها جزءاً من الرباط الذي أقامه ابن ياسين، وبني على برهم مسجد لا يزال حتى الآن، ينظر: عياض، أبو الفضـل عياض بن موسـى اليحصـبي (ت544هـ)، ترتيب المدارك، تح/ أحمد بكير محمود، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت ، ج2، ص782.

ومن صـفات هذا الفقيه التأثر بمبادئ فقهاء المالكية التي تسـتهدف الزهد والبعد عن السـلطان والتقشـف والإيواء إلى الربط تقرباً إلى الله سـبحانه وتعالى، وقد وصـفهُ ابن أبي زرع بـأنـهُ "مُهدي المرابطين، وأنـهُ من أهل الفطنـة والدين والتقى والورع والأدب والسياسة، وأنه كان مشاركاً في الكثير من العلوم""[1].

وظل ابن ياسـين يجوب بلاد صـنهاجة في صـحبة زعيمها يحيى بن إبراهيم، فنزل على قبيلة لمتونه، التي بالغت في إكرامه والترحيب به فأخذ يبثُّ تعاليم الدين بينهم ويُبصِّـرهم بأحكام الإسـلام ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، واشـتد في مطالبتهم بالإقلاع عن تقاليدهم المنافية للإســـلام، كالزواج بأكثر من أربعة، والزنا والســرقة وغيرها، وكان طبيعياً أن يضــيقوا ذرعاً بتشــدده عليهم، وبذلك انتهى دوره الأول بالفشل بين الملثمين نظراً لبقائهم على انحرافهم الشديد، وإعراضهم عن المبادئ التي بثَّها بينهم، فاعتزلهم، وخلا بصـــاحبه يحيى بن إبراهيم في مكان معزول بجزيرة تديرا [2]بحوض السنغال[3]،بعيداً عن هؤلاء البدو، وانقطع ابن ياسين وصحبه للعبادة في هذا الموضـع النائي الذي اختارهُ وابتنوا بهِ رباطاً للصـلاة والعبادة فلم يمض عليه ثلاثة أشـهر حتى سـمع الناس بمعيشـتهم وتقواهم فانضـموا إلى دعوتهم عن رضـى وقناعة، فبث فيهم الورع والخشـــوع، وأخذ يقرئهم القرآن ويفقههم في الدين حتى تمكن حبهم من قلوبهم، فلم يكن ابن ياســين من علماء الكلام مثل فقهاء القيروان، بل كان فقيهاً مالكياً لا يدرِّس إلا القرآن والشريعة والعبادات [4].

---

(1) بن أبي زرع: روض القرطاس، ص83.

(2) تديرا: جزيرة واقعة بين نواكشوط ونواذيبوا، ينظر: جورج مارسيه: بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى، ترجمة محمود عبد الصمد هيكل، منشأة المعارف، الإسكندرية ، 1991م، ص273.

(3) محمد الفاسي: عبدالله بن ياسين وانتشار الإسلام بأفريقيا، المجلة الإسلامية، العدد12، المغرب الأقصى، 1982م، ص29 وما بعدها.

(4)جورج مارسيه: بلاد المغرب وعلاقاتها ببلاد المشرق الإسلامي، ص273.

وبهذا أسس عبد الله بن ياسين منهاجاً وسياسة حازمة خولته لزعامة هذه القبائل، كما أدت تعاليمه إلى انتقاء أفضل الملثمين وأشدهم حرصاً وصبراً على مبادئ الدعوة الجديدة [1]،حتى اجتمع لهُ نحو ألف رجل من أشراف صنهاجة سماهم بالمرابطين، لما لازمتهم لذلك الرباط [2].

إنَّ الإعداد الكبير للنفوس هو الذي يؤمله عبد الله بن ياسين لجماعته ليعلن الجهاد على القبائل التي رفضت دعوته عن طريق الوعظ والإرشاد [3].

وقد اتجهت جموع المرابطين تجاه قبيلة جدالة، حيث خاضوا معهم معركة انتصروا فيها، قُتل من قُتل وأسلم الباقون إسلاماً جديداً، ثم اتجهوا إلى قبيلة لمتونه وأرغموهم على الدخول في طاعة ابن ياسين ومبايعته على إقامة الكتاب والسُّنة.

وقد واصلوا الجهاد إلى قبيلة مسوفة الذين انضووا تحت لوائه وبايعوهُ على ما بايعتهُ عليه قبائل جدالة ولمتونه، فلمّا شهدت قبائل صنهاجة هذه الأحداث بادرت إلى مبايعة ابن ياسين على بذل الطاعة لهُ، وحذت بقية القبائل حذوها، فكان كل من أتى إليه تائباً يشرع في تعلم القرآن وشرائع الإسلام، فيؤمر بالصلاة والزكاة وإخراج العشر، وقد أقام ابن ياسين بيتاً للمال للإنفاق على الجيوش وشراء السلاح [4].

توفي الأمير يحيى بن إبراهيم الجدالي، وقدم ابن ياسين مكانهُ الأمير يحيى بن عمر اللمتوني، وكان من أهل الدين، كما كان منقاداً في جميع أموره لإمامه ابن ياسين [5].

وخرجت جموع المرابطين سنة (447هـ) إلى الجهاد في درعه، وانتصر فيها المرابطون، وأسرع ابن ياسين بدخوله سجلماسه وأصلح أحوالها، وقدَّم عليها عاملاً من لمتونه وحامية مرابطيه ثم عاد إلى الصحراء [6].

---

(1)حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص143.

(2)ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص85، ينظر: محمد عبد الله عنان، دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1969م، ص302.

(3)ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص85، ينظر ابن خلدون: العبر، ج6، ص675.

(4)البكري: المُغْرِب، ص167، ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص86، وينظر مجهول: الحلل الموشية، ص10

(5)مجهول: المصدر نفسه، ص10.

(6)ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص87، مجهول: الحلل الموشية، ص697.

وفي سنة (448هـ/1056م)، توفي الأمير يحيى بن عمر اللمتوني، فعَيّن عبد الله بن ياســـين أخاه أبا بكر بن عمر مكانه لقيادة، ثم تأهب أبو بكر لغزو بلاد السوس واختار أبا بكر بن عمر ابن عمه يوسف بن تاشفين لقيادة الجيش المرابطي، وكان ذلك أول ظهور ليوسف بن تاشفين مؤسس دولة المرابطين، الذي تولَّى حكمها سنة (453هـ/1061م)، ودام حكمه ستاً وأربعين سنة [1].

لقد واصل المرابطون الجهاد والتوسع حتى وصلوا بلاد السوس، ومنها عبروا جبال درن ومنها إلى أغمات ودخلوها سنة (449هـ/1057م) [2]،واستمرت انتصاراتهم حتى وصلوا برغواطة التي كانت تدين بمذهب ينافى مع أحكام الشريعة الإسلامية، أسسه رجل يهودي يدعى صالح بن طريف البرغواطي، فسار ابن ياسين وقائده أبو بكر بن عمر وجيش المرابطين إلى أرض برغواطة، ووقعت بينهما وقائع المعركة، أصيب فيها ابن ياسين بجراح بليغة، حمل على أثرها إلى معسكره فجمع شيوخ المرابطين وحثهم على الثبات في القتال وحذرهم من عواقب التفرقة والصراع على الرئاسة، فارق ابن ياسين الحياة سنة (451هـ/1059م) [3]،واجتمع شيوخ المرابطين على مبايعة أبي بكر بن عمر للرئاسة مكان ابن ياسين، فجمع بين الزعامتين الدينية والسياسية.

وما أن فرغ أبو بكر من دفن ابن ياســـين، حتى خرج لقتال برغواطة، ففرّق جموعهم وأعلنوا الطاعة والولاء، ومنها اتجه إلى بلاد المغرب. وبهذا أنهى عبد الله بن ياسين مرحلته الأولى في الصحراء وتأسست الدولة في حلف أقيم على التقوى وبســـط لواء الإســـلام والعدل، وتحوّل الملثمون إلى رجال حق وأصبحوا أمة حضارية حققت أمنية يحيى بن إبراهيم الجدالي.

---

(1)ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص125.

(2)المصدر نفسه: ص88، ابن خلدون: العبر، ص376.

(3)البكري: المُغْرِب، ص168، القاضي عياض: ترتيب المدارك ج3، ص782، القلقشندي: صبح الأعشى، ص189.

1- ضم بلاد المغرب الأقصى:

انتهى الدور الأول من أدوار قيام دولة المرابطين، وهو ما أطلق عليه (الدور الصحراوي)، بتوحيد قبائل الملثمين تحت راية عبد الله بن ياسين، من مصب نهر السنغال في الجنوب حتى جبال درن في الشمال، تسودها الثقافة الإسلامية، وبنهاية الدور الأول، يبدأ الدور الثاني الذي أطلق عليه (الدور المغربي) وهو دور بالغ في الأهمية بالنسبة إلى المرابطين وهو الأكثر أهمية لموضوعنا؛ فلولا تقدم قبائل المرابطين إلى المغرب الأقصى لما سجل لها هذا التاريخ الذي شُبِّه بتاريخ الفاتحين الذين خلدت معاركهم في مكان بارز من تاريخ الجهاد، وأن هنالك عوامل عديدة لضم بلاد المغرب أهمها: تلبية نداء الطبقة المضطهدة في المجتمع المغربي من طرف الزناتيين، وسوء الحالة الاقتصادية وما يترتب عليه من إثقال كاهل العامة وطبقات المجتمع الضعيفة [1]،وقد تكون هذه أسباباً ثانوية، فمما تقدم في الدور الصحراوي نجد أن عبد الله بن ياسين قد رسم لنفسه هذه الخطة، وجعل من أهدافه أن يبسط نفوذه على المغرب كما بسطها على الصحراء. فقد قال صاحب الحلل الموشية: "أن الشيخ أبا محمد عبد الله بن ياسين لما رأى استقامة لمتونه واجتهادهم أراد أن يظهرهم ويملكهم بلاد المغرب، وقال لهم إنكم صبرتم ونصرتم دين رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد فتحتم ما كان أمامكم، وستفتحون إنشاء الله ما وراءكم، فأمرهم بالخروج من الصحراء"[2]، كما شجع الملثمين على الزحف نحو المغرب لفصل النزاع المستمر بين قبائل البتر وقبائل البرنس والعمل على إنهائه، أما العامل الثاني والأهم فهو رغبة تحقيق الدعوة التي بثها عبد الله بن ياسين الذي كان يريد أن يجنّد الملثمين في حركة لتطهير المجتمع الإسلامي كله، أما العامل الثالث فإن

---

(1)النويري: شهاب الدين أحمد (ت733هـ-1332م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، تح/ حسين نصار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1983م، ج22، ص178.

(2)مجهول: الحلل الموشية، ص11.

الصـــحراء صـــارت تضـــيق بجموع المرابطين ولا بد من إيجاد مجالٍ حيويّ يتجهون إليه[1] بعد أن ضـاقت في وجوههم سبل الرزق بالصـحراء، كما كان للفراغ السـياسـي والاختلافات الدينية والمذهبية والظلم الذي يســـود بلاد المغرب أســـباب لانطلاق المرابطين لضم المغرب.

إن كل هذه العوامل مجتمعة دفعت المرابطين بقيادة يوسف بن تاشفين للتحرك نحو المغرب الشـــمالي لينتزعه من أيدي الزناتيين، واســـتخدم من أجل تحقيق هذا الهدف إرسـال الجيوش للقضـاء عليهم، مسـتفيداً من الخلافات السـياسـية بين قادة المدن، واستطاع أن يدخل مدينة فاس صلحاً سنة (455هـ/1069م)، ثم تمرّد أهلها عليه إلا أنه استطاع إخماد جميع الثورات التي قامت ضد المرابطين بجهاده وكفاحه المسـتمر، لكنه عاد وفتح مدينة فاس عنوة بحصـار ضـربه عليها بجيش قوامه مئة ألف جندي سنة (462هـ/1069م)، فقضـى على مغراوة وبني يفرن وسائر زناتة، ونظّم المساجد والفنادق وأصلح الأسواق وخرج من فاس سنة (463هـ/1070م) إلى بلاد ملوية وفتحها واسـتولى على حصـن وطاط، ويعد هذا الحصـن العسـكري الأول لطنجة في العصـــور الوســـطى وكان له دور حيوي في حماية المدينة من الغزوات [2]،ثم عاد إلى مراكش سنة (475هـ/1081م)

وفي هذه الأثناء اســتدعى يوســف أمراء المغرب وشــيوخ القبائل من زناتة ومصـمودة وغمارة لمبايعته، فبايعوه بالإمارة [3]،فأغدق عليهم الأموال، ثم خرج يحيط بهم للطواف على المغرب وتفقد أحوال الرعية ،مصـلحاً أمورها، وكان يوسـف يقصـد من وراء ذلك إضفاء صفة الشرعية على دولته، وأن زعماء المغرب يؤيدونه ويعترفون بزعامة أقامها بذكائه وتخطيطه العسـكري الناجح، وكان الهدف من التجوال بصـحبة

---

(1)ابن الأثير: عزالدين أبو الحســـن الجزري (630هـ-1233م)، الكامل في التاريخ، تح/ عمر عبد الســـلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، 2016م، ج9، ص259.

(2)ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص91.

(3)أحمد بن خالد السلاوي: الاستقصا ،ج2، ص30.

أمراء المغرب وحكامه السابقين الذين قاوموه طويلاً وبذل جهوداً لإخضاعهم، بثّ الرهبة في نفوس الذين لم يخضعوا لها حتى ذلك الوقت[1].

وبعد تلك الجولة تابع يوسف عملياته العسكرية وأجلى من المغرب كل من ظنه من أهل العصيان.

وبذلك تعد سنة (467هـ/1074م) فاصلاً في تاريخ دولة المرابطين، إذ بسط الأمير يوسف نفوذه على سائر المغرب الأقصى والشمالي باستثناء طنجة وسبتة؛ لأنهما من أملاك الحموبين والعلويين الذين بسطوا سيطرتهم على جنوب الأندلس أكثر من ثلث قرن، والتي استقل بها الحاجب سكوت البرغواطي حتى قيام دولة المرابطين [2].

وفي سنة (476هـ/1083م) وجّه الأمير يوسف ابنه المعز في جيش إلى سبتة لفتحها، وكان يحكمها بعد وفاة الحاجب سكوت [3]ابنه ضياء الدولة يحيى، فحاصرها المعز براً وبحراً ودارت معركة بحرية [4]،انتصر فيها المرابطون وانهزم ضياء الدولة، وأُلقي القبض عليه وتم قتله، وكان ذلك سنة (477هـ/1084م) [5].

وبذلك توحد المغرب الأقصى تحت راية المرابطين بعد جهاد دام ثلاثين سنة وأصبحت دولة المرابطين في مرحلة التمكين. تقلّد يوسف بن تاشفين حكم دولة المرابطين في المغرب الأقصى ونصف المغرب الأوسط، كوّن على إثرها قبائل الملثمين حضارة مزدهرة في دولة واسعة الأطراف يسودها الأمن والعدل، وفي عهد

---

(1)ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص141.

(2)السلاوي: الاستقصا، ج2،ص30، ابن زرع: روض القرطاس، ص92.

(3) هو سكوث بن محمد البرغواطي، نسبة إلى برغواطة، القبيلة الشهيرة بالمغرب (تامسنا)، ولد في حدود سنة 385هـ، وكانت قبائل غمارة تدين له بالطاعة والولاء، وكانت منطقة الشمال بما فيها سبتة وطنجة تحت أمرته، المراكشي: المعجب، ص68.

(4)السيد عبد العزيز سالم: المغرب الكبير (العصر الإسلامي) دراسة تاريخية وعمرانية وأثرية، (بيروت: دار النهضة العربية، 1981م، ج2، ص716.

(5)السلاوي: الاستقصا، ص111.

هذه الدولة عرف المغرب الوحدة لأول مرة في التاريخ بعد أن كانت تتقاسمه طوائف وشيع [1].

وكان أهل الأندلس يراقبون الأحداث في هذه الدولة، وأصبح اسم ابن تاشفين في قمة الهرم، ليقوم علماء الأندلس باستدعائه وإنقاذهم من الغزو القشتالي الذي عانت منه الأندلس خلال عصر الطوائف في القرن الخامس الهجري، الحادي عشر الميلادي، وبهذا بدأ الدور الأندلسي لدولة المرابطين.

(1)ابن عذارى: البيان المغرب، ج3، ص10، ينظر: عبد الرحمن علي حجي، التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، (92-897هـ/711-1492م)، ط2، دار القلم، دمشق ،1402هـ/1981م، ص323 وما بعدها.

2- دخول الأندلس:

وعلى أثر الفتنة البربرية[1]،التي أدت إلى سقوط الخلافة الأموية في مطلع القرن الخامس الهجري، تَكَوَّنت في الأندلس دويلات كثيرة تقاسمت إرث الخلافة سميت بدول ملوك الطوائف، وكانت المنافسة على أشدها بين تلك الدويلات، وكانت إمارة إشبيلية أكبر إمارات ملوك الطوائف.

عرفت الأندلس بالتفكك إلى إمارات ودويلات كثيرة[2]،وساد عصر هؤلاء الأمراء حالة من الاستبداد والطغيان والصراع، حتى سقطوا في يد الممالك النصرانية

أما من الناحية الاجتماعية فقد ساد عهد الطوائف الترف فتنافسوا في بناء القصور والحدائق، وفي هذا العصر كان الفقهاء أكبر عُضد لملوك الطوائف في تبرير طغيانهم وقهرهم، وأكبر سند في تزكية تصرفاتهم وابتزازهم لأحوال الرعية، وحرصاً منهم على النفوذ والمال، فقد كانوا يضعون فتاوى فقهية مؤيدة للظلم والجور والاستغلال، ومبيحه للدس والمكر والاستعانة بالكفار وغيرها من المحرمات""[3].

كما ساد هذا المجتمع هجرات عنيفة داخل الأندلس وخارجها، فهاجر الشعراء والعلماء والصناع وساد المجتمع الانحلال الأخلاقي.

---

(1)الفتنة البربرية: حالة الاقتتال والتصارع على السلطة التي شهدها الأندلس في الفترة التي امتدت منذ عام 399هـ حتى عام 422هـ والتي انتهت بانهيار الدولتين الأموية والعامرية وظهور ما يعرف بفترة حكم الطوائف، ينظر: شمس الدين أحمد الذهبي، سير أعلام النبلاء، تح/ محمد الشبراوي، دار الحديث القاهرة ،2006م، ج13، ص455.

(2)ابن عذارى: البيان المغرب، ج3، ص285-316، محمد أبو الفضل، شرق الأندلس في العصر الإسلامي (515-686هـ/1121-1287م)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1996م، ص35، وينظر: إبراهيم محمود زعرور، اليهود في الأندلس والمغرب خلال العصور الوسطى، دار المستقبل، دمشق،1999، ص71.

(3)ينظر: ابن زيري، الأمير عبد الله بن بلقين بن باديس (ت483هـ/1090م)، صاحب التبيان، تح/ ونشر بروفنسال، دار المعارف، القاهرة، مصر،1955 م، ص8.

وفي ظل هذه الظروف تمكن ألفونسو السادس من أموال ملوك الطوائف، وملأ خزانته حتى كان يجمع سنوياً من الضريبة التي تُدعى "باريس" "Parias" مقدارها 40 كلغ من الذهب وظل الأمر على هذا النحو حتى قدوم المرابطين [1].

أما الحياة الفكرية والأكثر أهمية لهذه الدراسة، فقد كانت نقيض الوضع السياسي والاجتماعي المتردي، إذ تميزت بالنضج والازدهار، حيث إن ملوك الطوائف أنفسهم كانوا من حمَاة العلم والثقافة والأدب، وكان معظمهم من كبار الأدباء والشعراء وكانت قصورهم مجالس للعلم والعلماء، حتى حفل هذا العصر بعلماء أفذاذ وكتّاب وشعراء متميزين عن غيرهم من العلماء، وتميزت كل إمارة بلون من ألوان العلوم فكانت إشبيلية عاصمة الأدب والموسيقى، وما زاد ازدهار الحركة الفكرية تعدد المراكز الثقافية في الأندلس [2].

حيث كان من علماء الأندلس في بداية العهد المرابطي المظفر بن الأفطس وهو من أجلّ أدباء ذلك العصر، حيث اشتهر بمصنَّفه الكبير الأدبي والتاريخي (المظفري) المسمى بالتذكرة وهو خمسون مجلداً [3]،ومن علماء الفقه البارزين الإمام المفسر أبو عمر الداني (444هـ/1052م) وهو صاحب مئة وعشرين

---

(1)بوتشيش: ابراهيم القادري مواقف العلماء الأندلسيين من التحديات الصليبية بالأندلس إبان عصر ملوك الطوائف ، دار العرب الإسلامي ،بيروت،2001م ، ص119.

(2)ابن بسام الشنتريني: أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح/ إحسان عباس، الدار الثقافة، بيروت،1417هـ، 1979م، مج1، ص336، وينظر: صلاح خالص، إشبيلية في القرن الخامس الهجري، (دراسة أدبية تاريخية) نشوء دولة بني عباد في إشبيلية وتطور الحياة الأدبية فيها (414-461هـ)، بيروت: دار الثقافة، ص173.

(3)عنان: محمد عبد الله عنان، دول الطوائف، ص413.

مصـــنفاً[1]والفقيه أبو الوليد الباجي وهو صـــاحب ســـنن المنهاج، وترتيب الحجاج، وأحكام الفصول في أحكام الأصول [2].

لقد كان سقوط طليطلة في يد النصـارى نذيراً بسقوط الأندلس ودويًّا كبيراً في نفوس أهلها، وذلك للأهمية الدينية والمعنوية لهذه المدينة، حيث كانت طليطلة عاصـمة القوط قبل دخول الإسـلام إلى شـبه الجزيرة الايبيرية، فشـعر أهل الأندلس بخطورة الموقف، وتخوفوا من تداعي بقية الممالك.

وعلى إثر هذا الحدث جاءت الوفود إلى يوســف بن تاشــفين، وعلى رأســهم المعتمد بن عباد، والذي قال قولته المشـــهورة: "رعي الجمال عندي خير من رعي الخنازير"[3] حينما ارتابه الخوف من المرابطين، ولكنه كان أســـبقهم للاســـتنجاد بالمرابطين بعد أن اشتد ضغط ألفونسو السادس عليه في طلب الجزية.

وذكر أحمد العبادي [4]أن هذا التصــريح يدل بوضــوح على أن المعتمد كان يعلم تماماً بأن ملكه سـيضـيع سـواء على يد المرابطين في الجنوب أو الإسـبان في الشمال، إلا أنه كان يفضل السيادة الإسلامية بطبيعة الحال.

ونجح المعتمد في إرسـال سفارة إلى أمير المسـلمين يوسف بن تاشفين؛ لكي تلتمس منه العون في محاربة النصارى وإنقاذ الأندلس منهم.

---

(1)المقري: أحمد بن محمد، نفح الطيب في غصـن الأندلس الرطيب، تح/ إحسـان عباس، دار صـادر، بيروت، 1968م، مج3، ص156-178، ينظر الداني: أبو عمر عثمان بن ســـعيد الداني، كتاب التيســـير في القراءات السبع، تح/ اوتوبرتزل، دار الكتب العلمية، بيروت، 1416هـ-1996م، ص17.

(2)الباجي: أبو وليد ســـليمان بن خلف الداني، المنهاج في ترتيب الحجاج، تح/ عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، 1987م، ص51.

(3)مجهول: الحلل الموشـية، ص32، وينظر: لسـان الدين محمد بن عبد الله بن سـعيد الشـهير بابن الخطيب: (ت776هـ/1374م) أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإســـلام، تح/ ليفي بروفنســـال،دار فليكس مونشو ، الرباط: 1934، ص280-281.

(4)أحمد مختار العبادي: في تاريخ المغرب والأندلس، ص330.

فلبّى يوسف بن تاشفين نداء أهل الأندلس، وعبر البحر بجيوشه الجرارة ونزل الجزيرة الخضراء وذلك في منتصف ربيع الأول سنة (479هـ/1086م) [1] وأخذ في تحصينها وإصلاح أسوارها وأبراجها وسار صوب إشبيلية وتلقاه المعتمد وأبدى كل منهما لصاحبه منتهى المودة والإخلاص [2].

كانت أنباء عبور المرابطين لشبه الجزيرة قد وصلت إلى ألفونسو السادس وهو يحاصر سرقسطة [3]،فترك الحصار وسار لملاقاة المسلمين وهو واثق من تفوق قواته في العدد والعدة، والتقى الفريقان في مكان يسمى الزلاقة، وكتب يوسف بن تاشفين إلى ملك قشتاله قبيل المعركة عملاً بأحكام السُنة يعرض عليه الدخول في الإسلام أو الجزية أو الحرب، فغضب ملك قشتاله وردَّ على يوسف بن تاشفين بكتاب يفيض بالوعيد والتهديد، فردّ عليه ابن تاشفين بكتاب وكتب على ظهره : "**الذي سيكون تراه**"[4]، ففي فجر يوم الجمعة الثاني عشر من رجب سنة (479هـ/1086م) زحف ألفونسو السادس بقواته واشتَبك مع المسلمين في معركة دارت بينهما، وأيقن معنى رسالة ابن تاشفين "الذي سيكون تراه" ، ففرَّ تحت جنح الظلام وهو مثقل بالجراح إلى طليطلة [5]،وذاعت أنباء النصر في سائر أنحاء الأندلس..

أنقذت الزلاقة الإسلام والمسلمين في الأندلس من أيدي النصارى وأعادت إلى أهالي الأندلس روح الحماسة الدينية، وحررت سرقسطة ومهّدت السبيل لسيطرة المرابطين على شبه الجزيرة.

---

(1)ابن الابّار: محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي (ت658هـ. /1260م) الحلّة السيراء،ط2، تح/ حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة ، 1985م، ج2، ص98-99 .

(2)مجهول: الحلل الموشية، ص39.

(3)ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص146، السلاوي: الاستقصا، ج1، ص111.

(4)مجهول: الحلل الموشية، ص40.

(5)عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص118-120.

شعر يوسف باستياء بالغ لما شهده من خلاف بين أمراء الأندلس وعزم على ضـرورة التخلص من ملوك الطوائف بعدما تبين له خيانتهم لشـعوبهم ودفعهم الجزية لألفونســـو. فأعد عدته للجواز إلى الأندلس ولكن هذه المرة يقصـــد الجهاد وليس استغاثة من أحد كما حدث في المرتين السابقتين.

جاز أمير المسـلمين العدوة وفوّض قائده سـير بن أبي بكر اللمتوني شـؤون الأندلس وأمره بعزل بقية أمراء الطوائف، عدا ســـرقســـطة التي كانت تحت حكم المستعين بن هود الذي كتب إلى يوسف بن تاشفين كتاباً يقول فيه: "نحن بينكم وبين العدو سداً وقد قنعنا بمسألتكم""[1]، تفهم يوسف موقف المستعين لقرب حدودهم من النصارى، وبذلك تمكن من التخلص من ملوك الطوائف بالأندلس، وأصبحت الأندلس ولاية مغربية بفضل جهود دولة المرابطين.

وكـان لقيـام دولـة المرابطين أثر كبير في صـــيـاغـة تـاريخ البلاد العربيـة الإســلامية بوجه عام، وتاريخ المغرب والأندلس بوجه خاص، وذلك في النجاح الذي حققوه في إنقاذ الأندلس من الانهيار والســـقوط وتوحيد المغرب والأندلس تحت راية واحدة أسهمت في نشر الإسلام وتقرير مصير هذه البلاد إلى أمد بعيد.

وعلى الرغم من العقبات التي واجهت قيام دولة المرابطين فإنهم اســـتطاعوا تحريك وتغيير مجرى تاريخ المغرب، وأعادوا تشـكيل الخريطة السـياسـية والمذهبية والعسكرية في القرن الخامس الهجري الحادي عشر ميلادي، فامتدت دولة المرابطين في مجال جغرافي واسع، اختلف المؤرخون والجغرافيون في ضبطه، وقد اتسعت هذه الأراضـــي وتقلّصـــت حســـب الطريقة المعتمدة في العلاقات الاجتماعية والتحالفات السـياسـية التي عرفتها منطقة الصـحراء وبلاد السـودان الغربي منذ الفتح لإفريقيا الغربية ما وراء الصحراء.

---

(1)مجهول: الحلل الموشـية، ص60، حسـين مؤنس: الثغر الأعلى الأندلسـي، مكتبة الثقافة الدينية، 1992م، القاهرة، ص16-17.

فقد أدت الصـــحراء الكبرى لأفريقيا الغربية ما لم يؤده المحيط الأطلســـي من الأدوار الحضـــارية المهمة، فقد كانت مســـار بالصـــحراء إلى غربي أفريقيا خلال العصر الوسيط بمثابة مسالك تعبر من خلالها حضارة البحر (المتوسط)، والحضارة الإسلامية إلى أفريقيا جنوب الصحراء عموماً وأفريقيا الغربية بصورة أخص [1].

والســـؤال الذي يجب الإجابة عنه ما هو العامل المهم الذي أدى إلى ســـرعة انتصارات المرابطين في الصحراء وضم العدوّتين؟

من خلال هذه الإشـــكالية نتعرف على العلاقات التي ربطت هذه المنطقة بشـــمال أفريقيا والتي أدت دوراً مهماً في التبادلات الثقافية في موضوع بحثنا هذا.

أما الذي ساعدهم على نجاح مشروعهم السياسي فعوامل عدة نجملها في الآتي:

1- ظهورهم كقوة سُنيّة مُنقِذة، مع اشتداد حركة الاسترداد المسيحي الأندلسي.

2- قامت على حركة إصـــلاحية هدفها الأول الجهاد، واســـتطاعت تصـــحيح العقائد الدينية في بلاد المغرب الأقصى.

3- قامت على ســـواعد تجمعات بشـــرية من ســـكان الســـودان الغربي وهم قبائل بناء وليس هدم، بفضـــلهم أصـــبحت هذه القبائل القاعدة الرئيســـة للدولة الجديدة، التي نحن بصدد دراستها من الناحية الفكرية والعلمية

وبذلك اســـتطاع المرابطون توحيد المغرب والأندلس في كيان ســـياســـي واحد، اتخذ من مراكش عاصـــمة له بعيداً عن أية رقابة مشـــرقية مقابل احترام الخليفة العباســـي، وتمتعت مملكتهم بالاســـتقلال التام، وبدأت العلاقات بين المغرب والأندلس في أحســـن مســـتوى لها في جميع المجالات، ولاســـيما أن الأمراء المرابطين كانوا يشجعون توافد الأندلسيين إلى ديارهم.

---

(1)عبد القادر زباديه: الحضـــارة العربية والتأثير الأوربي في أفريقيا العربية جنوب الصـــحراء، المؤســـســـة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989م، ص5.

والتي انتقلت العلوم المختلفة من خلالهم بين العدوّتين، فالأندلس عُرف بحضارته الراقية، أما المغرب فلا تزال به حضارة ناشئة، لذا فبحكم الوحدة السياسية التي جمعت بين الأندلس والمغرب، فإننا أصبحنا أمام تلاقي منطقتين متباينتين من حيث الإرث الحضاري، غير أن انفتاح العدوّتين تحت راية المرابطين مكَّن الأخيرة من الاستفادة من ذلك الفارق الحضاري في بلاد الأندلس من خلال التبادلات العلمية والمراكز العلمية التي كان لها دور كبير على المنطقة خلال عصر الدولة المرابطية، وهذا ما سندرسه في الفصل الأول من هذه الدراسة المعنون بـ (العلاقات الثقافية بين العدوّتين ودورها في نشأة مراكز العلم في عصر المرابطين).

الفصل الأول

العلاقات العلمية بين العدوتين ودورها في نشأة مراكز العلم في عصر المرابطين

المبحث الأول: العلاقات الثقافية بين المغرب الأقصى والأندلس وبداية تطور الحركة الفكرية

.

المبحث الثاني: مراكز العلم في بلاد المغرب الأقصى وأهمية الرحلة في نمو العلائق الثقافية

المبحث الثالث: إسهامات الرحلات العلمية في تقدم العلوم في المغرب الأقصى والأندلس

المبحث الرابع: انتشار العلوم الدينية.

المبحث الأول:
العلاقات الثقافية بين المغرب الأقصى والأندلس وبداية تطور الحركة الفكرية

يمتد تاريخ التواصل الحضاري بين الأندلس والمغرب إلى أيام الفتح الإسلامي الأولى وتمثل ذلك في الهجرات المستمرة بين العدوتين ،وتعد مدينة فاس إحدى المدن التي استقبلت هجرة الربضيين القرطبيين إلى جانب غيرها من المدن في أواخر القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي،واخذت العلاقات تتوطد بفعل الهجرات المستمرة وبداية من عصر المرابطين الذي وحَّد بين العدوتين أخذت الحضارة الأندلسية تؤثر في الحضارة المغربية بشكل كبير وإلى هذا يشير المؤرخ عبد الواحد المراكشي عند حديثة عن عصر الأمير علي بن يوسف فيقول: "ولم يزل أمير المسلمين علي بن يوسف (500هـ/1106م) من أول أمارته يستدعي أعيان الكُتَّاب من جزيرة الأندلس، وصرف عنايته إلى ذلك حتى اجتمع لهُ منهم مالم يجتمع لملك"[1]،ويتحدث عن مدينة فاس فيقول إنها "اجتمع فيها علم القيروان وعلم قرطبة"[2]. وامتداداً للتواصل الحضاري بين العدوتين بدأ المغاربة ينهلون من فيض الثقافة الأندلسية، وازداد حجم التأثير والتأثر حتى بدا التقارب بينهما في المستوى الثقافي إلى درجة المساواة في بعض العلوم والتفاوت في بعضها الآخر وهذا ما نود إثباته في هذهِ الدراسة فالمغاربة متميزون أكثر في الدراسات الفقهية والأصولية، في حين نرى الأندلسيين مبَّرزين في اللغة والنحو والأدب[3]،بينما تتقارب العدوتان في بقية العلوم المتداولة آنذاك لاسيما العلوم الطبيعية.

---

(1)المراكشي: المعجب، ص151.

(2)المصدر نفسه، ص289.

(3)ابن خلدون: المقدمة دار الكتب العلمية، بيروت لبنان،1979، ج1، ص774.

وعند الحديث عن الازدهار الفكري والديني للمغرب والأندلس في عصـــر المرابطين، تظهر لنا المادة الغزيرة المتناثرة في كتب التراث الأندلســـي، ومثال ذلك: كتاب (العقد الفريد) لابن عبد ربه الأندلسـي، وهو موسـوعة دينية مهمة؛ وكتاب نفح الطيب في غصـــن الأندلس الرطيب لأحمد التلمســاني، وهو موســوعة تاريخية عن الأنـدلس؛ وكتـاب التصـــريف لمن عجز عن التـأليف لابن الزهراوي في الطـب، بالإضـافة إلى كتب التراجم والفهارس والرسائل التي تتحدث عن موضوع فضائل أهل الأندلس.

وعلى الرغم من إشارة بعض الكُتَّاب، مثل الهولندي دوزي، إلى ضمور الحركة الفكريـة الأنـدلســـية في ظل دولـة المرابطين بمـا كـان عليهـا أيـام الطوائف من قوة وحيوية، فإن النصــف الأول من القرن الســادس الهجري، زمن المرابطين، شــهد فلباً جمهرة كبيرة من رجال العلم والأدب والدين، وبرزوا بســبب تشــجيع أمراء هذه الدولة للعلم والعلماء، فعادت المدن المغربية، كمكناس وفاس ومراكش وســـلا[1]،وغيره من المدن التي تزخر بطلاب العلم بمختلف فنونه، فصـار المغرب الأقصـى ينعم بنهضـة علمية في ظل ولاة الأمراء المرابطين[2].

عندما وحَّد المرابطون العدوتين وبســطوا نفوذهم عليهما، كان هذا الحدث في تاريخ الحضـــارة المغربية والأندلســـية بداية لامتزاج المؤثرات المغربية (المغرب الأقصـــى) بالأندلســية، وانتقال حضــارة الأندلس إلى بلاد المغرب كله، ما نتج عنه ازدهار في الثقافة والفن في المغرب الإسـلامي بشكل عام، والمغرب الأقصـى بشكل خاص.

---

(1) سلا: مدينة بأقصـى المغرب، وليس بعدها إلا مدينة صـغيرة يقال لها غرنيطة، وهي متوسطة المساحة، يحدها البحر من الشمال والنهر من الغرب، وبينها وبين مراكش تسع مراحل. ينظر: ياقوت الحموي، شهاب الدين بن عبد الله، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، د.ت، ج3، ص، 231، ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص. 319.

(2)حســـن علي حســـن: التعليم بالمغرب الأقصـــى في عهد المرابطين والموحدين، مطبعة الجامعة، القاهرة، 1974م، ص. 61.

عاش المغرب الأقصـــى منذ قيام دولة المرابطين ثورة فكرية وعلمية كبيرة، وذلك بسبب تشجيع أمراء الدولة للعلم والعلماء، ولما اتجه التعليم جهة دينية فحسب، بل شـــمل الحياة الأدبية كلها، فضـــلاً عن العلوم الأخرى كالطب والتاريخ والجغرافيا وغيرها، الأمر الذي جعله نفحة فكرية أندلســـية على المغرب، ويعزى تطور الحركة الفكرية في المغرب والأندلس إلى عدد من العوامل أهمها:

1- اســتقرار الأوضــاع بالمغرب الأقصــى، فبعد أن كانت المنطقة تتقاســمها إمارات متناحرة، تسودها الاضطرابات والثورات نتيجة الحمال القبلي الذي عاشته قبل حكم المرابطين [1]،إذ بالبلاد تتخلص من حالة الفوضـــى التي عاشـــتها نتيجة ســـيطرة المرابطين على مقاليد الأمور بالبلاد[2]،وتتوحَّد في ظل حكومة مركزية واحدة، وقد صـــحب هذا الاســـتقرار امتداد ســـلطانهم على أيام الأمير علي بن يوســـف من سجلماسه في الجنوب إلى شمال بلاد الأندلس[3].

2- إذا نمى الحياة الفكرية في عهد المرابطين إلى انشغال ملوك الطوائف بتوافه الأمور وتلاعبهم بقيادة شـــؤون الأمة، ما أفقد العديد من العلماء ثقتهم بهم، وتوجهوا إلى المغرب لدعم الدولة الفتَّية[4].

3- الصـلة القوية التي نشـأت بين العدوتين منذ أن أصـبحت الأندلس إقليماً تابعاً لدولة المرابطين، الأمر الـذي أتـاح لأمرائهم وقـادتهم الاطلاع على الحركـة الفكريـة المزدهرة في الأندلس والاســـتفادة منها[5]،كما رحبوا بالعلماء والأدباء الأندلســـيين

---

(1)خليل إبراهيم الســامرائي، علاقات المرابطين بالممالك الإســلامية بالأندلس، منشــورات وزارة الثقافة، العراق، 1985م، ص. 351.

(2)ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص. 78-79.

(3)المصدر نفسه، ص79.

(4)حسن السائح، دفاعاً عن الثقافة المغربية، دار الكتاب، الدار البيضاء، د.ت، ص. 106.

(5)حسـن علي عبد الجواد: الحياة الإدارية والاقتصـادية والاجتماعية في المغرب، كلية دار العلوم –قسـم التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، 1973م، ص. 505.

الوافدين إلى المغرب والذين هاجروا فراراً من المعارك التي شـهدتها الأندلس خلال العصـر المرابطين ضـد الإسـبان، لينعموا بالاسـتقرار والطمأنينة، فنتج عن ذلك الانتقال الفكري بين الأندلس والمغرب، فتدفقت الثقافة الأندلسـية المتنوعة إلى المراكز العلمية للمغرب، كما انتقل أبناء المغرب من قادة ورعية لينهلوا من علوم الأندلس دون حرج، وقد نتج من كل هذا ثورة ثقافية بالمغرب أحدثتها تلك الصـلة الوثيقة بالأندلس[1].

4- تشجيع ولاة الأمر للعلم والعلماء: وهذا أمر منطقي، إذ إن الدولة قائمة على أساس ديني انطلاقاً من رباط السنغال الذي أنشأهُ بنياسين[2].

5- رغبة كثير من أبناء المغرب في طلب العلم، فكانت الرحلة إلى الأندلس لطلب العلم أقرب وأسرع منها إلى المشرق، مع وجود عامل التشجيع والحث على السفر وطلب العلم والمعرفة[3]،حيث كان يقيم الإمام علي الصـدفي[4]للأخذ عنهُ ،ومن أشهر تلامذته من المغاربة القاضي عياض[5].

لقد حرص الأمراء في عصـر المرابطين على تعليم أبنائهم على أيدي كبار الشيوخ، فالأمير علي بن يوسف بن تاشفين بعث بابنه أبي بكر إلى الطبيب الأندلسي

---

(1)السامرائي: علاقات المرابطين بالممالك الإسبانية، ص. 352.

(2)ابن الأبار: المعجم في أصـحاب القاضـي الإمام أبي علي الصـدفي، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، مصـر، 1420هـ / 2000م، ج1، ص. 212.

(3)محمد بن تاويت: الوافي بالأدب العربي في المغرب الأقصـى، دار الثقافة، الدار البيضـاء، د.ت، ج1، ص 51.

(4) علي الصدفي: هو الإمام الحافظ أبو علي الحسين بن محمد بن فيرة بن حيّون سكره الصدفي من سرقسطة (454هـ – 514هـ)، قاضـي أندلسـي من مشـاهير حفاظ الحديث في الأندلس، وأطولهم رحلة في طلب الحديث، ينظر ابن الأبار: معجم أصـحاب القاضي أبي علي الصدفي، ص. 5-6.

(5) القاضي عياض: أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض السبتي اليحصبي (476هـ – 544هـ / 1083م – 1149م)، القاضي المالكي والفقيه والمؤرخ، ينظر: النباهـي، أبو الحسن علي بن عبد الله (ت713هـ) تاريخ قضاة الأندلس، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ص. 101.

مروان بن زهر ليعلمه [1]،وكذلك حرص الأمير إبراهيم بن يوسف بن تاشفين على سماع الحديث من الشيخ أبي علي الصدفي [2]وحرص أيضاً الأمير ميمون بنياسين الصنهاجي على سماع الحديث، والرحلة من أجل الدراسة [3]،وقد حرصوا عند اختيار معلمهم أن تتوفر فيه صفة التدين والصلاح [4].

كما حرصت الأسر الثرية على تعليم أبنائها واستئجار المؤدبين لتعليمهم [5]، ونجد أسرًا عريقة عرفت بالجاه والعلم، أي أنهم جمعوا بين العلم وجاه الثروة، ومن هذهِ الأسر أسرة بني الملجوم بفاس التي عرف كثير من رجالها بالعلم.

ومِن تشجيع ولاة الأمر نجد أن الأمير أبي بكر بن عمر اتخذ العالم الفقيه أبو بكر المرادي[6] وزيراً وجليساً ومشاوراً ومعلمًا، وطلب منه أن يكتب له كتاباً في أصول الحكم السياسة أو الإشارة في تدبير الإمارة [7]،ويشمل موضوعات مثل الغضب والحزم والانفاق والحروب والتحايل السياسي.

---

(1)عصمت دندش: دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب أفريقيا، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988م، ص145.

(2)المرجع نفسه، ص144.

(3)أبو عبد الله محمد بن عبد الملك: الذيل والتكملة، تح/ محمد بن شريفة، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، د.ط.ت، ص405.

(4)دندش: دور المرابطين، ص144-145.

(5)السيوطي: جلال الدين: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تح/ محمد أبو الفضل إبراهيم المكتبة العصرية للطباعة، بيروت: د.ت، ج1، ص302.

(6) ابوبكر المرادي، الشيخ أبوبكر محمد بن الحسن المرادي الحضري، انتقل إلى بلاد شنقيط رفقة أبي بكر بن عمر المرابطي، حيث استقر قاضيا بأركي، ودخل قرطبة في شيخوخته عام 487هـ، أخذ علم القراءات عن ابي مروان بن سراج، وأول من أدخل علوم الاعتقادات بالمغرب الأقصى وعنه اخذ الشيخ موسي الكلبي الضرير العقيدة الاشعرية، ينظر: الزيات ، التشوف إلى رجال التصوف ، ص106.

(7) دندش: أضواء جديدة على المرابطين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988م، ص103.

ويذكر ابن عذاري المراكشي أن الأمير يوسف في أول جواز له للأندلس نزل بالجزيرة الخضراء، فبادر إليه قضاة الأندلس وفقهاؤها وزعماؤها ورؤساؤها، فامتدحه الشعراء فأجزل لهم العطاء [1]،وهذا يدل على مدى اهتمام الأمراء بالأدب والشعر

وقد بلغ من تقدير أمراء المرابطين ورجال دولتهم للعلم أن نجد أحد سراة لمتونه وكان عاملاً على دكالة [2]عرض على أحد العلماء أن ينقطع صحبته، وضُمِّن له أن يعطيه ألف دينار ذهبًا [3].

وكانت حاشية الأمراء المرابطين تضم كبار العلماء والأدباء، تنافس بذلك حاشية أمير المسلمين نفسه، واشتهرت في ذلك حاشية تاشفين وحاشية إبراهيم بن يوسف [4].

وإضافة إلى ذلك نجد أكثر علماء المرابطين في الأندلس درسوا على أيدي أشهر العلماء [5]، وكان كل أمير أو قائد يقلد المسلمين في تشجيعهم للعلم والعلماء، فاتخذوا الشعراء والأدباء جلساء لهم، وقربوا الفقهاء والعلماء والفلاسفة وأغدقوا عليهم وشجعوهم بكل وسيلة، وعملوا على استقدام جُلة العلماء من أهل الأندلس.

وبذلك يعد تشجيع المرابطين للعلماء والمفكرين من أبرز العوامل التي أسهمت في ظهور النهضة الفكرية في المغرب الأقصى خلال فترة حكمهم، فقد أدت جهودهم في أعمال البحث العلمي وتعزيز التعليم إلى خلق بيئة مثالية للإبداع والابتكار، وأن هذا الدور لم يكن مجرد استثمار في المعرفة، بل كان رؤية استراتيجية لتعزيز مكانة المغرب الأقصى كمركز للعلم والثقافة في العالم الإسلامي .

---

(1)ابن عذارى: البيان المُغرب، ج4، ص48

(2) بلد بالمغرب يسكنه البربر، ياقوت الحموي: معجم البلدان ج2، ص459.

(3)عبد السلام شقور: القاضي عياض الأديب، دار الفكر، الرباط، 1983م، ص41، وينظر: ابن فرحون، الديباج المذهب، ج1، ص213.

(4)عبد السلام شقور: مرجع سابق، ص41.

(5)ابن الأبار: المعجم، ص8-20.

المبحث الثاني: مراكز العلم في بلاد المغرب الأقصى وأهمية الرحلة في نمو العلائق الثقافية مع بلاد الأندلس.

ترك المسلمون في المغرب والأندلس منذ الفتح وحتى القرن السابع الهجري مساجد كثيرة كان لها آثار بارزة ظلت باقية على مر العصور لترشد الأجيال المتعاقبة على سمو حضارة المرابطين والموحدين.

لم يكن المغاربة يهتمون بالتعليم إلا بعدما احتكوا بحضارة الأندلس الرفيعة، وبدأوا يتعلمون من الأندلسيين الذين عُرفوا بحبهم للعلم، وشغفهم الكبير بالتعليم، فاهتموا بتربية أبنائهم منذ نعومة أظافرهم، ولم يكن التعليم مقصوراً على الصبيان، بل شمل البنات أيضاً، إذ كانوا يرسلون أبنائهم إلى الكُتَّاب الذي يسمونه (المحضرة) أو (الحُضار)، أو (المسيد) [1]،فقد تعددت المؤسسات التعليمية بالمغرب الأقصى أيام المرابطين، فقد كانت هناك الكتاتيب التي كان الصبية يتعلمون فيها مبادئ القراءة والكتابة ويحفظون كتاب الله عز وجل، كما كانت هناك الربط (الربطات) والتي تعد من أقدم المؤسسات التعليمية لدى المسلمين، وكذلك المساجد والزوايا ، وسوف نتناول هذه المؤسسات التعليمية بشيء من التفصيل، وهي على النحو التالي:-

اولاً / الكتاتيب:

اشتُق اسم الكُتَّاب من التكتيب والكتابة، وهو المكان الذي يتعلم فيه الصبيان القرآن الكريم والقراءة والكتابة، ويرتبط ذكره بالمرحلة الأولى من التعليم [2].

وقد تعددت تسميات الكُتَّاب بالمغرب العربي في العصر الإسلامي نظراً لتساع مساحته، ففي بعض الجهات يعرف باسم (الشريعة) وهي كلمة تعني الكُتَّاب الريفي أو الخيمة المدرسية عند البدو [3]،وذلك يدل على أن الكُتَّاب قد شاع في

---

(1)ابن عبدون: عبد المجيد بن عبد الله بن عبدون (ت 527هـ/1132م) رسالة في الحسبة، نشر ليفي بروفنسال، المعهد العلمي الفرنسي، القاهرة، 1955م، ص25.

(2)ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمد (ت 711هـ) ، لسان العرب، ط3 ، دار صادر، بيروت، 1994م، ج1 ، ص699.

(3) المالكي :أبو بكر عبد الله ، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وقضاتهم وأوصافهم، تح/ حسين مؤنس، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1951، ج1، ص91.

المدن والبوادي على حد سواء [1]،يُعلم الناس الدين واللغة احتساباً لوجه الله تعالى، وأنه استقل عن المسجد واختص بالتعليم فقط، من القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي [2]،وذلك انهُ ليس مسجداً بالمعنى الدقيق.

وهناك قول آخر يشير إلى اسم ثانٍ للكُتَّاب وهو "المحضر" وهو جمع محاضر، وهو ما كان يُستخدمه أهل المغرب الأقصى، وهو عبارة عن حجرة واحدة مجاورة للمسجد غالباً ما تكون كبيرة [3].

لقد كانت الكتاتيب على عهد الفاتحين عبارة عن خيمة تصحب المعسكر الإسلامي، وهذا طبعاً قبل بناء الحواضر الإسلامية، وكان المسلمون عادة ما يصحبون نساءهم وأطفالهم معهم، فكان الكُتَّاب يؤدي دوره في كل مكان،[4] وبمجرد أن تمَّ الاستقرار في الحواضر أسسوا الكتاتيب القرآنية، فكانت تحظى بعناية مميزة عن باقي الأمصار الأخرى، ذات أشكال هندسية تتماشى مع تعاليم التربية التي توصي بعدم تزيين الكُتَّاب بالحرير والصور ونحو ذلك [5].

وتحاشى السلف تعليم الصبيان في المساجد تحفّظاً من النجاسة، ويخضع الطفل إلى فترة تأديب، وثمة أمور يجب أن يتعلمها، ولكن لا يمكن تعلمها في المسجد مثل اللغة والأدب والخط، لهذا ظهرت مؤسسة المكتب أو الكُتاب، وهذه المؤسسات ظهرت في أنحاء العالم الإسلامي في أوقات مختلفة، ولكن دخل عليها شيء من التنظيم في القرنين الرابع والخامس الهجريين، فنجد نوعين من هذه المؤسسات: المكتب والكُتَّاب، المكتب يدخل فيه التلميذ في سن تتراوح بين الخامسة والسابعة، أما الكُتاب فيُنقل إليه في سن العاشرة، ويسمى القائم بالتعليم في المكتب أو

---

(1)المالكي: رياض النفوس، ج1، ص89-91.

(2)عثمان الكعاك: مراكز الثقافة في بلاد المغرب، جامعة الدول العربية، القاهرة، 1958م، ص70-72.

(3)احمد بدر: مؤسسات التعليم عند المرابطين والموحدين، المجمع المالكي للبحوث والحضارة الإسلامية، عمان 1989م، ج2، ص410، وينظر: عبد القادر زمامه، (العقلية القرآنية ومظاهرها الاجتماعية والفكرية في المغرب)، مجلة دعوة الحق، عدد7، السنة 12، جوان 1968م، ص115.

(4)إبراهيم العبيدي: تاريخ التربية في تونس، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، د.ط.ت، ج1، ص102.

(5)المرجع نفسه، ص103.

الكُتّاب (المؤدب) أي مؤدب الصبيان،[1] وكان لابد من أن تتوفر في المؤدب شروط عدة، منها: أن يكون عالماً، صـــادقاً، وأن يكون على المذهب المالكي، وأن يكون شـيخاً كبير السـن قليل الكلام، وألا يحضـر الجنائز البعيدة حتى لا يهمل الصـبيان ويتغيب عنهم، أما المواد التي كانت تدرس لهؤلاء الصـــبيان في المرحلة الأولى من الكُتَّاب فكانت القرآن الكريم وتجويده، وجعلوه أصـــل التعليم، ثم أخذوا له قوانين اللغة العربية لتساعدهم في صحة قراءة القرآن الكريم [2]،لذلك حرص المسلمون منذ ظهور الإسلام على العلم والتعليم لأنه هو الحصن المتين أمام أي اختراق أو تشويه لمعالم الدين، وقد ورد في إحدى رسائل الصفا المرصّعة بصيغ (أفعال التفضيل) تمجيداً لتعليم ورفع شـــأنه، حيث قالوا: "ليس من فريضـــة من بين جميع فرائض الشـــريعة وأحكامها أوجوب ولا أفضل ولا أجلّ ولا أشرف، ولا أن فعل للعبد، ولا أقرب لهُ، بعد الإقرار بهِ والتصـــديق بأنبيائه ورســـله فيما جاءوا به وخبروا عنه، من العلم وطلبه وتعليمه""[3]، ويتضـــح من النوازل والفتاوى الفقهية أن المرحلة الأولى من التعليم في المغرب والأندلس هي التي يتلقى فيها الصبي العلم على أحد المؤدبين في المكتب أو الكتاتيب، وكلمة المحضرة أو الحُضار ما زالت مستعملة في المغرب الأقصى حتى الآن [4]،وعلّل أحدهم تسـمية الكُتَّاب بالمحضـــرة، لحضـــور التلاميذ إليه، ولكونه يحضرهم ويهيئهم لمستويات التعليم المتوسط والعالي [5]،أما المسيد فهو كُتَّاب ريفي أول ما ظهر بالأندلس، يتعلم فيه التلاميذ مبادئ القرآن والعربية والشـــعر العربي،

---

(1)نقولا زيادة: صانعوا الحضارة الإسلامية (المعلم)، (إيقاع على أوتار الزمن) كتاب العربي الكتاب رقم47، الكويت، 15يناير 2002م، ص176.

(2)خوليان ريبيرا: التربية الإسلامية في الأندلس، تح/ طارق مكي، دار المعارف، القاهرة د.ط.ت، ص111.

(3)نبيل علي: الثقافة العربية وعصر المعلومات (رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي) سلسلة عالم المعرفة، العدد 276، الكويت، 2001م، ص276.

(4) ابن حيان القرطبي: أبي مروان حيان بن خلف (ت469هـ/1076م) ، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تح/ عبد الرحمن علي الحجي، بيروت دار الثقافة، لبنان، 1965م، ص207، وينظر: كمال السـيد أبو مصـطفى، جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار المعرب: للونشريسي، مركز الإسكندرية للكتاب،الإسكندرية، 1997م، ص113.

(5)الزجالي: أبي يحيى عبيد الله أحمد القرطبي (ت694هـ/1294م) أمثال العوام، تح/ محمد بن شـــريفة، الدار البيضاء، 1988م، ج1، ص213.

ويستخدم المسيد أحياناً مصلى لأهل الريف بالأندلس، والريف (شمال المغرب) في حالة افتقاره للمسجد [1]،وتجدر الإشارة إلى أن كثيراً من مساجد جبل نفوسة سُمّيت بالمسيد، وهي تختص بتعليم الصبيان كمرحلة ابتدائية، وهذا ما يدل على الترابط الديني بين المغرب كله، وتبدأ هذه المرحلة عندما يبلغ الصبي التمييز فيما بين الخامسة والسادسة من عمره [2].

والمسيد هو المدرسة الأولى و لم تكن تخلو منه منطقة من المناطق، سواء في البادية أو الحاضرة، وتقوم على أساس الفصل الواحد والمدرّس الواحد وهو الفقيه[3]،وتجدر الإشارة إلى أن المحضر والمسيد شهدت تطوراً من حيث المعمار، وأصبحت هذه الأماكن مساجد، وكان الأب ملزم بتربية ابنه وتعليمه، حيث كان الآباء الأثرياء يستأجرون مؤدباً "ليعلم أولادهم بحدقة" [4].

وكان للمرابطين دور كبير في الاهتمام بمهمة الكُتَّاب، حيث أصبح تشجيعهم للعلماء والمؤدبين أصدق، فكانوا يخصصون الجزء الأكبر من الزكاة لطلاب العلم والعلماء والمؤدبين، فأسدوا بذلك خدمة كبيرة للعلم والحضارة في بلاد المغرب، والكُتاب كمؤسسة أُولى أدّت دورها في التعليم والتربية في جميع العصور [5].

ثانياً / المساجد:

المساجد عبارة عن جامعة قائمة بذاتها، فيها تربَّى الصحابة الذين فتحوا الأمصار والإمبراطوريات ونشروا الإسلام وتعاليمه، وتزودت المساجد بمكتبات تساعد الطلاب في رفع مستواهم العلمي والأدبي، ومسجد قرطبة خير دليل على ذلك،

---

(1)عثمان الكعاك: مراكز الثقافة في بلاد المغرب، ص189.

(2)دندش: الأندلس في نهاية المرابطين ومستهَل الموحدين، دار الغرب الإسلامي، بيروت: 1988م، ص369.

(3)محمد خرماش: دور المراكز التقليدية في الإشعاع الثقافي بالمغرب، مجلة الحضارة الإسلامية، العدد الثاني، المعهد الوطني العالي للحضارة الإسلامية، وهران، الجزائر، 1416هـ/1969م، ص165.

(4)محمد عبد الحميد عيسى: تاريخ التعليم في الأندلس، دار الفكر العربي، القاهرة، 1982 م، ص258، ينظر: نقولا زيادة، صانعوا الحضارة، ص177.

(5)أحمد شلبي: تاريخ التربية الإسلامية، ط4، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ،1973م، ص44-46.

والمرابطون تشـــهد لهم المصـــادر [1]بالجد والعمل الكبير في قيامهم بأمر المســـجد، وآثارهم باقية رغم ما حدث له من تشويه بمجيء الموحدين.

وقد تهاتف على مسـجد قرطبة طلاّب العلم من جميع أنحاء العالم الإسـلامي والمسـيحي، ولشـهرته يُعد أكبر جامعة في أوروبا، وأغلب الظن أن إجماع الدارسـين على أن جامع قرطبة عاش جوّاً علمياً لا نظير لهُ في هذا العصـر، حتى كان مجمع طلاب العلم من المغرب وغيرهم من البلدان العربية والأوربية [2]،وأشهر من درس فيه بن رشد الجد (ت520هـ/1126م) على عهد المرابطين، وهو قاضي الجماعة بقرطبة وصاحب صلاتها [3]،كما عُرِف مسجد إشبيلية مركزاً للعلم في عهد المرابطين، حيث جلس فيه محمد بن العربي[4] ما يقارب الأربعين سنة مدرساً ومؤلفاً، وهو ممن تُشدُّ إليه الرحال في الغرب الإسلامي، وكانت إشبيلية قبلة العلماء والطلاب، وتميَّز مسجد ابن بقي بإشـبيلية أيضـاً بمدرس القرآن أحمد بن عبدالله بن جابر بن صـالح الأزدي (ت536هـ/1142م) الذي أقرأ فيه القرآن مدة ستين سنة [5].

أمام مسجد القرويين، فكان من أهم المساجد الجامعة في بلاد المغرب، أنشأته أختان وهما فاطمة ومريم الفهري سـنة (245هـ/859م)[6]،عندما دخل يوسـف بن تاشـفين مدينة فاس سـنة (462هـ/1070م) حصَّـنها وأمر بهدم الأسـوار التي كانت

---

(1)يوسف اشباخ: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ج2، 2011، ص251.

(2) مصطفى بن صالح باجو: أبو يعقوب الورجلاني وفكره الأصولي مقارنة بأبي حامد الغزالي، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير، معهد الشريعة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، 1413هـ/1993م، ص91.

(3)النباهي الأندلسي: تاريخ القضاة، ص98.

(4) كان قاضياً ومفسراً ومحدثاً وفقيه مالكي، وعرف بتبحره في العلوم وتولي قضاء إشبيلية، أشهر كتبه القبس في سرح موطأ مالك واحكام القرآن وعارضه الأحوذي في شرح الترمذي وغيرها (ت سنة 543هـ/1148م)، ينظر: ابن سعيد، علي بن موسى المغرب في حُلي المغرب ،ط1 ،دار الكتب العلمية ،بيروت،ج1،ص183.

(5)أحمد بن عبد الله بن جابر بن صـالح الأزدي، من أهل إشـبيلية يكنى أبا عمر سـمع من أبي عبد الله بن منظور وأبي محمد الباجي، وكان يؤم بمسـجد ابن بقي من داخل إشـبيلية ويقرئ فيه القرآن دائباً على ذلك نحواً من ستين سنة ولم يخرج عنه إلا لصلاة الجمعة وكان مشهوراً بالفضل والصلاح؛ ابن الابار: التكملة لكتاب الصلة، نشر عزت العطار الحسني، مكتبة الخانجي، مصر ،1955م، ج1، ص45.

(6)ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص21.

تفصـله بين المدينتين (عدوة القرويين وعدوة الأندلس)، فأصـبح بذلك الجامع الرئيس بفاس، وكان مقراً للعلوم الإسلامية وتربية المسلمين

فكانت الحلقات العلمية معهداً مفتوحاً لكل راغب في الاســـتزادة في العلم، حضـرها وقتما شـاء وتعلم، فبرز من هذه الحلقات علماء الفكر والأدب في الإسـلام، حيث نفعوا العامة والخاصـة من الأمراء والرؤسـاء، وبذلك كان أمراء المرابطين أكثر حرصـــاً على التعليم وأنفعه للرعية، حتى أصـــبح منهم من لهم مشـــاركة في رواية الحديث وجمع دواوينه.

وقد أدى المسجد دوره كمركز إشعاع ثقافي وحضاري، وزادت مكانته في تاريخ الغرب الإســـلامي في أيام المرابطين، حيث أصـــبح المســـجد المركز الذي تقوم فيه القضـــايا الكبرى للدولة، ولا ســـيما أن الدولة المرابطية قد قامت على أســـاس ديني، ولهذا كان تعانياً المرابطين ببناء المسـاجد وتعميرها كونها مراكز تعليمية، فضـلاً عن أدائه الوظائف الدينية المعروفة.

فالنصـوص الخاصـة بهذا العصـر تؤكد أن التعليم ظل في المسـجد كما عبّر عنه ابن عبدون الإشـبيلي، الذي طالب بهذه القاعدة وهي عدم تدريس الصـبيان في المسـاجد لاحتمال النجاسـة على أرجلهم وملابسـهم وعدم تحفّظهم من حمل ما يسـئ لنظافة المكان [1]،وفي حالة انعدام إمكانية التدريس في المســـاجد، كان الصـــبيان يقصـدون منزل المؤدب أو المدرسـة للقراءة عليه والسـماع منه، وأحياناً جرى التدريس في الزوايا[2]، إحدى الرباطات[3]، أوالحانوتات، يقول ابن حيان في صـــدر جمادى الأولى (356هـ/967م): "أنفذ الخليفة تحبيس حوانيت السـراجين بسـوق قرطبة على المعلمين الذين قد كان اتخذهم لتعليم أولاد الضعفاء والمساكين بقرطبة"[4].

---

(1)ابن عبدون: رسالة في الحسبة، ص24.

(2)محمد خرماش: دور المراكز التقليدية في الإشعاع الثقافي بالمغرب، ص167.

(3) محمد الأمين بالغيث: الربط بالمغرب الإســـلامي، القافلة للتوزيع والنشـــر، الجزائر، د.ت، ص192 وما بعدها.

(4)ابن الآبار: التكملة ج2، ص495، وينظر: ابن حيان القرطبي، المقتبس، ص207.

فكان بعض العلماء في هذا العصر يستقبلون طلابهم وزوّارهم في دورهم، قال القاضـي عياض وهو يتحدث عن ابن الحاج الشـهيد: "قرأ تعليه في داره جميع كتاب غريب الحديث لأبي محمد بن قتيبة وعارضت كتبي في كتابه""[1].

كما كان الحانوت بالأندلس مكان علم وأدب، والحانوت عند الأندلسـيين موضـع النسـخ والفتوى والتقييد والتوثيق والإقراء والتعليم، ولهذا تعددت مؤسـسـات التلقي والطلب وكان الأهم في كل هذا صـدق الناس في البحث عمّن يعلّمهم الكتاب والسـنة وأشـعار العرب وتاريخهم وتاريخ فتح الأندلس، وما يتعلق بأمور دينهم، فتعددت بهذا الأماكن والمؤسسات التي تؤدي هذه الوظائف التربوية والتعليمية.

ثالثاً /الزوايا:

يمكن القول إن الزاوية تعادل الرباط تماماً، إلا أنها أكثر خصـوصـية منه بمعنى أن الزاوية تركز في مهامها على التعليم الديني، وأداء الشعائر، بخلاف الرباط الذي تعدد وظائفه. ويذكر الأسـتاذ الكعاك أن الزاوية مرحلة وسـطى بين الكُتّاب والمدرسـة، ويصـفها بأنها مدرسـة ابتدائية عليا اسـتقلّت عن الرباط في العصـر الموحدي[2]،ويمكن تصـنيف الزوايا في بلاد المغرب العربي على أسـاس أنواع ثلاثة: الزاوية البسـيطة: التي تُبنى على ضـريح ولي، ولم تنسـب إلى ولي أو إلى طريقة صـوفية [3]،و زاوية ذات الولي: المنشـأة حول ضـريح لأحد رجال الدين،وهناك زاوية ذات الولي: المنشـأة حول ضـريح لأحد رجال الدين [4]،وهي تتجمع في العادة بين العلم والتعليم، وهو ما يتعلق بالأناشـيد المشـتركة بين الطرق الصـوفية، والعمل على ترتيب هذه الأناشيد والبرنامج الدراسي الموحد بين عموم الزوايا [5].

---

(1)القاضي عياض: الغنية وفهرست شيوخ القاضي عياض، ص48.

(2)عثمان الكعاك: المراكز الثقافية في بلاد المغرب، ص52.

(3) المرجع نفسه، ص52.

(4)المرجع نفسه، ص52.

(5)المرج نفسه، ص52.

رابعاً /الرباطات:

في اللغة: تشـــير المعاجم اللغوية الى أن الرباط جمعهُ رُبُط، وهو لفظة تعني في الأصــل إعداد الخيل وربطها، وملازمة ثغر العدو، والثغر هو منفذ البلاد بحراً أو برّاً وممر عبور إلى العدو.[1]

وفي المصطلح الاصطلاحي: يشير معنى الرباط الى بناء عسكري ديني يُشيَّد ليكون مقرّاً للمتعبدين المجاهدين في ســـبيل الله، والمرابطين فيه يجمعون بين الدفاع عن أرض المسلمين (الجهاد) وبين العبادة والزهد [2].

وفي هذه الرباطات كانت تتناسق فيها أعمال عدة، منها الجهاد ومباشرة التعليم وأعمال اقتصـادية بمباشرة الزراعة وتعمير الأراضـي من قبل المرابطين لما حولهم من الأرض، حتى أصبح الرباط بهذا العمل التوحيدي عاملاً من عوامل الثقافة في تكوين الروح الثقافية بالمغرب واتسـاعها وترسـيخ آثارها في النفسـية الشـعبية. وهذا المنهج، والذي امتدت به الرباطات والزوايا في ســـلســـلة صـــحراوية طويلة، فقامت الحركة المرابطيـة في النصـــف الأول من القرن الخـامس الهجري بتوحيـد أعمـال الزهـد والروحانية، وأعمال جهادية تربوية، وأعمال تعميريه اقتصـــادية وزراعية وصـــناعية، فكان تمثلاً فقهياً متميزاً في التحضّر الإسلامي [3].

حققت الرباطات غرضـها الدفاعي وتوغّل حركة المرابطة [4]،نحو الداخل حتى وصـلت السـودان، وأشـهر الرباطات وادي تازة، ورباط وادي ماسـة [5]،ورباط النفيس،

---

(1) ابن منظور : محمد بن مكرم الافريقي، ط3، دار صادر، بيروت، 1414هـ، ج7، ص105.

(2)النجار: فقه التحضر الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1999م، ج1، ص69 وما بعدها، ينظر: بالغيث، الربط بالمغرب الإسلامي، ص2.

(3)عبد المجيد عمر النجار: مرجع سابق، ص70، وينظر: محمد الأمين بلغيث، مرجع سابق، ص198.

(4) المرابطة: هي حركة دينية روحية ظهرت قبل ظهور المرابطين، ومارس الأندلسـيون المرابطة باعتبارها نشـاطاً معوضـاً عند عدم إمكانية قيامهم بالجهاد، ينظر: السيد عبد العزيز سالم، الرباط في التاريخ الإسلامي، ص259، بلغيث: مرجع سابق، ص198.

(5)ماسة: يقع وادي ماسه في منطقة سوس، جنوب المغرب وينبع من جبال الأطلس الصـغير ويتجه نحو المحيط الأطلسـي، ويصـب بمنطقة تسمى رباط ماسة، وهي المدينة التي وقفت ورفعت لواء المعارضة والثورة في وجه الدولة المرابطية، ينظر: محمد المنوني، حضارة وادي درعة من خلال النصوص والآثار، مجلة دعوة الحق، السنة الثامنة عشر، العدد الثاني، المغرب الأقصى، 1973م، ص133 وما بعدها.

وهو من المدن التي غزاها عقبة بن نافع سنة (52هـ/682م) وبنى فيه مسجداً ظل إلى القرن السادس [1]وأصبح يُعرف برباط عقبة أو رباط نفيس، وكان مكاناً لتجمع المصامدة [2]،وقد تأدب فيه عبد الله بن ياسين، ورابط الصحراء انطلقت منه حركة المرابطين، كان على مقربة من مدينة أوليل بأرض قبيلة دكالة، ورباط روطه [3]،ورباط شنترين [4]،ومن الذين تكوَّنوا في هذه الرباطات محمد بن عمر بن المنذر الملقب بأبي الوليد الذي زهد وانزوى في رباط الريحانة على ساحل البحر، تصدَّق بأمواله وتميّز بمعارف أدبية وفقهية [5]،كذلك رباط وادي درعةَ [6].

غير أن هذه الرباطات، التي أدت دوراً مهماً في الدفاع عن الأندلس برفع راية الجهاد ضد المسيحيين، شاركت في الحياة الفكرية بنصيب، وقد أنتجت الرباطات على المستوى الثقافي تخصصاً في صقل القرآن وتفسيره والحديث وعلومه، وقراءة كتب الفقه، وشعر المواعظ الذي يُسمى "الرقائق" [7]والذي كانت تعقد له مجالس خاصة يوم الخميس من كل أسبوع، كما لا يخلو الرباط من أناشيد دينية تسمى العادة

---

(1)مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق/ سعد زغلول، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985 م، ص208.

(2)البكري: المسالك والممالك، ص160.

(3)طاهر الصدفي: السر المصون فيما أكرم به المخلصون، تح/ حليمة فرحات، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1998م، ص83.

(4) شنترين: مدينة عظيمة على جبل عالٍ كثير العلو، وهي من كور باجة، شرب أهلها من العيون ومن ماء النهر، ولها بساتين كثيرة وفواكه، ونهرها يفيض على بطحائها كفيض نيل مصر؛ ينظر الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، ص346؛ وهي أيضاً مدينة المؤرخ الأديب ابن بسام، صاحب الذخيرة في ذكر محاسن أهل الجزيرة، حيث غادرها ابن بسام سنة 486هـ/1093م خوفاً من سقوطها في أيدي البرتغاليين وتوجه إلى مدينة إشبيلية، ثم إلى قرطبة سنة 494هـ/1100م، ودرس على شيوخها وظل بها بقية عمره، ينظر محمد عبد الله عنان: تراجم إسلامية، ص299.

(5)ابن الأبار: الحُلة السيراء، ج2، ص202ومابعدها.

(6) رباط وادي درعة القديمة التي لها علاقة وطيدة بانتشار المساجد والتعليم الديني منذ فجر الإسلام بجنوب المغرب؛ ينظر، محمد المنوني: حضارة وادي درعة، ص133، وينظر: أحمد البوزيدي، مؤسسة الزوايا بوادي درعة، ق10 و11هـ/16 و17م، بين الإشعاع العلمي والانتشار الصوفي، مجلة أمل، المغرب، عدد 19، 2000م، ص32.

(7) الرقائق: وهو كل ما يُعين على ترقيق القلب وتجعله يزهد بالدنيا وترغبه بالآخرة، وكذلك تجعله ينفر من المعاصي وتحضه على أداء الطاعات وكذلك الوقوف على أهم الوسائل المعينة على ترقيق القلب؛ ينظر: محمد أحمد الراشد: الرقائق، ط8، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1984م، ج3، ص10

أو العمل، والعادة هي أناشيد موحدة بين جميع الرباطات، واستمرت الرباطات تجمع بين العمل والعلم، والمرابطة في الثغور للجيوش الإسلامية.

وخلاصـــة القول: يمكن القول إن الرباطات زمن المرابطين كانت تؤدي دوراً مهماً في تطور العلم والمعرفة، إذ كانت تجمع بين النشاطات الروحية والعلمية، وتقدم بيئة مناسبة للدراسة والتعلم، فقد جمعت بين التعليم والتدريس ونشر المعرفة من خلال تنظيم المحاضـــرات والندوات، ووفرت للعلماء بيئة ملائمة للتفكير والنقاش، كما ساعدت في الحفاظ على التراث العلمي والديني من خلال جمع الكتب والمخطوطات وتدوين العلوم، كل هذا أســـهم في تكوين وتدريب علماء متميزين في مختلف المجالات، ما أثرى الفكر العلمي في تلك الفترة.

خامساً /المكتبات:

اعتنى الأندلسيون بالمكتبات، لما لها من دور في نشر العلم والمعرفة، ووجدت فيها الخاصـــة والعامة بغيتها، وحرص المرابطون على تزويد مكتباتهم بكل ما يقع تحت أيديهم من كتب [1]،كانت موارد الكتاب الأندلسي متعددة، إما مؤلفات أندلسية، أو مؤلفات تمَّ جلبها من المشـــرق عن طريق رحلات الحج، أو عن طريق علماء التجار.

وكان أهالي قرطبة أشـــد الناس حباً في إنشـــاء المكتبات بالأندلس [2]،فمن أســـباب الحركة العلمية في الأندلس توفر المصـــنفات اللغوية والدواوين المشـــرقية، فظاهرة جمع الكتب في بلاد الأندلس كادت تكون هواية، ويُعاب على الذي لا يمتلك خزانة كتب في بيته.

---

(1)العريني:يوســـف بن علي ، الحياة العلمية في الأندلس، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، 1995م، مج7، ص123

(2)جرادة: غازي سـعيد، الحياة الاقتصـادية والاجتماعية في العصـر المرابطي بالمغرب، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، 1982م، ص341، وينظر: بلغيث، الربط بالمغرب الإسلامي، ص269-278.

كما كان لانتشار معامل صناعة الورق وانخفاض سعره بشكل ملحوظ الأثر الكبير في تشجيع الطلاب وأهالي العلم على سرعة تداوله على المستوى الرسمي والشعبي، وبدهي أن يؤدي ذلك إلى الشروع في عملية التدوين والتي تعد أساسية لنشأة العلم وتطوره، إذ ظهرت الكتب وأمكن تداولها في كافة ربوع الدولة الإسلامية.

ولذلك ظهرت حرفة جديدة هي (الوِرَاقة) [1]، وكان القائمون عليها في الغالب من أهالي العلم، ومن ذلك ارتبط العلم بصناعة الورق، ومنها انتشرت ظاهرة تجارة الكتب، التي كانت المدخل الأول لبروز اهتمام الناس بجمع الكتب في خزائن لا يزال بعضها إلى اليوم، كخزانة جامع القرويين بمدينة فاس، وخزانة مكتبة الحكم بالأندلس.، وكان أهالي قرطبة أشد الناس حرصاً على انتشار المكتبات بالأندلس[2]،وتجدر الإشارة إلى أن المغاربة يطلقون على المكتبات اسم الخزائن العلمية إلى يومنا هذا.

فلما دخل المرابطون إلى الأندلس وجدوا ثروة علمية كبيرة، وأن مكتبة الحكم (336هـ/958م) قد بيعت كتبه إثر الفتنة البربرية بأرخص الأثمان، فكانت تلك فرصة لجامعي الكتب النفيسة، ما أدى إلى إنشاء مكتبات خاصة في العدوتين المغربية.

فقد جمع إبراهيم بن يوسف بن تاشفين في حضرته الفيلسوف ابن باجة [3]،

---

(1)الوراقة: هي مهنة شائعة في البلاد الإسلامية في العصور الوسطى، وكانت تقوم آنذاك مقام مهنة الطباعة والنشر، وتشمل كل أعمال النسخ والتصحيح والتجليد والخط والتذهيب وتزويق الكتب وبيع الورق والأحبار وسائر أدوات الكتابة؛ ينظر، عبد الحسين مهدي الرحيم: الوراقة والوراقون في الشرق الإسلامي، دراسات في التاريخ والآثار، عدد5، سنة 1407هـ-1986م،ص186-211.

(2)جرادة: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في العصر المرابطي بالمغرب، ص341، وينظر: زيغرد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب، ط9، ترجمة/ فاروق بيضون كمال الدسوقي، راجعه مارون الخوري، دار صادر، بيروت، 2000م، ص38.

(3) ابن باجه: فيلسوف الأندلس أبوبكر، محمد بن يحيى بن الصائغ السرقسطي المعروف بابن باجة الشاعر، سكن سرقسطة ثم المرية وغرناطة وإشبيلية ثم قدم على بلاد المرابطين، كان يضرب به المثل في الذكاء، وآراء الأوائل، والطب، والرياضيات والفلك والموسيقى، ودقائق الفلسفة، (ت533هـ/1138م) بفاس، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج20، ص93، وينظر: أحمد المقري: نفح الطيب، ج3، ص434، أبي أصيبعه: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، شرح وتح/نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، ص515-516.

والأديب المؤرخ الفتح بن خاقان،[1] والشـاعر ابن خفاجة [2]،فألَّف له الفتح بن خاقان قلائد العقيان[3]، وألَّف له العلاء بن زهر (ت525هـ/1131م) كتاباً في الطب، كما شـجع طبيبه عبد الملك بن زهر ويكنى أبا مروان (484–557هـ / 1092–1162م) على إنجاز كتاب الاقتصـاد في إصـلاح النفوس والأجسـاد، واشـتهر من كان يجمع الكتب في عصر الطوائف والمرابطين الجغرافي البكري [4]،(487هـ/1094).

ومحمد بن عون المعافري من أهل قرطبة، له عناية بالحديث وروايته، واشتهر بجمع الكتب، إذ كان كثير الكتب جامعاً لها باحثاً عنها (ت515هـ/1121م) [5]،وعبد الرحمن بن عتاب، من أشهر المدرسين بالدار البيضاء بالمغرب الأقصى، توفي سنة (520هـ/1126م)، كان يقتني الدواوين العتيقة والدفاتر النفيسـة (520هـ/1126م)، وكان يقتني الدواوين العتيقة والدفاتر النفيسـة ، كما اشـتهرت الأندلس والغرب الإسـلامي بالمكتبة التاريخية الشـهيرة للمؤرخ أبي عامر محمد بن عامر البلوي السالمي، وكان من أهالي الأدب والعلم والتاريخ، وكان السالمي صاحب درر القلائد، الذي كان ابن عبد الملك المراكشـي يمتلك نسـخة منه بخط مؤلفه، وتوفي سـنة (559هـ/1163م) [6].

---

(1) بن خاقان، الفتح بن محمد بن عبدالله بن خاقان القيسى الاشبيلي، وهو من أهل الاندلس، صاحب كتاب قلائد العقيان وهو أديب وشاعر بليغ فصيح بذيء اللسان قوي الجنان في هجاء الاعيان، ت سنة 529هـ/1134م، ينظر: الحموي معجب الادباء، ج5 ، ص2163.

(2)ابن خفاجة: شاعر وقته أبو إسحاق، إبراهيم بن أبي الفتح بن عبد الله بن خفاجة الأندلسي من مدينة شقر شاعر الطبيعة لقبه أهل الأندلس بالجنان، له ديواناً شعرياً مشهور، يحوي أشعاره ومدائحه لأمراء المرابطين ولم يتعرض لمدح ملوك الأندلس، توفى سنة 533هـ، شمس الدين الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج20، ص51، ينظر: ابن سعيد: المغرب ج2، ص369.

(3)علي أدهم: بعض مؤرخي الإسلام، سلسلة من تاريخ مكتبة النهضة، الرباط: د. ت، ص93.

(4) البكري: أبو عبيد البكري وهو عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري نسبه عربي من قبيلة بكر بن وائل، جغرافي وموسوعي وله معرفة بالنبات وأديب عربي أندلسي، صاحب كتاب "المسالك والممالك"، في الجغرافيا ولد سنة 404هـ/1014م، عاش في الأندلس على المذهب المالكي، توفي سنة 487هـ/1094م بقرطبة، ينظر أبي أصيبعه: عيون الأنباء، ص600.

(5)طاهر الصدفي: السر المصون، ص15، ابن الأبار: المعجم، ص300.

(6)الصفدي: الوافي بالوفيات، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 2000م، ج2 ص80.

وبذلك تكون المكتبة التاريخية التي تأسست مع تأسيس مدينة مراكش وقيام المرابطين قد استمرت في النمو والتضخم حتى نهاية الموحدين، والتي نهل منها المؤرخون خلال عصري المرابطين وبداية الموحدين، ومنهم ابن الصيرفي، والبيدق، وابن صاحب الصلاة (ت 594هـ/1197م) ويوسف بن عمر، وعبد الواحد المراكشي، وابن عذاري وابن القطان.

كما كان للفقيه الزاهد عبد الملك بن مسرة اليحصبي الذي تولى قضاء قرطبة مكتبة مشهورة، إذ ورث عن أبيه مالاً كثيراً، فتصدق بثلثيه واشترى بالثلث الباقي كتباً مثمنة، وكان رحمه الله عليه ينسخ الكتاب ويقتني النسخة التي بخطه ثم يبيع الأصل إلى أن تحصل على جميع الكتب بخط يده.

وكان لبعض أمراء المرابطين عناية بالعلم وتنافس في اقتناء الكتب، حيث كان المنصور بن محمد بن عمر بن داود بن عمر بن الحاج لمتوني (ت 547هـ/1154م)، وهو من رؤساء لمتونه المشتهرين بالعلم في الأندلس والمغرب، يقول عنه المراكشي: "كان راغباً في العلم، منافساً في الدواوين العتيقة والأصول النفيسة، وجمع من ذلك ما لم يتيسر لأحد" [1]،فهو فخر لمتونه العلمي، وليس لهم مثلهم من خلال الأندلس [2]،لقد بيّن هذا النص تعلق أمراء المرابطين بالعلم إلى درجة المنافسة في جمع الدواوين والأصول النفيسة، وكل ما عجز عنه أهل زمانه، وكذلك محمد بن تاشفين بن أبي بكر المولود سنة (496هـ/1102م)[3] وكان أحد أمراء المرابطين وله عناية بالعلم وروايته، كما استفاد ولاة أمرائهم من هذا التعليم، وأصبحوا علماء كباراً مثل محمد بن خير بن خليفة مولى إبراهيم بن محمد اللمتوني

---

(1)ابن عبد الملك المراكشي: الذيل والتكملة، تح/ محمد بن شريفة، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، 1984م، ج3، ص392، عبد الهادي التازي: جامع القرويين، دار المعرفة: الرباط، المغرب، 2000م، ج1ص166

(2)ابن الأبار: المعجم، ص193.

(3)الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج19، ص4، 5.

(ت 575هـ/1179م) الذي كان شيوخٌ يزيدون عن مئة شيخ، وأشتهر بجودة الخط وإتقان التقيد والضبط، لذلك كان الناس يتنافسون على كتبه في المغرب إلى غاية القرن السابع الهجري [1].

وترتب على الاهتمام بالحياة العلمية في عهد علي بن يوسف في مراكش وجود نسخة من موطأ مالك في أجزاء عدة في رق الغزال ثبت في جزئها الحادي عشر العبارة التالية "مما كتبه لخزانة أمير المسلمين ونصر الدين علي بن يوسف" أدام الله تأييده ونصره"[2] "وكان قد نسخها في شهر شعبان سنة (502هـ/1108م)، وما زالت بقاياها موجودة إلى حد الآن، ولم يكتف يوسف بجمع الكتب من مختلف الأقاليم لتكوين مكتبة، فاجتمع له ما لم يجتمع الملك بالمغرب الإسلامي في عصره.

من خلال تتبع الكتب التاريخية وما أوردناه يتبين لنا أن علماء بلاد المغرب الذين دخلوا الأندلس لدراسة قد وفدوا من حواضر عدة ومراكز علمية كبرى، ومن أهم هذه المراكز مدينة فاس التي بلغت من العلم في عهد المرابطين ما لم تألفه مدينة من مدن المغرب [3]،أمام مدينة مراكش فكان لها دور ثقافي مهم كعاصمة الدولة المرابطية، حيث أصبح مركزاً علمياً ومقصداً لطلاب العلم وملتقى لعلماء بلاد المغرب وعلماء السودان والأندلس.

وبرغم ما أصبحت عليه مدن المغرب من مكانة علمية فإنه لا زالت بحاجة إلى المدارس الأندلسية ومدنها الثقافية، لذلك لم تنقطع الرحلة في طلب العلم من

---

(1)دندش: الأندلس في نهاية المرابطين، ص379.

(2)خوليان ريبيرا: المكتبات وهواة الكتب في إسبانيا الإسلامية بالقسم الثاني، ص97، وينظر: التازي، جامع القرويين ج1، ص124.

(3)علي الجزنائي: جنى زهرة الأس في بناء مدينة فاس، ط2، تح: عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، 1411هـ/1991م، ص33.

المراكز العلمية الكبرى بالأندلس، فقد كانت كل مدن الأندلس مراكز ثقافية [1]،إذ استفادت من حالة الاستقرار التي بثها المرابطون، وأهم هذه المراكز قرطبة، وإشبيلية، ومرسيه، وبلنسية، والمرية، ودانية، وطرطوشة، وسرقسطة، وغرناطة، وبطليوس وغيرها كثير [2].فهذهِ المدن كانت تحوي جمعاً من العلماء والفقهاء ممن كان لهم رصيد في العديد من العلوم كأبي الوليد بن رشد، وأبو على الصدفي، وأبو العريف، وابن خفاجة، وابن العربي وغيرهم.

فكان على طلاب العلم من المغرب الاتصال بهم؛ لأن لقاءهم فيهم يزيد من العلم والتعليم وتضاعف عدد الشيوخ يجعل الأستاذ موضع استقطاب ومحط نظر بالمغرب وخارجه. وبذلك نرى عدداً ممن شدّوا الرحال إلى مدن علماء الأندلس من أبناء المغرب واتصلوا بفقهاء قرطبة، كابن رشد وأبو بحر الأسدي، وفقهاء مرسيه كابن عثمان، وأبي علي الصدفي، وابن عطية، وابن العربي، وابن خفاجة.

أما أبو العباس بن العريف بمرسيه، فكان المقصود من أهل الزهد في الأندلس والمغرب [3]،ومن أئمة علماء غرناطة الذين يُشد الرحال إليه الفقيه علي بن محمد بن عبد الرحمن بن الضحاك (ت 552هـ/1157م) [4]،وأبو الإصبع بن سهل (ت486هـ/1092م)[5]، ما قصد الطلاب عباس بن سرحان الشاطبي بسبته وأبا الوليد الباجي الذي اجتمع حوله كثيرٌ من التلاميذ، فدرس على يديه الكثيرون منهم:

---

(1)ابن سعيد: أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد الأندلسي (ت 685هـ/1286م)، المغرب في حلى المغرب، ط4، تح/ شوقي ضيف، دار المعارف ،القاهرة، 1995، ج1، ص111.

(2)عبد المنعم الحميري: الروض المعطار، ص46.

(3)دندش: الأندلس في نهاية المرابطين، ص385.

(4) كان فقيهاً محدثاً متكلماً، لهُ مؤلفات كثيرة منها: "السداد في شرح الإرشاد" و"كتاب مدارك الحقائق في أصول الفقه"، وله رسالتان في التصوف. ينظر: ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة ج1، ص100.

(5)ابن فرحون، إبراهيم بن علي بن محمد المالكي: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ط1، تح/ مأمون بن مُحي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، بيروت، 1417هـ/1996م، ص303.

ابن عبد البر، وابن حزم، وأبو عبد الله الحميدي، وابن سـكره الصـدفي، وأبو بكر الطرطوشي وأبو القاسم المعافري وغيرهم [1].

نخلص في هذا المبحث أن المراكز العلمية المتمثلة في المسـاجد والزوايا والرابطات لم تقتصـر على العبادة فحسـب؛ بل كانت تُعد منابر علمية وثقافية، وكان لها دور بارز في نقل ونشـر العلوم والمعرفة الحيوية في العدوتين كما شـهدت هذهِ المراكز انتقالاً للعلماء من رحلات علم وطلب للأمراء مما كان له الأثر في تطور المراكز العلمية واسهاماتها الحضارية في بلاد المغرب الأقصى.

(1)بشـكوال: أبو القاسـم خلف بن عبد الملك، الصـلة، تح/ إبراهيم الابياري، دار الكتاب المصـري، القاهرة، 1989م، ج1، ص319.

المبحث الثالث: إسهامات الرحلات العلمية في تقدم العلوم في المغرب الأقصى والأندلس:

الرحلة [1] مطلب من المطالب الشرعية، إذا كان المقصد صحيحاً، وقد حثَّ القرآن الكريم على الرحلة في غير آية، وقد جاءت السنة النبوية بأنواع من الرحلة لا تختلف في مقاصدها عن الرحلة المأمور بها في كتاب الله عز وجل، ولمتخرج لدى العلماء الرحالة من بلاد المغرب الأقصى والأندلس عن الأغراض المشروعة في الكتاب والسنة

وقد اتجه العلماء إلى الرحلة لطلب العلم كواجب وهدف لهم في هذه الحياة، فجعلوه شغلهم الشاغل، ولم يكتف في تحصيله بالشيخ والشيخين؛ بل تجاوز العدد ذلك بكثير [2]،والرحلة في طلب العلم لم تكن مقصورة على فئة معينة من العلماء وطلاب العلم، بل كان علماء القراءات يرحلون في طلب العلم، وكذلك أصحاب الفقه والحديث والأدب واللغة [3]،وكان تقييم طالب العلم في نظر الناس تتناسب مع ما قام به من رحلات لطلب العلم ومع عدد المدرّسين الذين تلقى عنهم [4].

كما أسهمت الدولة المرابطية في تشجيع الرحلة سواء الداخلية بين المدن المغربية أو بين عدوتي المغرب والأندلس، ولكن بشكل غير مباشر، وذلك عن طريق تأمينه للطرق وفرض سيطرتهم الأمنية في كافة المدن المغربية، وقد ساعد حالة الاستقرار على الترحال بين المدن للسماع على الشيوخ.

---

(1)الرحلة لغةً: بمعنى الارتحال، وهو الانتقال من مكان إلى آخر لغرض ما، وهي مقارنة للسفر. محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، تح: محمود خاطر، مكتبة لبنان، بيروت، 1995-1415م، ص267، المقري: أحمد بن محمد بن علي، المصباح المنير، دراسة وتح/ يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، د.ط.ت، ص117، وينظر: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تح/ عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة، 1399هـ/1979م، ص446.

(2)محمد محمود عبد الله: الأثر السياسي للعلماء في عصر المرابطين، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1418هـ/1997م، ص30-31

(3)علي بن محمد بن الزهراني: الحياة العلمية في صقلية الإسلامية (212-484هـ/826-1191م)، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، 1999م، ص201.

(4) أحمد زكي بن حاج إبراهيم: العلماء في الدولة الإسلامية بالأندلس وأثرهم في السياسة والحضارة في عصر الإمارة، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، كلية دار العلوم، 1405هـ/1985م، ص75.

وكان خروج الطلاب إلى الرحلة بشكل منفرد، بحيث أن الخروج للرحلة مرتبط بظروف كل طالب ووضعه ومدى استعداده للرحلة، فلم يكن للدولة أي إشراف على رحلة الطالب لطلب العلم، وتختلف وجهة الطالب في رحلته تبعاً لنوعية العلوم التي يرغب في دراستها والشيوخ الذين يريد السماع منهم.

وكان كل طالب يتحمل نفقة رحلته، وتختلف لاستمراره في الرحلة من عدمه تبعاً لموارده المادية، ويوضح ذلك ما ذكره بن الأبار: أنه ذهب إلى مرسيه للسماع على الشيخ أبي علي الصدفي، فوجد الشيخ قد اختفى لفترة هرباً من منصب القضاء، ووجد كثيراً من الطلاب القادمين للسماع منه قد نفذت نفقاتهم كثيرٌ منهم، وقرروا الرحيل بسبب نفاذ نفقاتهم وبقي من لديه ما يكفيه من نفقة تسمح له بالإنفاق حتى يظهر الشيخ الصدفي [1].

أثَّر الوضع الاقتصادي للطلاب في قيامهم بالرحلة أو استمرارهم فيها، فنجد أن الطلاب أبناء الأسر الثرية تمكنوا من الرحيل إلى المدن الأندلسية المختلفة وكذلك تكرار الرحلة إلى الأندلس لمرات عدة، ومثال ذلك القاضي عياض الذي ساعده وضعه المادي على انتظار شيخه الصدفي للسماع منه [2]،وكذلك عيسى بن الملجوم وابن أخيه عبد الرحمن الذي ساعدتهم أوضاعهم المادية على الرحيل إلى الأندلس لدراسة والسماع [3].

(1)ابن الأبّار: معجم أصحاب الصدفي، ص306.

(2)المصدر نفسه، ص306.

(3)ابن الزبير: أبو جعفر أحمد بن إبراهيم (ت708هـ/1308م)، صلة الصلة، تح/ عبد السلام الهرّاس وسعيد أعراب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، 1994م، ص58.

وكذلك حاول بعض الطلاب الجمع بين الرحلة والعمل للتكسّب وتوفير نفقات الدراسة، فقد عمل الشيخ محمد بن علي بن جعفر [1]،بالتجارة أثناء رحلته للتعليم بالأندلس [2]،وذلك ليتمكن من البقاء أطول فترة ممكنة للدراسة والتعلم.

وقد أظهر الطلاب المغاربة الراحلين إلى الأندلس نجابة وتفوقاً ملحوظين، فما حد بعضهم إلى الاستقرار بالأندلس وتدريس العلم، منهم الشيخ محمد بن نعمة الأسدي (ت482هـ/1089م)[3]، الذي استمر بالمرية وسمع الناس منه [4]،ومنهم أيضاً الشيخ محمد بن سعدون القروي (ت485هـ /1092م)[5]، وقد سمع الناس منهُ بقرطبة وبلنسية والمرية [6].

ويعد طلب العلم من الدوافع المهمة وراء السفر والترحال، فالإسلام حثَّ على طلب العلم وأمر أتباعه بتجشُّم المشاق في سبيله لقوله تعالى﴿ فلولا نَفَرَ مِن كُلّ فِرْقَةٍ مّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَ لِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إذ ارجعوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾[7]، وقولهِ ﷺ "طَلَبُ العِلْمِ فَريضةٌ على كلِّ مُسلمِ"[8].

فللرحلة ميزات عدة أهمها حرية الحياة الدينية والعلمية والإسلامية، وعاكسها للتواصل العلمي والديني بين الأندلس والمغرب، وبين العلماء والفقهاء في العدوتين

(1)من أهل قلعة حماد، وعرف بابن الرمانة، ولد عام 478هـ/1085م، وتوفي بفاس عام 567هـ/1171م، ينظر: ابن الأبار، التكملة، ج2، ص676-677.

(2)المصدر نفسه، ج2، ص676.

(3)ابن بشكوال: الصلة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، 1966م، ج2، ص603.

(4)المصدر نفسه، ج2، ص603.

(5)المصدر نفسه، ج2، ص602.

(6)المصدر نفسه، ج2، ص602.

(7)سورة التوبة، الآية 12

(8) حديث شريف: رواه أنس بن مالك رضي الله عنه، رقم (224)، في كتاب سنن ابن ماجه

اولاً/ رحلات المغاربة الى الأندلس:

وما تجدر ملاحظته من خلال تتبع الرحلة لطلب العلم نجد عدداً من الأمراء اللمتونيين قد رحلوا وسمعوا وقرأوا على العديد من العلماء، فهم كثيرون ولا يمكن حصرهم ولكن نذكر بعضاً منهم:

1-ميمون بن ياسين الصنهاجي، يكنى أبا عمر، أحد أمراء المرابطين، سكن المرية وأصله من صحراء المغرب، عني بالرواية وسماع العلم، وكانت له رحلة إلى الحج، وسمع بمكة من عبدالله الطبري صحيح مسلم سنة (497هـ/1103م)، وسمع من أبي مكتوم بن أبي ذر الرّوي صحيح البخاري، وهو الذي أوصله إلى المغرب، وتوفي بإشبيلية سنة (530هـ/1135م) [1].

2-إبراهيم بن أحمد بن خلف بن عيسى بن فر تون الفاسي، رحل إلى الأندلس فسمع وروى عن علمائه، مثل أبي علي الصدفي الموطأ، وأبي محمد بن اعتاب، وتوفي بمدينة فاس عام (537هـ/1142م) [2].

3-أبو بكر محمد بن عبد المنعم بن عبد الله بن أبي بحر، من أهل فاس، دخل الأندلس فروى عن أبي عبدالله بن سعدون وأخذ عنه علوم الحديث [3].

4-علي بن عبد الله بن حمود المكناسي، ولد بفاس، ودخل الأندلس مرتين، الأولى لغرض الجهاد، ولقى فيها جلّة من الشيوخ، والثانية المرية زاهداً ورعاً [4].

5-أبو محمد عبد الله بن خليفة بن أبي عرجون التلمساني، سمع بالأندلس من أبي علي الصدفي بقرطبة، وكان فقهياً حافظاً مائلاً إلى الحديث وحفظه [5].

---

1 ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة تح: عبد السلام الهرّاس، ط1، دار الفكر للطباعة، لبنان، 1995م، ج2، ص196-197.

(2)ابن الأبّار: المعجم ج1، ص27، عبد الله كنون: النبوغ المغربي ج1، ص76.

(3)حاج عبد القادر يخلف: الإسهام الفكري للبربر في الأندلس، "رسالة ماجستير"، قسم التاريخ، جامعة وهران، 2008-2009م، ص147.

(4)ابن الأبّار، المعجم ج1، ص27، وينظر: عبد الله كنون، النبوغ المغربي، ج1، ص76.

(5)المراكشي، التكملة، ص351

6-عمر بن أحمد بن عبد الله توزري، قدم إلى الأندلس طالباً للعلم، فروى بقرطبة عن أبي بكر العربي، وأبي علي الغساني، وأبي محمد بن اعتاب، وفي المرية عن أبي الإصبع، وبمرسيه عن أبي علي الصدفي [1].

7-أبو علي حسن بن علي بن سهل، من سكان سبتة، تولى القضاء والخطبة بها، وسمع بمرسيه من أبي علي الصدفي، وله رواية عن مجموعة من الشيوخ كأبي محمد بن اعتاب وأبي عمر بن بنت ليد الشاطبي [2].

8-أبو محمد عبد الله بن أحمد الأزدي، المعروف بابن شبونه، من أهل سبتة، سمع من أبي علي الصدفي، وأبي الإصبع بن سهل [3].

9-القاضي الخطيب أبو القاسم عبد الرحمن المعافري، من سبتة، ولي قضاءه مرتين، وكانت له رحلة إلى الأندلس سمع فيها من القاضي أبي الوليد ودرس الأصول والكلام (ت510هـ/1116م) [4].

من هنا نرى أن الرحلات العلمية كان لها دور فعال في توطيد العلاقات بين الأندلس والمغرب الأقصى خلال هذا العهد، ويبدأ ذلك واضحاً في الصلة القوية، فقد كانت هذه الأخيرة تتم داخل الحدود المرابطية بوصفه مطلباً من مطالب الشريعة، وبلاد الأندلس كبيرة (طولها مسيرة ثلاثين يوماً، وعرضها مسيرة تسعة أيام)[5]، فكانت بذلك مقصد الرحالة من أهل المغرب لطلب العلم بمختلف أنواعه من حديث وفقه وقراءات وتفسير وغيره، وكذلك المغرب نزل به أعلام أندلسيون [6]،وكانت هذه التنقلات نتاجاً فكرياً كبيراً، وتأليّف كتب لخَّص فيها الرحالة أفكارهم وعلومهم

---

(1) المراكشي: التكملة، ص351.

(2)ابن الأبار، المعجم، ص74.

(3)القاضي عياض، ترتيب المدارك، ص214-215.

(4) المصدر نفسه، ص227.

(5)مجهول، تاريخ الأندلس، ط1، تح: عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007م، ص43.

(6) ابن قنفد: أبو العباس أحمد بن علي بن الخطيب (ت809هـ-1406م)، الوفيات ، ط3، تح/ عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1980م، ج1، ص9.

وتجاربهم التي اكتسبوها، وما خلّدته هذه المذكرات، وقد أسهمت هذه التنقلات بين المغرب والأندلس في ازدهار النهضة العلمية، وكان دمج الحضارتين ذو تأثير واضح في بلاد المغرب الأقصى، وقد ساعدت تلك التأثيرات في ظهور العديد من العلماء في بلاد المغرب ممن أخذوا العلم من الأندلس، نذكر منهم على سبيل المثال:

1- خلوف بن خلف الصنهاجي (ت515هـ/1121م)، من البربر، يكنى أبا سعيد، دخل الأندلس وسمع بقرطبة وأخذ عن أبي بحر الأسدي، وولي قضاء غرناطة، ثم تولّى قضاء مدينة سبتة، وكان ساعياً بأعمال البر التي لا تأخذه لومة لائم[1].

2- أبوبكر سير الصنهاجي برع في العلم وتبّحر فيهِ، فلما توفي كتب عل شاهد قبره الشيخ الفقيه الخطيب الحاج أبوبكر الصنهاجي[2].

3- أبو عيسى بن يوسف الأزدي، المعروف بابن الملجوم (ت543هـ/1148م)، وهو من البيوتات المشهورة في فاس، سمع ببلده من أبيه قاضي الجماعة أبي الحجاج، وأبي الفضل يوسف بن النحوي، وأبي الحجاج الكلبي الضرير، ومن لقيهم في رحلته الأولى بقرطبة أبو عبد الله محمد بن الطلاع، وأبو بكر بن حازم بن محمد، وأبا علي الحسين بن محمد علي الغساني، وفي رحلته الثانية سنة (513هـ/1119م) قصد أبي علي الصدفي بالمرية، وفي إشبيلية التقى بأبي عبد الله محمد بن شبرين، وتولى القضاء بفاس ومكناس، وكان من أهل الإجلال والمكانة العالية [3].

---

(1)العباس بن إبراهيم السملالي: الأعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، ط2، راجعه عبد الوهاب منصور، المطبعة الملكية، الرباط، 1993م، ج3، ص220

(2)حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، دار الفكر العربي، القاهرة، ص439.

(3)النباهي: تاريخ قضاة الأندلس، ص58، وينظر: عبد الله كنون، النبوغ المغربي في الأدب العربي، ج1، ص89-90.

4-علي بن طويل بن أحمد القيسي: وهو من فاس، (ت560هـ/1164م)، رحل إلى الأندلس سنة (504هـ/1110م)، ووصل مرسيه وأخذ عن الحافظ أبي محمد الخشني، وراجع إلى فاس وشورى وأفتى [1].

5-أبا الفضل عياض بن موسى بن عياض السبتي (ت544هـ/1149م)، رحل لطلب العلم في الأندلس فأخذه بقرطبة، وعُني بلقاء الشيوخ والأخذ عنهم وجمع من الحديث كثيراً، وتولّى قضاء غرناطة، وتوفي رحمه الله بمراكش مغترباً عن وطنه [2].

ومن خلال هذهِ الرحلة العلمية مرّ على فاس، واستفاد منه أهلها، فقد قال عالمها الشيخ أبو القاسم بن ملجوم: "اجتاز علينا القاضي عياض عند انصرافهِ من سبتة قاصداً إلى الحضرة مراكش" "[3]، وقد زار والده الملجوم وأعطى الإجازة لولده[4].

ثانياً / رحلات علماء الأندلس إلى المغرب:

تعددت الأسباب الدافعة لهذه الرحلات، فمنها ما هو سياسي، ومنها ما هو شخصي، إذ كانت الرحلة في طلب العلم تأخذ الاتجاهين معاً. فنجد طلاب المغرب يرحلون إلى الأندلس، وكذلك نجد علماء أندلسيين رحلوا إلى المغرب طلباً للعلم. وقد يُعزى هذا إلى عوامل عدة، لعل من أهمها أن كثيراً من هؤلاء اتجه إلى الرحلة لطلب العلم كواجب وهدف لهم في هذه الحياة، فجعلوه شغلهم الشاغل.

---

(1)ابن الزبير: صلة الصلة، ص146.

(2)ابن الأبار: المعجم، ص295-296.

(3)النباهي: تاريخ قضاة الأندلس ج1، ص58.

(4)المقري: شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني (ت1041هـ)، أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تح/ مصطفى السقا وإبراهيم الابياري وعبد الحفيظ شلبي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1358هـ/1939م، ج1 ص6.

فالدارس لرحلات العلماء من الأندلس إلى المغرب يجد بين تلك الرحلات أن أعلامها كانوا يطمحون إلى اللقاء مع الشـــيوخ أو اللحاق بشـــيوخهم في العدوتين المغربية أولاً لأســباب علمية وثانياً لأســباب تتعلق بالظروف الأمنية، وبذلك أظهروا تأثيراً واضحاً في المغرب الأقصى.

والجدير بالذكر أن العالم المبتغى للعلم يســـتثمر أي مرور لهُ ببلد لينهل من علماؤهما، فربما كان غرضــه من اجتياز المكان تجارة أو سفارة أو غير ذلك، فيغتنم الفرصــة في طلب العلم، فإن هذا شـأن العلماء دوماً، وقد قيل للإمام أحمد [1]: "رجل يطلب العلم يلزم رجلاً عنده علم كثير أو يرحل؟ قال: يرحل يكتســـب عن علماء الأمصار، فيشامّ الناس، ويتعلم منهم"[2]، بمعنى يخالط الناس ويتعلم منهم.

وبذلك يمكن أن نذكر بعض الأمثلة للرحلة في الاتجاه الاخر، أي من الأندلس إلى بلاد المغرب الأقصـــى، فقد انتقل من الأندلس الى مدينة فاس طلباً للعلم محدِّثون وفقهاء وقرآء ولغويون اندلسيون وغير ذلك نذكر منهم على سبيل المثال لا للحصر:

1-أبو بكر بن العربي المعافري من إشـبيلية (ت543هـــــ/1148م)، وقد رحل إلى مدينة فاس في ثنايا رحلته العلمية حتى وافته المنية خارج مدينة فاس [3].

2-أبو العباس أحمد عبد الرحمن بن الصقر الأنصاري الخزرجي (ت559هـ/1173)، أصــله من الثغر الأعلى من ســرقســطة، تنقل إلى ســبتة ثم إلى مدينة فاس، ثم اســتوطن مراكش وتوفي بها بعد رحلته إلى الأندلس، وكان فقيهاً محدثاً على دراية ومعرفة بالقراءات وعلم الكلام شاعراً، حسن الخط [4].

---

(1) هو أبو عبد الله بن محمد بن حنبل الذهلي الشـــيباني، ولد ســـنة (780/164م)، رابع الأئمة الأربعة عند أهل الســـنة والجماعة وصـاحب المذهب الحنبلي في الفقه الإسـلامي. اشـتهر بعلمه الغزير وحفظه القوي، ويعد كتابه "المسـند" من أشـهر كتب الحديث وأوسعها، ينظر: مصطفى الشكعة، الأئمة الأربعة، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1991م، ج4، ص7.

(2)أبو العبـاس أحمـد بن محمـد بن المهـدي الفـاســـي: البحر المـديـد، ط2 ، دار الكتـب العلميـة، بيروت، 1423هـ/2002م)، ج7، ص280.

(3)ابن قنفذ: الوفيات، ص9.

(4)ابن فرحون: الديباج المذهّب، ص117.

3-أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الأنصاري الشرقي، من بلدة شارقة من نواحي بلنسية، سكن مدينتي سبتة وفاس وغيرها، كان فقيهاً واعظاً فاضلاً كثير الذكر والعمل والبكاء، ألف كتاباً مختصراً مفيداً في أحكام الصلاة، وتوفي قريباً من سنة (500هـ/1106) [1].

4-عيسى بن فتح (ت504هـ-1110م) من سكان شاطبة صحب أبا داود المقري، كان من أهل الرواية والحفظ، درس الفقه وانتقل إلى أغمات ولازَم أبي محمد بن إسماعيل فتفقّه عنه، ثم تولّى قضاء أغمات ونشر علومه وبقي نحو ثلاثة أعوام إلى غاية وفاته [2].

5-محمد بن سعود المكتب (ت510هـ-1116م)، تعود أصوله إلى مدينة المَرية، أخذ من أبي عباس الأنصاري، وارتحل إلى مدينة فاس ونشربها وبقي هناك إلى غاية وفاته بمراكش [3].

6-محمد بن عمر بن عباد اللخمي (ت520هـ)، اسمه محمد بن عمر بن المعتضد بن عباد بن إسماعيل اللخمي من مدينة إشبيلية، له حظ وفير من علم الوثائق ودراية وأدب، نزل مراكش ونشر العلم بها وأفاد الناس هناك [4].

7-خلف بن محمد بن غفول الشاطبي (ت520هـ/1126م)، كنيته أبو القاسم، صحب أبا الحسن طاهر بن مفوز وأخذ عنه الكثير، سكن مدينة فاس وأخذ عنه

---

(1)ابن بشكوال، الذيل والتكملة: ج1، ص75، وينظر: ابن الآبار، التكملة، ج1، ص26، وابن فرحون: الديباج المذهب، ص196، أحمد ابن القاضي: جذوة الاقتباس، دار المنصور للطباعة والوراقة-الرباط ،1973م ج1، ص137.

(2)ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج2، ص8.

(3)السملالي، الأعلام، ج4، ص50.

(4) المرجع نفسه، ص52.

كثير من طلابها، ونشر العلم بها واستفاد منه هناك، وروى عنه أبو الحسين ابن حنين [1].

8-محمد بن أحمد بن رشيد القرطبي (ت520هـ-1126م)، قاضي الجماعة بقرطبة، كان من الفقهاء البارزين في زمانه، كانت له دراية بالمذهب المالكي بارعاً في علم الفرائض والأحوال، له عدة كتب منها: اختصار المبسوطة والمستخرجة من التوجيه والتعديل، توجَّه إلى المغرب سنة (520هـ/1126م) وأقام عند الأمير علي بن يوسف بن تاشفين، ثم عاد إلى قرطبة ومات فيها في السنة نفسها[2].

9-مالك بن يحيى بن وليد الأزدي (ت525هـ-1130م)، من أهل إشبيلية وكان له معرفة بأنواع العلوم، استدعاه الأمير علي بن يوسف بن تاشفين إلى حضرة مراكش، ونشربها العديد من علومه، وصار جليس الأمير وأنيسه [3].

10-محمد بن مسعود بن طيب بن خلاصه الغافقي (ت540هـ/1145م)، من أهل شقورة، سكن قرطبة، اشتهر في علم الحديث والإتقان فيه، والمعرفة برجاله والتقييد لغريبه وإتقان ضبطه والمعرفة بالعربية واللغة والأدب، والنسب والتاريخ، كان إمام الكتابة والنظم، نشر العلم بمدينتي فاس ومراكش، واستعمله ولاة لمتونه للكتابة [4].

---

(1)الكتاني: سلوة الأنفاس ج3، ص161.

(2)النباهي: المرتبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، ص98-99؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج19، ص501.

(3)السملالي: الأعلام، ج3، ص276-277.

(4)ابن بسام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ج6، ص913؛ ابن دحية: أبي الخطاب عمر بن حسن (ت633هـ)، المطرب من أشعار أهل المغرب، دار العلم للجميع بيروت – لبنان، د.ت، ص188.

11-عبدالله بن يحيى بن عبدالله بن محمد بن إبراهيم بن عمير الثقفي (ت529هـ) من أهل سرقسطة، وروى ببلده عن أبي الحزم، وسمع بقرطبة من أبي بحر الأسدي، وانتقل إلى مدينة فاس حيث أقام بها معلماً [1].

12-أبو القاسم خلف بن يوسف بن فرتون (ت532هـ/1137م) من كبار علماء شنترين، انتقل إلى مدينة فاس حيث أقام بها معلّماً للحديث والسير وعلوم القرآن بمسجد حنين، وعاد بعدها إلى الأندلس وتوفي بقرطبة [2].

13-محمد بن حكم بن أحمد بن باق الجذامي (ت523هـ/1137)، من أهل سرقسطة سكن غرناطة ثم مدينة فاس، يقول عنه ابن الأبار: "كان مقرئاً، مجوداً، محققاً بعلم الكلام وأصول الفقه، محصلاً لهما، متقدماً في النحو، حافظاً للغة، حاضر الذكر لأقوال تلك العلوم، جيد النظر، فصيح اللسان، ولي أحكام مدينة فاس وأفتى فيها، ودرس بها العربية وغير ذلك، وتوفي بتلمسان" [3].

ومن خلال عرض التراجم السابقة واستقرائها نستنتج أن الرحلة والهجرة الأندلسية زمن المرابطين إلى بلاد المغرب كان لها بالغ الأثر في فعال النهضة العلمية والاقتصادية، وكانت سبباً في ازدهار الحياة العامة، وعاملاً فاعلاً في نشر الحضارة الأندلسية وتقاليدها في عدوت المغرب الأقصى، إذ وجد فيها العلماء البيئة المشابهة للبيئة الأندلسية، وبذلك تمهّدت لهم سبيل الحياة الكريمة، وساعدهم في ذلك تشجيع بعض الأمراء للبقاء فيها، وليس هذا فحسب، بل أسندوا إليهم المناصب الرفيعة، أمثال القاضي عيسى بن فتح الذي تولى القضاء في مدينة أغمات وغيره[4].

---

(1)ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة ج2، ص254.

(2)ابن بشكوال: الصلة، ص56؛ ابن الآبار: تحفة القادم، علّق عليه إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، (بيروت: 1985م)، ص5.

(3) ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة، ص56؛ ابن عبد الملك المراكشي: الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ج6، ص178؛ السيوطي: بغية الوعاة، ص69.

(4)ابن الأبار: التكملة، ص8.

كما كان للعديد منهم انتقال متشـــابه إلى الأندلس، حيث تولّى بعضـــهم المناصب الدينية بالأندلس أيضاً، وبذلك يكون الانتقال والرحلة من أهم الأسباب التي أســـهمت في تزايد العلاقات العلمية بين بلاد المغرب الأقصـــى والأندلس، كما أن شغلهم للمناصب في العدوتين أظهر ذلك الاجتهاد العلمي الذي يعزز أواصر التبادل الثقافي.

ثالثاً/ أهم المناصب العلمية:

ومن أهم المناصب العلمية التي كانت سبباً في التبادل العلمي بين الأندلس والمغرب

1-القضاء: لغة: هو الحكم بما شرعهُ الله تعالى، وشرعاً، ومعناهُ فصل الخصومات وقطع المنازعات [1].

والقاضـــي لا يقضـــي حتى يكون متضـــلعاً بالعلوم، ويكون طوال اشـــتغاله بالقضـاء مطالعاً، وسـائلاً، وباحثاً، بل ربما مارس التدريس في المسـاجد لنشـر العلم، مما أدى إلى تعزيز العلاقات العلمية بين العدوتين، ومن القضـــاة المغاربة بالأندلس: أبو الفضـــل عياض بن موســـى اليحصـــبي السـبتي (ت544هـ-1149م)، من أهل سـبتة، كان إمام وقته في الحديث وعلومه، عالماً بالتفسـير ومجاميعه، فقيهاً، أصـولياً عالماً بالنحو واللغة كاتباً وخطيباً بليغاً، اشـــتهر في علم الحديث، قال فيه ابن بشـــكوال[2]: "وجمع من علوم الحديث كثيراً ولهُ عناية كبيرة به، واهتم بجمعه وتقييده، وهو من أهل التفنن في العلم واليقظـة والفهم، دخـل الأنـدلس لطلـب العلم، ثم وُلِّيَ غرناطة، ثم انتقل إلى مراكش وبها توفي".

---

(1)قاســـم القونوي، أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء، تح: أحمد بن عبد الرزاق الكبيســـي، نشر دار الوفاء، جده، 1406هـ-1986م، ص227-228.

(2)ابن بشكوال: الصلة، ج1، ص145.

2-الحِسْبة: وهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأساسها قوله تعالى﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّـةٌ يَـدْعُونَ إِلَى الخَيْرِ، وَيَـأْمُرُونَ بِـالْمَعْرُوفِ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنكَرِ﴾[1]، والمحتسب هو من يقوم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحدد العلماء الشروط الواجب توفرها في المحتسب، وهو أن يكون فقيهاً عارفاً بأحكام الشريعة حراً عدلاً ذا رأي وصرامة وخشونة في الدين، لا يميل ولا يرتشي [2].

وانتقل هذا النظام الدقيق إلى بلاد المغرب، وكان ابن سهل [3]،من لهُ الفضل في انتقال الحسبة الأندلسية إلى بلاد المغرب، حيث اتصل بالأمير يوسف بن تاشفين، وقام بدوره في تأصيل العرف الإسلامي المغربي، وطبّق نظرياته القاضي عياض في كل من غرناطة ومكناسة، ثم انتشرت نظرياتهم من مكناسة إلى كافة بلدان المغرب [4].

3-الخطابة: الخطابة يراد بها غالباً خطابة المسجد الجامع في يوم الجمعة، وهي من الشعائر الإسلامية المشهورة التي لم تنقطع عن الأمصار طوال العهود الإسلامية المختلفة، والخطيب يحتاج في إعداد خطبة المسجد أن يكون على معرفة بالعلوم الشرعية، إلى جانب كونه على قسط وافر من علوم اللغة، ثم إن الخطيب يكون عادة قريباً من الناس في أفراحهم وأتراحهم، فيصوغ خطبته على هذا التوجه مما يكون لهُ الأثر في المجتمع، .وقد تولى الخطابة بالمغرب الأقصى من عدوة الأندلس، محمد بن علي محمد الطليلي (ت503هـ/1109م) يعرف بالريوطي، خرج من العدوة فسكن

---

(1)سورة آل عمران، الآية 104.

(2)عبد الرحمن بن نصر الشيرازي: نهاية الرتبة في طلب الحسبة مطبعة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1946م ص6، وينظر: الماوردي، الأحكام السلطانية، 316.

(3) أبو الأصبع عيسى بن سهل بن عبدالله الأسدي، من القضاة بغرناطة، سكن قرطبة أهله من حيان كان فقيهاً عالماً، النباهي: التاريخ قضاة الأندلس، ج1، ص55.

(4)النباهي: المصدر نفسه، ص55.

مدينة فاس مدة ثم مدينة سبتة، وولي خطابة الموضعين، وكان أعمى صالحاً سمع منهُ بعض الناس، وتوفي بسبتة خطيباً [1].

1-**التدريس**: كانت الأندلس قد عرفت حضارة راقية، بعكس بلاد المغرب التي لا تزال بها حضارة ناشئة، ويبدو أن بلاد المغرب قد استفادت بشكل كبير من انفتاحها على الأندلس، وبذلك تبين أن المغرب في العصر المرابطي أصبح أمام انتقال عدد كبير من أعلام الأندلس إلى العدوة المغربية.

حيث لقي هؤلاء التكريم والترحيب من ولاة الأمر، لاسيما الذين كانوا في مرتبة الشيوخ، فمنهم تحملوا مشقة الرحلة في سبيل نشر العلم والتدريس والإفادة، وهذا ما سهّل ارتحال طلاب العلم إليهم، فجاء هؤلاء العلماء إلى المغرب وهم يحملون معهم كثيراً من العلوم والمعارف الدينية [2].

ففي مجال **علم التفسير**[3]،شجع الأمراء المرابطون انتقال علماء التفسير الأندلسيين ليتعاونوا مع المفسرين من علماء المغرب في هذا العلم [4].

ومن أهم العلماء الأندلسيين الذين اشتغلوا بعلم التفسير بمدينة مراكش المفسر الأندلسي ابن أبي الخصّال الغافقي [5]استقر بمراكش ما يقارب من ثلاثين عاماً في عهد علي بن يوسف بن تاشفين حيث برع في الحديث وعلوم اللغة والتفسير وبرع في

---

(1)ابن بشكول: الصلة، ج1، ص184

(2)جمال أحمد طه: مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين، دار الوفاء للطباعة والنشر، د.ط.ت، الإسكندرية، ص279.

(3)ابن خلدون: العبر، ص444-445.

(4)جمال أحمد طه: مرجع سابق، ص280.

(5)هو محمد بن مسعود بن خالصة بن فرج بن مجاهد ابن أبي الخصال الغافقي، أصله من كورة جيان أهل شقورة، ولد سنة 465هـ/1073م. سكن قرطبة وغرناطة،. ينظر: ابن بشكوال، الصلة، ص256-257؛ كنون: النبوغ المغربي، ص79؛ عنان: عصر المرابطين، ص442.

الكتابة والنظم ،واتصل برجال الدولة اللمتونية،وتولي الكتابة والوزارة لعلي بن يوسف بن تاشفين. وتوفي سنة 540هـ/1146م [1]،

علم القراءات:

وتدين بلاد المغرب إلى رجال العلم الأندلسيين الذين بذروا فيها البذرة الأولى الخاصة بالانشغال بعلم القراءات خلال الحكم المرابطي [2].يذكر ابن خلدون أن التأثير الأندلسي في علم القراءات شمل بلاد المغرب، وهو أن ما ألفه أبو القاسم بن فَيْرة الأندلسي [3]في هذا العلم استخدمه أهل المغرب والأندلس حيث قال: "ثم ظهر بعد ذلك فيما يليهم من العصور والأجيال، وعُني الناس بحفظها وتلقينها للولدان المتعلمين، وجرى العمل على ذلك في أمصار المغرب والأندلس"[4] ومن الذين نزلوا بمدينة فاس وكان لهم دور في تعليم أبناء المغرب محمد بن عبد الله بن معاذ اللخمي، وكان إماماً في صناعة الإقراء على الرواية [5]،وهو من أهل إشبيلية، استوطن مدينة فاس وتصدر للإقراء بمسجد الحوراء إلى أن توفي بها.

ومن العلماء الذين تصدروا تدريس علم القراءات والتجويد بمدينة فاس، محمد بن قرقاش من أهل طليطلة [6]،ومن الذين بذلوا جهداً علمياً لتدريس هذا العلم وتطويره في الأندلس عندما كانت تحت راية المرابطين، وكان يمارس مهنة التعليم والإقراء داخل مراكش، محمد بن الأغلب بن أبي الدّرس (ت511هـ/1117م)، وهو من أهل مرسيه وكنيته أبو بكر، كان من علماء اللغة العربية ومن أحسن الناس خطاً، ونقلاً،

---

(1)عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص237-238.

(2)محمد عادل عبد العزيز: الجذور الأندلسية في الثقافة المغربية، ص102.

(3)هو أبو محمد بن فيرة بن خلف الأندلسي المقرئ الضرير، أحد الأئمة الأعلام، ولد سنة 538هـ، وكان إماماً واسع المحفوظ، زاهداً قانتاً لله، انتهت إليه الرياسة في الإقراء، وتوفي سنة 590هـ، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج21، ص261-262.

(4)ابن خلدون: المقدمة، ج2، ص251.

(5)ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ص162.

(6)ابن الأبار: الحلة السيراء، ص424.

وضبطاً، أدب ولدي المعتمد بن محمد بن عباد يزيد والمأمون، وشارك في غير ذلك، وكان معلماً متجولاً، سكن المرية وقتاً ثم نزل إلى المغرب واستقر بفاس، ثم أغمات، وانتهى بمراكش، فنشر بها، ولهُ من الشعر الكثير، أخذ عن أبي الحجاج العلم وأبي الحسن المبارك، وتوفي بها [1].

علم الحديث:

كما استوطن حواضر بلاد المغرب عدد من علماء الحديث القادمين من الأندلس بتشجيع من الأمراء المرابطين، ومنهم عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن قاسم ابن منصور اللخمي قاضي الجماعة بمراكش [2]،ومحمد بن علي بن صقيل الأنصاري (ت 500هـ/1106م) من أهل شاطبة، صحب أبا علي الجياني وبه انتفع، كان من أهل الحديث وتصدر لإقرائه في مدينة فاس [3]، أما مالك بن يحيى بن وهيب، فدرّس بمراكش علوم الحديث [4].

علوم أصول الفقه:

وفي مجال علم الفقه وأصوله، كان أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد من أهل قرطبة (ت 520هـ/1126م) [5]، من أنبه فقهاء المالكية في عصره، وكان ذا مكانة خاصة عند أمير المسلمين علي بن يوسف، بل ارتبط بالدولة المرابطية بشكل كبير،

---

(1)ينظر ابن عبد الملك المراكشي: الذيل والتكملة، ص223-224، ابن الأبار، التكملة، ص412-413، ابن القاضي: جذوة الاقتباس ج1، ص254.

(2)ابن الأبار: المقتضب من كتاب تحفة القادم، ط3، تح/ إبراهيم الابياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1989م، ص177.

(3) عبد الملك المراكشي: الذيل والتكملة، ص434، ابن الأبار: التكملة ج1، ص408-409، ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج1، ص251؛ الكتاني: سلوة الأنفاس ج3، ص263.

(4)عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص184-185، المقري: نفح الطيب، ج1، ص479

(5) كان فقيهاً عالماً حافظاً للفقه، مقدماً فيه على جميع أهل عصره، عارفاً بالفتوى على مذهب مالك، بصيراً بأقوالهم واختلافهم، فأخذ في علم الفرائض والأصول، من أهل الرياسة في العلم والبراعة والفهم مع الدين والفضل، والوقار والحلم. ولد سنة 450هـ/1058م، وتوفي 520هـ/1126م، ينظر: النباهي، المرتبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، ص99، ابن فرحون: الديباج المذهّب، ص373، ابن بشكوال: الصلة ج2، ص450-451، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ص501-502.

وأخذ عنهُ عدد لا يحصى من طلبة العلم، ومن علماء المغرب، القاضي عياض بن موسى اليحصبي السبتي [1]،حيث كانت تأتيه إلى الأندلس أسئلة من مختلف المغرب الإسلامي ومنها سبتة، ومراكش كما تردد على المغرب ومارسَ بها نشاطاً علمياً [2].

اللغة العربية:

كما توافد على جامع القرويين بفاس للقيام بتعليم اللغة العربية مجموعة من العلماء من بينهم محمد بن الحكم بن أحمد بن باق السرقسطي، الذي أخذ عنهُ كثير من الناس فنون اللغة[3]، وأبو إسحاق إبراهيم بن أبي الفضل الشاطبي، وهو أستاذ نحوي كان من أهل المعرفة بالعربية واللغة والأدب [4].

5-الكتابة:

بدأت الدولة المرابطية في استقدام الكُتَّاب الأندلسيين منذ عهد يوسف بن تاشفين، فكان كاتبهُ عبد الرحمن بن أسباط [5]،ومنهم محمد بن سليمان الكلاعي الإشبيلي [6]،المعروف بابن القصيرة (ت 508هـ)، وقد كان كاتباً ليوسف بن تاشفين. واحتشد في البلاط المرابطي إلى جانب ابن القصيرة ثلَّة من أعلام الكُتَّاب وأئمة البلاغة في ذلك الوقت، منهم الوزير محمد بن عبد الغفور وهو الذي كتب مرسوم

---

(1)ابن فرحون: الديباج المذهّب، ص378.

(2)عبد الملك المراكشي: الذيل والتكملة، ص307-308.

(3) جمال أحمد طه، الحياة الاجتماعية، ص285.

(4) رجب عبد الجواد إبراهيم: معجم علماء اللغة والنحو في الأندلس من الفتح إلى سقوط غرناطة، دار الآفاق العربية، (القاهرة ، 2004م، ص27.

(5)عبدالرحمن بن أسباط، أديب أندلسي من أهل المرية، كان من أوائل الأندلسيين الذين عملوا في البلاط المرابطي، وذلك قبل عبور الأندلس، التحق لخدمة البلاط المرابطي في سنة (472هـ/1080م)، استشاره يوسف في الأمر عند ورود كتاب المعتمد بن عباد إليه يستنجد بهِ على نصارى إسبانيا، فأشار عليه ابن أسباط بأن يطلب من ابن عباد أن يتنازل لهُ ولقواته عن الجزيرة الخضراء، وظل بن أسباط في خدمة المرابطين إلى أن توفي سنة (479هـ/1094م)، ينظر: مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص32؛ وأيضا: عبد الله بن عنان: عصر المرابطين، ص440، دندش: أضواء جديدة على المرابطين، ص103.

(6) محمد بن سليمان الكلاعي، من أعظم كُتاب الأندلس زمن الطوائف، واحد وزراء المعتمد بن عباد توفي سنة (508هـ/1114م)، الفتح بن خاقان: قلائد العقيان تح/الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، 1990م، ص5، عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص243، عنان: عصر المرابطين، ص441.

ولاية العهد لعلي بن يوسف بن تاشفين [1]،وكتب لهُ رسائل مختلفة، وكتب لهُ أيضاً أديب الأندلس عبد المجيد بن عبدون [2]،صاحب التراثية المشهورة في رثاء بني الأفطس أصحاب بطليوس

وهناك طائفة كبيرة من الكُتَّاب الأندلسيين ممن جمعوا بين النظم والنثر[3]،وعملوا في البلاط المرابطي، منهم ابن الجد الفهري المعروف بالأحدب[4]،فقد استدعاهُ علي بن يوسف بن تاشفين إلى مدينة مراكش وألحقه بديوانه، ومن الكُتّاب الذين خدموا الدولة المرابطية أبو عبد الله محمد بن مسعود ابن أبي الخصال، وابن الصيرفي وابن خاقان[5]،ونبغ على يد هؤلاء نخبة من الذين بلغوا مرتبة رفيعة في فن الكتابة ومحمد بن أحمد بن إبراهيم بن خلف الأنصاري (ت 540هـ/1145م)، من أهل قونكة، كان أديباً بارعاً في الكتابة، متين المعارف، كتب عن بعض أمراء لمتونه، وتوفي بفاس [6].

لقد كان لاجتماع هؤلاء الصفوة من كبار كُتَّاب الأندلس في الدولة المرابطية أهمية تدل على أن المرابطين لم يهملوا النواحي العلمية والأدبية والأساليب البليغة العالية، كما أنها تدل على حاجة أمراء المرابطين لهم، إذ كان لعلماء الأندلس الفضل في إرساء هذه القواعد العلمية في بلاد المغرب الأقصى.

---

(1) عبد الله كنون: النبوغ المغربي، ص27.

(2) أبو محمد عبد المجيد بن عبدون الفهري، كان من كبار شعراء الأندلس، توفي سنة(527هـ/1132م)، صاحب التراثية المشهورة وهي قصيدة طويلة جاءت في سبعة وسبعين بيتاً، عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص244، عمر ابن دحيه: المطرب من أشعار أهل المغرب، ص27، شوقي ضيف: عصر الدول والإمارة في الأندلس، دار المعارف، القاهرة، د.ت، ص344.

(3) يتمثل النثر في الرسائل الديوانية، والرسائل الإخوانية، والرسائل العلمية، ويتميز هذا النوع من الكتابة بالإسراف في استخدام المحسنات البديعية، كالسجع والجناس، السيد عبد العزيز سالم: قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، (د.ت)، ص182، عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص167-168.167.

(4) ابن بسام الشنتريني: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ص285، محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة ، 1990م، ص441.

(5) من أشهر كُتاب الأندلس، كان أديباً كاتباً شاعراً، أخذ العلم عن أدباء عصره كابن الصيرفي وابن القصيرة وابن اللبابة، وأبي محمد بن عبدون. ألّف كتاباً ضمنه ما أنتج من نثر أدبي وهو كتاب "بداية المحاسن وغاية المحاسن"، ومن كتبه "قلائد العقيان ومطمح الأنفس" (ت528هـ-1133م). ينظر: أحمد بن محمد المقري: نفح الطيب، ج8، ص248.

(6)ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، ج6، ص35-36.

المبحث الرابع:
انتشار العلوم الدينية ونشاط حركة التأليف

لقت العلوم الدينية اهتمامًا وعناية كبيرة في عهد المرابطين حتى بلغت درجة من النضج والتطور، ويعود السبب في ذلك إلى أنّ دولة المرابطين قامت على أساس ديني، ولذلك اعتنى ملوكها عناية فائقة بعلوم الدين؛ فقرّبوا علمائها وأكرموهم، وأصبحوا بذلك رجالًا في دولة المرابطين يوجهون سياستها، وقد نتج هذا عن المكانة السياسية والاجتماعية التي حظي بها العلماء في هذه الدولة، إذ كان لقب "الفقيه" في هذه الحقبة لا يعادله لقب، وكان المرابطون يسمّون الأمير الكبير منهم بـــ "الفقيه". وقد جعل هذا الأمر الفقهاء في مركز يُحسَدون عليه من طرف بعض أفراد الرعية ولا سيما الأدباء، وعندما وحّد المرابطون العدوتين معًا، كان لذلك الأثر العظيم في امتزاج المؤثرات الأندلسية بالمؤثرات المغربية، وهو الأمر الذي أتاح لأمرائهم الاطلاع على الحركة الفكرية المزدهرة في الأندلس والاستفادة منها [1].

لذلك اعتنوا عناية كبيرة بعلوم الدين، فقرَّبوا العلماء وأكرموهم، فازدهرت الدراسات الشرعية في عهد الدولة المرابطية، ولاسيما في عهد علي بن يوسف. وقد أُلِّفت العديد من الكتب في مختلف العلوم، منها: الحديث، والقراءات، والتفسير، والأصول. [2]،وغيرها وسنتعرض لنشاط العلماء والمشايخ ومساهماتهم في العلوم المختلفة وحركة التأليف وهي على النحو التالي:

---

(1)حسن عبد الجواد: الحياة الإدارية والاقتصادية في المغرب، ص505.

(2)عبد السلام أبو سعد: التفسير الفقهي عن أبي عطية، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 2003م، ص39.

1- علوم الدين:

تعدّد شـيوخ هذا العلم ومدارسـه، ونال حظّهم من العناية والرعاية من الأمراء في مختلف الحواضـــر الثقافية في الأندلس والمغرب، واشـــتهر من هؤلاء العلّامة الحافظ أبو علي الصـدفي [1]،الذي سـارت إليه الركبان في علم الحديث، وكان فريد اشتهر أيضًا أحمد بن طاهر بن عيسى الداني المتوفى سنة (532هـ/1137م)، الذي ألّف على الموطأ تصـنيفًا سمّاه الإيماء[2]،كما ألف القاضـي عياض عددًا من الكتب في الحديث منها (شـــرح صـــحيح مســـلم) و(الإلماع في ضـــبط الرواية وتنبيه الأنـام)[3]،واشـــتهر أيضًـــا أحمـد بن محمـد بن علي العـامري الغرنـاطي (ت539هـ/1144م)، من أهل غرناطة، من علماء الحديث، كان بارعًا في الأدب والعربية، كاتبًا مجيدًا ولهُ منظوم ومنثور[4].

كما ظهرت جمهرة كبيرة منهم من بلغ في ميدانه أرفع مكانة، وفي مقدمة هؤلاء أحمد بن عبد الله بن محمد الذي أَلَّفَّ عددًا من الكتب في الحديث، وكذلك عبد الله بن محمد ابن السَّيد المتوفى سنة (521هـ/1127م) فألف كتابًا في شرح الموطأ، كذلك أَلَّف عبد الله بن يربوع بن سليمان (ت522هـ/1125م) كتابًا أسماه (تاج الحلية وسـراج البغية في معرفة أسـانيد الموطأ) [5]،ومنهم أيضًـا محمد بن مسـعود بن أبي الخصـــال الغافقي: من مؤلفاته، كتاب (ظل الغمامة وطوق الحمامة في مناقب من

---

(1) العالم الفقيه الحافظ أبو علي الحســين بن فِيرة بن حيّون الصــدفي المعروف بابن سُــكرة، أصــلُه من ســرقســطة، ولد ســنة (454هـ/1062م)، اعتنى بالحديث، عارفاً بأسماء رجاله خبيراً بعلله، ولي القضاء بمرسيه سنة (505هـــ)، فحُمدت سيرته وطلب بعد ذلك للقضاء في إشبيلية، وخرج للغزو سنة (514هـــ/1120م) في يوم كتندة المشهود وخُتم له بالشهادة، ابن الأبار: المعجم، ص8، ابن الأثير: الكامل في التاريخ ج10، ص586؛ القاضي عياض: الغنية، ص193-195.

(2)ابن فرحون: الديباج المذهب، ج1، ص330-332.

(3)إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1965م، ص227.

(4)ابن فرحون: الديباج المذهب، ج1، ص196؛ السيوطي: بغية الوعاة ج1، ص373.

(5)ابن بشكوال: الصلة، ج1، ص282-283.

خصَّـه ﷺ صـحابته بالكرامة) ومنظومة (معراج المناقب ومنهاج الحسـب الثاقب) في نسب الرسول ﷺ [1].

محمد بن أحمد بن محمد بن مطرق التجيبي (ت بعد 540هـ/1145م)، من أهل قلعة أيوب، توفي بفاس، كان من أهل علم الحديث والفقه مقيدًا ضـــابطًا، رُوى عن أبي بحر سفيان العاصي، وأبي بكر غالب بن عطية، وأبي يعلى الصدفي، وأبي الوليد ابن رشد وغيرهم، ورُوى عنه ابنه أبو الخطاب، من مؤلفاته كتاب "المستفاد في مناقب العباد من أهل فاس وما يليها من البلاد" [2]،أحمد بن محمد بن عبد العزيز اللخمي [*]المعروف بابن المرخي، أصـــله من أشـــبيلية (ت533هـ/1138م)، وكان ينفرد هذا الرجل في عصره بالحديث وسمع منهُ الناس.

وأيضًـــــا أحمـد بن عمر بن إدريس بن عبـد الله بن ورد التميمي (ت504هـــــ/1145م) كان من جلة الفقهاء المحدثين، متقدمًا في علم الأصـــول والتفسـير، وكان لهُ مجلسًـا يتكلم فيه عن الصـحيحين، وكان يخصـص يوم الخميس للتفسير، وقد أَلَّف في شرح كتاب البخاري كتابًا كبيرًا [3].

2- الفقه:

وهو معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين، بالوجوب والحظر والندب والكراهة والإباحة، وهي منتقاة من الكتاب والســنة، وما نصــبه الشــارع معرفته من الأدلة، فإذا استخرجت الأحكام من تلك الأدلة قيل له فقه [4].

---

(1)رضا عمر كحالة: معجم المؤلفين، مطبعة الترقي بدمشق، 1960م، ج12، ص18-19.

(2)ابن الأبار: التكملة ج1، ص451، ابن القاضـــي: جذوة الاقتباس ج1، ص262-263، الكتاني: ســـلوة الأنفاس، ص266-267.

(*)ينظرابن الابار:المعجم،ص14.

(3)ابن فرحون، الديباج المذهب ج1، ص185.

(4)ابن خلدون، المقدمة، ص798.

كان التيار الفقهي المرابطي أقوى تيار في هذا العصـــر، فهي دولة الفقهاء فكانت أعداد علماء الفقه في العصـــر المرابطي كثيرة جدًا، منهم أبو الوليد محمد بن رشد [1] الجد.

وممن برز في الفقــه أيضًـــــا محمــد بن حكيم بن محمــد الجــذامي (ت538هـــ/1143) [2]،كذلك صنّف محمد بن إبراهيم بن جامع الأنصاري الجياني (ت546هـ/1151م) في مسائل الخلاف كتاب (أسرار الإيمان في سفر واحد) [3]،كما ظهر القاضي أبو بكر بن العربي[4]،وغيره الكثير.

غير أن من أهم فقهاء المغرب وعلمائها في هذا العصـــر هو القاضـــي أبو الفضـــل عياض الســـبتي، الذي قيل فيه: "لولا عياض لما ذكر المغرب"، وألف هذا العالم مؤلفات في العلوم المختلفة، نذكر منها: (مشــارق الأنوار)، و(الشــفاء بتعريف حقوق المصــطفى)، و(أجوبة القرطبيون)، و(كتاب المدارك وتقريب المســالك لمعرفة أعلام مذهب مالك)[5].

---

(1) القاضي أبو الوليد بن محمد بن أحمد بن رشد، ولد سنة (450هـــ/1158م) قاضي الجماعة بقرطبة وصاحب الصلاة بالمسجد الجامع، يُكنى أبا الوليد، رئيس الإفتاء في عصـــره، كان عالماً بالأصـــول والفروع والفرائض، تولى القضـــاء بقرطبة ســـنة (511هـ/1119م)، وكانت تُشد إليه الرحال من كل أنحاء الأندلس والمغرب للتفقه، تُوفي سنة (520هـ/1128م)؛ القاضي عياض، الغنية، ص122؛ النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص98-99.

(2)ابن فرحون: الديباج المذهب، ج2، ص283؛ تاريخ ابن خلدون ج1، ص449-450.

(3)دندش: الأندلس في نهاية المرابطين، ص391.

(4) القاضـــي الفقيه محمد بن عبد الله بن أحمد الإمام أبو بكر بن العربي المعافري الأندلســـي الحافظ، أحد أعلام الأندلس، ولد ســـنة (468هـ/1076م)، كانت لهُ رحلة إلى المشرق مع أبيه في (485هـ/1093م)، تتلمذ على يد أبي بكر الطرطوشي بمصر، ودخل الشام والحجاز والعراق وتفقه هناك، ثم عاد إلى الأندلس سنة (493هـــ/1101م)، وتولى قضاء إشبيلية، وكان من أهل التفنن في العلوم والاســتبحار فيها حيث انفرد بين العلماء في علوّ الإســناد، تُوفي ســنة (543هـ/1148م) ودُفن بمدينة فاس؛ النباهي: تاريخ قضــاة الأندلس، ص105-106 ، جلال الدين السـيوطي: طبقات المفسـرين، تح/ علي محمد عمر، الناشـر مكتبة وهبة، القاهرة، 1960م، مطبعة الحضارة العربية – الفجالة، ص100، القاضي عياض: الغنية، ص133.

(5)محمد بن عياض: التعريف بالقاضي عياض، : ط2، تح/ محمد بن شريفة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية، الرباط ، 1982م، ص10.

3-علم التفسير:

هو علم يعرف بسبب نزول الآيات وشؤونها والأسباب النازلة فيها، مكية أو مدنية، خاصها وعامها، مطلقها ومقيدها، حلالها وحرامها، وأمرها ونهيها وغيرها [1].

وقد سار علماء المسلمين في أول الأمر تجاه التفسير بالمأثور، وهو الاعتماد في التفسير بالرأي، فمنهم من أصاب ومنهم من أخطأ [2].ولكن في العصر المرابطي خطا المفسرون خطوات موفقة لم تكن لهم من قبل، حتى صار هذا العصر مثال مرحلة مميزة في حياة التفسير في الأندلس والمغرب.

وزادت العناية في هذه الفترة بتفسير القرآن وفهم معانيه وشرح علمهم من الناحية اللفظية واللغوية، ومن ناحية المعاني والأفكار، فكان معظم اعتمادهم في التفسير على الحديث النبوي قولًا وفعلًا، وقد عرف المغرب في عهد الدولة المرابطية بعض النشاط المتعلق بدراسة تفسير القرآن الكريم، حيث نهض بأعباء هذه الدراسة رجال الفكر والمعرفة الأندلسيون الذين انتقلوا إلى المغرب، منهم: أبو القاسم أحمد بن عمر المعروف بابن ورد (ت540هـ/1145م)، كان له كتاب في النوازل الفقهية [3]، وللقاضي أبو بكر العربي المعافري كتاب في التفسير (أنوار الفجر في تفسير القرآن)[4]، إلا أن أشهر علماء التفسير في هذا العصر هو الإمام أبو محمد عبد الحق بن عطية المحاربي [5]،ألف تفسيرًا سماه (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب

---

(1)عبد الوهاب عبد المجيد غزلان: البيان في مباحث علوم القرآن، القاهرة: د.ت، ص35.

(2)أمينة الصالحين: الصلات العلمية بين عدوتي الأندلس والمغرب زمن المرابطين، رسالة ماجستير، أكاديمية الدراسات العليا، جنزور،2007م، ص97

(3)ابن بشكوال: الصلة، ص83، محمد مخلوف: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2002م، ج1، ص197.

(4)الهرفي: دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف، مكة المكرمة، دار الندوة، 1985م، ص322.

(5)هو القاضي أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي الغرناطي، (ت541هـ/1146م)، كان أحد رجال الأندلس الجامعين بين الفقه والحديث والتفسير والأدب، وُلّي قضاء الملثمين في آخر عهدهم، سمعوا منه، وأدرك شهرة عظيمة بتفسيره الذي اختصر كل ما كتب قبله من التفاسير، ابن الأبار: المعجم، ص259.

العزيز) في عشر مجلدات، وقد اعتمدهُ جماعة من المفسرين ممن جاءوا بعده، أمثال أبو حيان الغرناطي وعبد الرحمن الثعالبي وابن تيميه وابن خلدون [1].

4- علم القراءات:

يعد علم القراءات من أهم العلوم التي تساعد على صحة قراءة القرآن الكريم والتمكن من قراءته، واشتهر في علم القراءات سبعة من الأئمة [2] وأصبح المرجع الى قراءاتهم في هذا العلم،ففي القرن الخامس الهجري الحادي عشر ميلادي صار علم القراءات في الأندلس علمًا مميزًا عن علم القراءات في المشرق، وذلك بفضل مجموعة من علماء الأندلس [3] وتدين بلاد المغرب إلى رجال العلم الأندلسيين، الذين وضعوا البذرة الأولى الخاصة بالاشتغال بعلم القراءات وتدريسه في المغرب خلال الحكم المرابطي [4].

اهتم الشيوخ والطلاب في بلاد المغرب بدراسة القراءات السبع والتبحر فيها، وقاموا بتدريسها لطلابهم في المساجد، فكانت مراكش من أوائل المدن التي نهضت بهذا اللون من الدراسات الشرعية، وكان من أئمة هذا العلم أحمد بن علي بن أحمد خلف الأنصاري، المعروف بابن البيدش [5]،ومن مؤلفاته كتاب (الطرق المتداولة) و(الإقناع) الذي يعد من أهم كتب القراءات.

---

(1)ابن خلدون: المقدمة، ص402.

(2) الأئمة الشبعة هم أبو عمرو، ونافع، وعاصم، وحمزة، والكسائي، وابن عامر وابن كثير، ينظر: مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، ط13 ، مكتبة وهبة، القاهرة ، 2004م، ص163.

(3) كان أبو عمر أحمد بن عبد الله الطلمنكى (429هـ/1036م) أول من أدخل القراءات إلى الأندلس، ثم ظهر من بعده مجموعة من العلماء في علم القراءات من بينهم الحافظ أبو عمرو الداني، ومحمد بن عقّال السرقسطي، وأبو محمد عبد الله بن إدريس بن سهلا المقري؛ ينظر: المقري: نفح الطيب، ج2، ص136.

(4)محمد عادل عبد العزيز: الجذور الأندلسية في الثقافة المغربية، ص102.

(5) أبو الحسن علي بن أحمد الأنصاري، من أهل غرناطة، ولد سنة (444هـ/1053م)، شيخ المقرئين، عارفاً بعلوم الحديث والأدب والأصول، قصده الناس في القراءة والنحو والرواية، إمام الناس بجامع قرطبة، تُوفي سنة (528هـ/1123م)؛ ابن الأبار: المعجم، ص29.

ومن نبغ في هذا العلم أيضًا أبو إسحاق المعروف بابن عبد الله بن أحمد بن أبي الحسن المشهور بالسهيلي، من مؤلفاته (التعريف والأعلام بما أبهم في القرآن من أسماء الأعلام) [1].

والشيخ أبو عبد الله محمد المورووري تصدر لإقراء القرآن بسبتة طوال حياته[2]، والشيخ الحسن بن دري الأنصاري قرأ عليه القاضي عياض برواية نافع [3].

5- علم الكلام:

هو علم يتضمن الاستدلال على العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية[4]، ومن خلال الاطلاع على كتب التراجم والطبقات، نجد عددًا لا بأس بهم من الذين برعوا في هذا العلم والاشتغال فيه، لا سيما في عهد الأمير علي بن يوسف، الأمر الذي استدعى توجيه سؤال إلى القاضي أبي الوليد بن رشد بشأن هذا العلم والمشتغلين فيه، فأجاب بأن ذلك لا يتعارض مع المذهب، وترَك الحرية لمن أراد الاشتغال به وتدريسه [5] وكان القاضي عياض وأبو بكر بن العربي ممن برعوا في هذا العلم[6].

هكذا كانت الحركة الدينية أيام أمراء دولة المرابطين الذين انصرفوا إلى تشجيع فقهاء المذهب المالكي والعلماء الذين نبغوا في مختلف فنون العلم والمعرفة الإسلامية، وصاروا أئمة في كثير من ميادينها، فلم يتعصبوا للفقه المالكي على حساب العلوم الأخرى.

---

(1)ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة ج3، ص477-479.

(2)عياض: الغنية، ص90، ابن الأبار: التكملة، ج1، ص408.

(3)عياض: الغنية، ص176.

(4) ابن خلدون المقدمة، ص423.

(5)دندش: الأندلس في نهاية المرابطين وبداية الموحدين، ص401.

(6)عبد الله كنون: المدخل إلى تاريخ المغرب، ص45.

انتقال الكتب:

ول علماء المغرب وطلاب علمها الكتب الأندلسية، سواء تلك المتداولة قبل ظهور المرابطين أو التي أصبح معروفة بعد العصر المرابطي. فمن كتب التفسير التي ذاع صيتها في بلاد المغرب وكان أصحابها من الأندلس الذين عاصروا الدولة المرابطية: (كتاب التفسير) لأبي محمد بن عطية الغرناطي [1]،الذي عوّل عليه أهل المغرب وتداولوه بالدراسة [2].

أما الوليد بن أحمد بن رشد الجد، فإن كتبه كانت هي المعتمدة في العصر المرابطي، ويعد كتاب (البيان والتحصيل) لابن رشد الجد من أمَّهات كتب المذهب المالكي، فهو مدونة القرويين التي كان فقهاء الغرب الإسلامي في القرون الوسطى يحفظونها عن ظهر قلب، ومن أشهر مؤلفاته أيضاً (المقدّمات والممهدات) وكتب (واختصار المبسوطة) و(تهذيب مشكل الآثار) ونوازل ابن رشد [3].

ومن كتب النحو التي كانت تدرس في المؤسسات العلمية بمراكش: كتاب (سيبويه) و(الإيضاح) لأبي علي الفارسي [4]ولا شك أن انتقال هذه الكتب قد تم نقلها عبر الأندلس.

كما اطلع طلاب العلم في المغرب في عصر المرابطين على المصنفات التي أُلفت في الفلسفة والمنطق والتي كان أهلها من الأندلسيين، ووجد الفيلسوف ابن باجة[5][6] في الدولة المرابطية في ذلك الوقت.

---

(1) عبد الله عبد الحق بن غالب بن عطية الغرناطي، ولد سنة 481هـ/1088م، وهو من أهل غرناطة من بيت عريق في العلم، تفقه على يد فقهاء غرناطة كابن ربيع، وأبي عثمان، وأبي جعفر، وأخذ الحديث عن أبي علي الجياني، والنحو عن أبي محمد الحارث، والتفسير عن ابن عطية تلخيصاً للتفاسير السابقة، (ت542هـ/1146م)؛ ينظر: أحمد ابن عميرة الضبي (ت599هـ): بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس ، تح/ إبراهيم الابياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1989م، ج2 ، ص506-507.

(2) محمد الأمين بالغيث: الرباط في المغرب الإسلامي، ص205.

(3)دندش: الأندلس في نهاية المرابطين ومستهَل الموحدين، ص390.

(4)محمد عبد العزيز عادل: الجذور الأندلسية في الثقافة المغربية، ص119.

(5) هو أبو بكر محمد بن الأصبغ المعروف بابن باجّة، ولد بسرقسطة حوالي سنة (462هـ/1070م)، سكن سرقسطة ثم المرية وغرناطة وإشبيلية، ثم قدم على بلاد المرابطين، حيث مات مسموماً بمدينة فاس سنة (533هـ/1139م)، وكان عالماً فاضلاً، له تصانيف في الرياضيات والمنطق، كما نبغ في الفلك والطبيعة والموسيقى، ينظر: المقري، نفح الطيب، ج3، ص434، ابن أبي أصيبعه: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص515-516.

(6)المقري نفح الطيب، ج3، ص434.

ومن المصـنفات التاريخية التي اطلع عليها الأندلسـيون وكانت متداولة للبحث والدراســة لدى أهل المغرب في العصــر المرابطي: كتاب المصــنفات التاريخية لابن علي الصـقر الأنصـاري الذي سـكن مراكش وتوفي بها سـنة (523هـــ/1128م) [1]،والمتمثلة في (مختصــر الســيرة والمغازي) لابن إســحاق [2]،(تاريخ أبي جعفر الطبري في سـفر متوسـط)، وكتاب (منتخب سـير المصـطفى) لأبي سـعيد بن عبد الملك بن محمد الخراساني [3].

كما انتقلت كتب الطب الأندلســية إلى بلاد المغرب، لا ســيما كتُب طبيب المرابطين أبو العلاء زُهر بن عبد الملك بن محمد [4]،حيث أمر أمير المسلمين علي بن يوسف بعد وفاة ابن زهر أن تُجمع كُتبه وتُنسخ في سائر بلاد العدوة والأندلس[5].

كما عمل بالبلاط المرابطي كثير من الأطباء الأندلسيين، كانت لهم مصنفات طبية منها ما كان يتعلق بالأمراض الغالبة الانتشار في المغرب والأدوية المناسبة لها [6]،ومن أبرز هؤلاء: إبراهيم بن الفضـل بن صـواب الحجري من أهل مدينة شـاطبة التي تعلم الطب وعمل بمعالجة الناس، ورحل بعدها إلى مدينة فاس، فاســتقر بها يمارس مهنته حتى تُوفّي سنة (506هـ/1112م) [7].

---

(1)حسن علي حسن. الحضـارة الإسـلامية في المغرب والأندلس في عصـر المرابطين، مكتبة الخانجي، مصـر ،1980م، ص487.

(2)جمال أحمد طه: مدينة فاس في عصر المرابطين، ص295.

(3)المرجع نفسه، ص295.

(4) اشتغل أبو العلاء بالطب وهو صغير في أيام المعتضد بالله صاحب إشبيلية، وبعد زوال ملكهم أصبح وزيراً لإبراهيم بن يوسف بن تاشـفين، ترك تراثاً مهماً في الطب أهمها "مجريات الخواص" و"الأدبية المفردة" و"المدخل إلى الطب" و"النكت الطبية"، تُوفي سـنة 525هـ/1130م، ينظر: ابن بسام الشنتريني: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ج1، ص216-218، ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب ، ج4، ص85.

(5)بالغيث: الحياة الفكرية بالأندلس في عصــر المرابطين، رســالة دكتوراه جامعة الجزائر، 1424هـ/2003م، ص471.

(6)محمد عبد العزيز: الجذور الأندلسية، ص151.

(7) محمد عبد العزيز: الجذور الأندلسية، ص152.

يعد عصـــر المرابطين عصـــر ازدهار الطب بالمغرب والأندلس، لا شـك أن بلاد المغرب اســتفادت من أطباء الأندلس، حيث تكوّنت مجموعة من الأطباء التفَّتْ حول أمراء المرابطين، وكان لهم أثر في تطور الطب وازدهاره ببلاد المغرب، ومن أهم هؤلاء الأطباء الأندلسيين الذين عملوا بالطب في المغرب في عهد المرابطين: أبو العلاء زهر بن أبي مروان عبد الملك بن مروان، الذي اســتدعاه الأمير يوســف بن تاشفين إلى البلاط، وبقي بعد وفاة يوسف طبيبًا لابنه علي [1].

ومن خلال هذا الفصـــل تبين لنا أن المغرب والاندلس في القرن(الخامس الهجري ،الحادي عشـر ميلادي) شـهد ازدهاراً كبيراً في كل العلوم بشـكل عام الا أن العلوم الدينية شـهدت نشـاطاً واسـعاً في حركة التأليف وذلك من خلال اهتمام الدولة المرابطية بالعلوم الشـــرعية ، فقد ركز المرابطون على نشـــر المذهب المالكي الذي جعلوه المذهب الرســمي للدولة، كذلك كان لأنشـــاء المســـاجد والزوايا والمكتبات في المدن الكبرى مثل فاس ومراكش وقرطبة دور في نشـــر التعليم الديني ،كما كان لتشـــجيع الحكام للعلماء ودعمهم دور في ظهور علماء مثل ابن العربي والقاضـــي عياض وغيرهم ، وبذلك نشطت حركة التأليف والمصنفات في الفقه والعقيدة والحديث ،وأيضـاً كان لوحدة المغرب والأندلس تحت راية الدولة المرابطية دور كبير في انتقال العلماء وتبادل الكتب بين الجانبين مما زاد في انتشار المعرفة الدينية وتطورها .

(1)ابن عبد الملك المراكشي: الذيل والتكملة، ج6، ص540.

الفصل الثاني:
أثر المدرسة الأندلسية في التكوين العلمي بالمغرب الأقصى

المبحث الأول: مصادر العلوم عند علماء الأندلس.

المبحث الثاني: أثر أعلام المدرســـة الأندلســـية في التكوين العلمي (العلوم) للمغاربة "القاضي عياض نموذجاً".

المبحث الثالث: التصـــوف في بلاد المغرب الأقصـــى وموقف دولة المرابطين منهُ.

المبحث الأول: مصادر العلوم عند علماء الأندلس

قبل الخوض في الأثر العلمي للمدرسة الأندلسية في بلاد المغرب الأقصى، لا بدّ لنا أن نوضح مصادر علوم علماء الأندلس التي أفرزت المدرسة الأندلسية، كانت الأندلس تابعة للسيادة الأموية في بلاد الشام، ولهذا كان من الطبيعي أن تتأثر بالمظاهر الحضارية الشامية، وهو ما يعرف بالتأثير الشامي؛ الذي ظهر منذ البداية في شبه الجزيرة، وأخذ التقليد الشامي يتعمّق بسبب قدوم جماعات عربية حققت للأندلس وحدتها السياسية والدينية [1].

وفي نهاية القرن الثاني، وبسبب الظروف السياسية، ضعف التأثير الشامي في الأندلس، فاهتدت الأخيرة إلى المؤثرات الحجازية، وكانت المدينة المنورة مركز العلوم الدينية، وذلك لوجود الإمام مالك بن أنس (ت: 179هـ / 595م)، صاحب الموطأ، فأقبل الأندلسيون على اعتناق مذهبه مذهبه[2]،وذلك في عهد الأمير هشام الرضا بن عبد الرحمن الداخل.

وقد تبلور التأثير الحجازي في علماء الأندلس الذين رحلوا إلى الحجاز ودرسوا على يد الإمام مالك، فنقلوا مذهبه إلى الأندلس، وفي مقدمتهم أبي عبد الله زياد بن عبد الرحمن اللخمي[3]،وتُعلِّل الروايات أن الشبه الكبير بين طبيعة أهل المغرب والأندلس وطبيعة أهل الحجاز من حيث البساطة والبعد عن التعقيد، ولهذا فإن عقلية أهل الأندلس والمغرب كانت تغلب عليها نزعة أهل الحديث[4] وكان من أسباب

---

(1)بروفنسال ليفي :*حضارة العرب في الأندلس*، ترجمة ذوقان قرقوط، دار مكتبة الحياة، بيروت: د.ت، ص46.

(2)المرجع نفسه، ص49، خليل إبراهيم صالح السامرائي: تاريخ المغرب العربي، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر ، الموصل، 1988م، ص315.

(3) المرجع نفسه، ص316.

(4) أحمد مختار العبادي: في تاريخ المغرب والأندلس، ص116.

انتشـار المذهب المالكي في بلاد المغرب الإسـلامي[1]،إضـافة إلى ما حققته قوافل الحج من تواصل مع بلاد الحجاز.

أمّا التأثيراتُ العراقية، حدثت منذ عهد الأمير عبد الرحمن الثاني الذي اتَّبع طريقة العباسـيين واقتدى آثارهم، ولهذا أصـبح نظام الإدارة في قرطبة صـورة منقولة عن نظام الإدارة العباسـية، حيث قام العديد من طلاب العلم الأندلسـيين بالرحلة إلى العراق للتزوّد بالعلوم من منابعها، وقد أمضـى معظمهم سـنوات طويلة تجاوزت العشرين سنة من أجل هذه المهمة، وأنفق كثيرون القسم الأكبر من ثرواتهم في شراء الكتب التي أدخلوها إلى الأندلس، إضـافة إلى إمكانية حمل العلم روايةً في الصدور[2].

وقد اعتمد الأندلس والمغرب أوّلاً على التراث الإسـلامي بالمشـرق، وكان هذا الاعتماد إمّا عن طريق اسـتقدام العلماء المشـارقة إلى المغرب والأندلس، وإمّا عن طريق رحلة طلبة العلم إلى المشرق للتزوّد بالعلم والتحصـيل في مختلف أنواع العلوم والآداب، وكان أهل الأندلس أحرص الناس على التزوّد بالعلم. وقال في ذلك المقري في كتابه نفح الطيب: فالجاهل الذي لم يوفقه الله للعلم يجهد أن يتميّز بصـنعة، ويربأ بنفسه أن يُرى فارغاً عالة على الناس؛ لأن هذا عندهم في نهاية القبح، والعالِم عندهم معظَّم من الخاصـة والعامة، ويُشـار إليه ويُحال عليه، ويَنبُه قدره وذكره عند الناس ويُكرم.... [3].

لقد مرّت الحركة العلمية في الأندلس بعصور عدة ابتداءً من عصر الولاة إلى عصر ملوك الطوائف، ولكن سأكتفي بالحديث المختصر عن مصادر علومهم، وذلك لعدم التشعّب والإطالة والخروج عن لُبّ الموضوع.

---

(1)عبد الحميد السامرائي: تاريخ حضارة المغرب والأندلس، دار شموع الثقافة،2002م،ص316.

(2)المرجع نفسه، ص320.

(3)نفح الطيب،ج1،ص220.

لقد ازدهرت الحركة العلمية في الأندلس في عصر الطوائف (422–484هـ / 1030–1091م)، وانتشرت المكتبات العامة والخاصة التي احتوت على أجود وأنفس الكتب. وقد دعمت مملكة إشـــبيلية هذه الظاهرة، وكذلك مملكة المرية وبطليوس وطليطلة. فاشـــتهرت العديد من المكتبات، من بينها :**مكتبة الوزير أحمد بن عباس** وزير زهير العامري[1]،ومكتبة أبي محمد عبدالله بن حَيّان بن قرصـوف الأروشـي من مدينة بلنسية، الذي كان ذا همة عالية في اقتناء الكتب.

كما اشـتهرت أيضـاً العديد من الدراسـات التاريخية والجغرافية في الأندلس خلال هذه الفترة. وكان من روّادها ابن حَيّان المعروف بكتابه المقتبس، والعالم ابن حزم صاحب جمهرة أنساب العرب ونقط العروس. ومن العلماء أيضاً أبو عمر يوسف بن عبد البر من أهل قرطبة، الذي ألّف كتاب (الاســـتيعاب في معرفة الأصـــحاب) و(الدرر في اختصـار المغازي والسير) [2]، وكان رائد الدراسات الجغرافية في عصر الطوائف أبو عبيد الله البكري من أهل إشـبيلية (ت: 487هـ/1094م)، صـاحب كتاب (المسـالك والممالك) وكتاب (معجم ما اســتعجم) [3]، ولأهمية مصـــادر العلوم عند علماء أهل الأندلس سنتناول نبذة مختصرة عن هذه العلوم وهي على النحو التالي:

1–العلوم الدينية:

إنَّ العلوم الدينية واللغوية والأدبية كانت عميقة الجذور في وعي الأمة العربية الإسـلامية، وكانت تتلقى التأييد من الرأي العام العربي الإسـلامي الذي ظل متشـبِّعاً على الدوام بالروح الدينية. فازدهرت العلوم الدينية في فترة عصـر الطوائف، لاسـيما

(1)محمد عبدالله :دول الطوائف، ص136–137.

(2)الحميدي :جذوة المقتبس، ص268؛ السامرائي :تاريخ المغرب، ص336.

(3)عنان: دول الطوائف،434؛السامرائي،تاريخ المغرب،336.

في بلاط المعتصم بن صمادح[1] وغيره، حيث كانوا يعقدون مجالس الفقهاء في كل جمعة يتدارسون كتب التفسير والحديث. ورعت مملكة دانية العلوم القرآنية، وكان رائدها شيخ القرّاء أبو عمرو الداني، وأبو محمد مكي بن أبي طالب القرطبي (ت 437هـ/1045م) الذي كان متبحراً في علوم القرآن، مجوِّداً للقراءات السبع، عالماً بمعانيها.

وتزعَّمَ الدراسات الفقهية العالمان أبو محمد علي بن حزم وأبو الوليد الباجي اللذان دعَوَا إلى توحيد الأندلس [2].

2-الدراسات اللغوية:

في فترة الطوائف، كان من روّاد الدراسات النحوية العلامة اللغوي أبي الحسن علي بن سِيْدَة (ت 458هـ/1068م)، صاحب كتاب المحكم[3]، كما قدِمَ إلى الأندلس سنة (406هـ/1015م) ثابت بن محمد الجرجاني (ت431هـ/1039م)، وكان إماماً في العربية، متمكناً في علم الأدب[4].

3-العلوم الأدبية:

أ- النثر:

استمر النثر يسير على الأسلوب التقليدي المشرقي؛ فهو يميل إلى الإيجاز ويعنى بقوة العبارة أكثر من عنايته بتجميلها، مع خلوّهِ غالباً من المقدمات الطويلة. إلا أنه ظهرت عليه بوادر الأدب الأندلسي، فهناك التجديد الموضوعي الذي تزعمه عاصم بن زيد العبادي[5].

---

(1) ويعرف بالشاطن ابو يحيى التجيبي الاندلسي، عرف قصر المعتصم بكونه قبلة الشعراء والادباء في ذلك العصر فضم بلاطه العديد من شعراء عصرة بالإضافة ما اشتهر به المعتصم بن صمادح نفسه وأبناؤه عز الدولة ورفيع الدولة وابنته ام الكرام بكونه من كبار الشعراء، ينظر: عنان، محمد عبدالله، دولة الاسلام في الاندلس، مكتبة الخانجي القاهرة، 1997، ص168.

(2)سالم عبدالعزيز سالم:قرطبة،ص199؛السامرائي،تاريخ المغرب،ص336.

(3)عنان: دول الطوائف، ص434.

(4)الحميدي: جذوة المقتبس، ص284.

(5)عنان: دول الطوائف،ص،423.

وقد اشتهرت في المشرق أسماء أندلسيين وذاع صيتهم، أمثال: ابن عبد ربه الأندلسي صاحب العقد الفريد، وأبو بكر الطرطوشي الذي وضع بحثاً في الأخلاق أسماه سراج الملوك ، ونشطت الحركة الأدبية في فترة ملوك الطوائف على الرغم من الفرقة السياسية التي ضربت الأندلس، وذلك لرعاية ملوك الطوائف للأدباء والعلماء، إذ إن معظم ملوك الطوائف كانوا رجال علم، وبذلك غدت قصورهم منتديات علمية و أدبية[1].

ب- الشعر:

لما سقطت الخلافة الأموية وقامت دول الطوائف، تنافس ملوكها على اجتذاب شعراء تباروا في نظم القصائد، وحظيت قرطبة في ظل بني جهور بنوع من الاستقرار النسبي، وازدهرت الحياة الأدبية فيها بفضل تشجيع أبو الحزم جهور بن محمد بن جهور للحركة الأدبية، ويمثل الوزير الشاعر أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن زيدون هذا الازدهار الأدبي أصدق تمثيل، فقد سجَّل بأشعاره كثيراً من أحداث حياته[2].

وفي هذا العصر نبغت شاعرات مجدات، منهن: أمال العلاء بنت يوسف الحجازية، والشاعرة أمال الكرام بنت المعتصم بن صمادح، والشاعرة حفصة بنت حمدون الحجازية، وزين بالمرية، وأسماء العامرية، وبثينة بنت المعتمد بن عبَّاد، وكلهن شاعرات في عصر ملوك الطوائف، وأشهرهن ولادة بنت المستكفي[3].

ج-الموشحات والأزجال الأندلسية:

يجمع مؤرخو الأدب الأندلسي على أن فن الموشحات نشأ في الأندلس على يد مقدّم بن معاقي القبري، ويكنى أبا الحسن، ويلقب أحيانا بمخترع الموشحات)[4] الأندلسية، وكان بليغاً كاتباً أديباً شاعراً، وأخذ عنه أحمد بن عبد ربه صاحب كتاب (العقد الفريد)، حيث وجد الغناء استجابة في الأندلس بعد دخول زرياب لها وامتزاج

---

(1)عنان: دول الطوائف،ص136-137.

(2)السيد عبدالعزيز سالم: في تاريخ وحضارة الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية ، 1985م ص296.

(3)المرجع نفسه، ص296.

(4) جودت الركابي: في الآدب الاندلسي، ط2 ، دار المعارف، القاهرة، مصر ، 1975م، ص287.

العرب بالإســـبان، غير أنّ هذا الفن لم يبلغ ما بلغه إلا في عصـــر ملوك الطوائف نتيجة لتعدد المراكز الثقافية، ثم بلغ ذروته في دولتي المرابطين والموحدين[1].

أما الزجل، فهو شـــعر غنائي يمتاز بتكرار القافية في نهاية كل بيت، حتى يتيسـر إنشـادهم مع المجموعات على نغمات العود والمزمار. وأول من ابتكر الزجل أبو بكر ابن قزمان القرطبي (ت 555هـ/1160م)، الذي يعد إمام الزجَّالين، وانتقل الزجل إلى بلاد الأندلس مع الهجرات الأندلســية في أواخر القرن الســادس الهجري، وتأثر به السكان المحليون وطوروه[2].

4- العلوم العقلية:

بَرَعَ العلماء العرب والمســـلمون في كثير من مناحي العلوم المختلفة، حيث ترجموا وألَّفوا وصـنَّفوا اصـطلاحات جديدة لم تكن معروفة من قبل، وشـاعت في كافة البقاع التي كانت تنهل من معين ما ألفه العرب، وقد ظلّت هذه الاصـــطلاحات العلمية تستعمل حتى يومنا هذا في الكتابة العلمية. ومن بين هذه العلوم:

أ-علم الطب:

كانت قرطبة مركز الدراسات الطبية، ففيها ظهرت أعظم مجموعة من الأطباء والصـيادلة الذين أسسوا مدرسـة في علم الطب والعقاقير. وقد أسـهم في تقدمها بعض الأطباء المشـارقة الذين رحلوا إلى الأندلس نتيجة الاضـطراب السـياسـي في المشـرق، فلقوا الترحيب والعناية في ربوعها، وقد ذاعت شـــهرة هؤلاء الأطباء وغيرهم حتى وفد بعض ملوك الإسبان إلى أطباء الأندلس لعلاج ما استعصى من أمراضهم[3].

(1)ابن خلدون: العبر، ج 1، ص 584؛ السيد عبدالعزيز سالم: قرطبة حاضرة الخلافة، ص 99.

(2)ابن خلدون: العبر،ج1،ص584، السيد عبدالعزيز سالم: قرطبة حاضرة الخلافة،ص184.

(3)عبد الحميد السامرائي: تاريخ المغرب والأندلس ، ص80-81.

ومن الأطبـاء الـذين أنجبتهم الأنـدلس: خلف بن عبـاس الزهراوي (ت 404هـ/1013م) الذي اشـتهر بالجراحة بشـكل خاص[1]،وأبو داود سـليمان المعروف بابن جلجل[2]،ومن مشـاهير عصـر الطوائف أبو عبيد الله البكري الذي له معرفة بالأدوية المفردة وخواصـها ومنافعها وأسـمائها ونُعوتها[3]،وعبد الرحمن بن إسحاق بن الهيثم أحد أطباء الأندلس البارزين من أهل قرطبة، الذي نسب إليه كتاب (الكمال والتمام في الأدوية المسهلة والمقيئة)[4]. كما اشتهرت بلنسية بطبيبها عبد الله بن محمد المعروف بابن الذهبي (ت 456هـ/1063مـ)[5].

واشتهر بنو زهر من أشراف إشبيلية بصناعة الطب التي توارثوها عن جدهم عبد الجبار بن أبي سلمة القرشـي الزهري، الذي خلال الأندلس تعلم على يد موسـى بن نصير، ونبغ في عهد المرابطين أبو العلاء زهر بن عبد الملك الذي نشأ في شرق الأندلس واهتم بعلم الأبدان، وجاء من بعده إبنه عبد الملك الذي عاصـر الدولة المرابطية (ت 557هـ/1161مـ)[6].

ب-علم الكيمياء:

من إسـهامات العلماء العرب والمسـلمين اسـتحضـار كثير من المركَّبات والحوامض التي أصـبحت تقوم عليها الصـناعات الحديثة، مثل صـناعة الصـابون والورق والحرير والصبغة والسماد الاصطناعي والمفرقعات وما إلى ذلك [7]،ومن أكبر

---

(1)ابن شكوال: الصلة،ج1، ص162.

(2)السيد عبد العزيز سالم، في تاريخ وحضارة الأندلس، ص285.

(3) ابن أبي أصيبعه: عيون الأطباء، ص71.

(4)المصدر نفسه: ص72.

(5) صاعد: أبو القاسم بن أحمد بن صاعد الأندلسي (ت 462هـ/1070م): طبقات الأمم، تح/ حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، د.ت، ص 62

(6)السيد عبدالعزيز :تاريخ وحضارة الإسلام،ص285.

(7)عمر التومي الشيباني: الحركة العلمية في مجال العلوم الأساسية ،طرابلس،1990 ،ص32.

علماء الكيمياء العرب جابر بن حيّان (ت 198هـ/813م)[1]، وأبو بكر محمد بن زكريا الرازي (ت 320هـ/932م)[2]، وقد اشتغل أهل المغرب والأندلس بالكيمياء، واشتهر من بينهم مسلمة بن أحمد المجريطي (ت 398هـ/1007م) وهو شيخ الأندلس في علم الكيمياء. كما نبغ عباس بن فرناس في هذا العلم، وهو أول من استنبط في الأندلس صناعة الزجاج من الحجارة [3].

ج- علم الحساب والهندسة:

من كبار علماء هذا العلم محمد بن موسى الخوارزمي (ت 232هـ/846م)، وأبو الريحان محمد بن محمد البيروني (ت 440هـ/1048م) [4]وقد تقدَّمت العلوم الرياضية في فترة الخلافة، وكان من روّادها العالم أبو غالب حبّاب بن عبادة الفرَضي، وله تأليف في حساب الفرائض[5].

ونالت العلوم عناية كبيرة من ملوك الطوائف، ويأتي في مقدمتهم المقتدر بن هود وولده المؤتمن أمير سرقسطة، إذ كان المؤتمن من العلماء البارزين في الرياضيات. كما اشتهر ابن أحمد السرقسطي (ت 488هـ/1095م) بعلم الأعداد الهندسية، واشتهر أبو الحكم عمر بن أحمد الكرماني القرطبي (ت 458هـ/1056م) في علم العدد والهندسة [6]،وبرز العالم الأندلسي ابن الزرقاني في علم الرياضيات (ت 480هـ/1087م)، ويؤكّد علماء الرياضيات أنه ألّف جداول في علم حساب

---

(1)أحمد محمد عبدالقادر: إسهامات علماء العرب المسلمين العلمية، طرابلس، 1990م، ص 79.

(2)الشيباني:الحركة العلمية،ص35.

(3)ابن الفرضي:أبو الوليد عبدالله بن محمد الأزدي(ت403هـ)، تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس ، نشر: السيد عزت العطار، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1954م ،ج2،ص188.

(4)الشيباني: الحركة العلمية،ص33.

(5)صاعد:طبقات الأمم،ص67-68.

(6)عنان :دول الطوائف،ص435.

المثلثات، وقد ترجمتها أوروبا إلى اللاتينية [1]،ويُعدّ الخوارزمي أوّل من وضـــع علم الجبر بشـكل مسـتقلّ عن الحسـاب، ويُعدّ كتابه الجبر والمقابلة منهلًا لعلماء العرب والأوروبيين على السواء.

د-علم الفلك:

أســـهم العلماء المســـلمون في علم الفلك والنجوم والجغرافية الطبيعية ذات الارتباط الوثيق فيما بينها، ثم ترجموا كتب الفلك للأمم التي سـبقتهم، وصـححوا كثيرًا من الأخطاء التي وردت فيها، وأضافوا إليها تحقيقًا، وكشفوا مخالفاتها في نواحٍ كثيرة. ومن هذه الكتب كتاب المجســـطي لبطليموس ويعد أبو عبد الله محمد بن جابر بن سنان البتاني (ت 317هـــ/929م) من أعظم علماء عصره، وأنبغ علماء العرب في الفلك [2]،ولكن العلماء العرب في فترة الطوائف وضـعوا تصـوراتهم الخاصـة بتجديده وتطويره، حيث عمل ابن خلف الذي عاش في بلاط طليطلة خلال القرن الخامس الهجري على وضـع الصـحيفة الشـاملة، فيما تبعه فلكي آخر هو أبو إسـحاق إبراهيم بن يحيى النقّاش ليضـع الصـحيفة الزرقية: وهي أداة فلكية متطورة كان لها دور كبير في تطوير علم الفلك من خلال تصـحيح الأخطاء السـابقة وتحسـين الدقة الفلكية،[3] وهو ولد الزرقيال الأندلسي ولُهُ رسالة في الإسطرلاب تُرجمت إلى اللاتينية.

هـ-علم الفلسفة:

لم يكن للأندلس في العصـــر الأموي حظ كبير في الفلســـفة، فقد كان جل اهتمامهم منصرفاً إلى العلوم الدينية واللغوية، وكانت الفلسفة موضع نفور واضطهاد، إذ كل العلوم كان لها عند الأندلسـيين حظ كبير واعتناء، إلا الفلسـفة والتنجيم، فكان لهما حظ عند خواصـــهم، ولا يتظاهر بها خوفاً من العامة، فأنه كلما قيل فلان يقرأ

---

(1)أحمد محمد عبدالقادر: إسهامات علماء العرب، ص 71.

(2)الشيباني :*الحركة العلمية*، ص 33..

(3)الربيعي :*تاريخ الحضارة*، ص 219-220..

الفلسفة أو يشتغل بالتنجيم أطلق عليه الزنديق أو قيد تعليقه أنفاسه، فإن زُلّف فيسني هُرجم بالحجارة وأحرق قبل أن يصل أمره إلى السلطان، أو يقتله السلطان تقرباً لقلوب العامة، وكثيراً ما يأمر ملوكهم بإحراق كتبه بهذا الشأن إذا وجدت"[1].

أمّا مرحلةُ المرابطين بطابعها التقليدي المحافظ فقد شـــهدت بداية لتأســـيس المدرســة الفلســفية في الأندلس والمغرب، وفي ظل هذه الأوضــاع الســياســية برز الفيلسوف أبو بكر الصائغ المعروف بابن باجة (ت 533هـ/1138م)، الذي استقر به المقام في فاس، حيث تفرغ للتأليف والتدريس، وكانت تحت رعاية أبي بكر يحيى بن يوسف بن تاشفين [2].

لقد أسـهمت الأندلس بفاعلية في تقدّم العلوم والفكر خلال العصـور الوسـطى، بفضــل تأثرها المشــرقي العميق من خلال نقل الأعمال العلمية والفلســفية وترجمتها، التي برزت في المراكز الثقافية الكبرى مثل دمشـــق وبغداد والحجاز. وبهذا الشـــكل تمكنت الأندلس من استيعاب وتطوير هذه المعارف في سياقها الخاص، ما أثمر عن ظهور مدارس ومراكز بحثية كان لها تأثير كبير في نشر العلوم وتطويرها.

أما في عهد المرابطين، فقد اســـتفاد المغرب من هذا التراث العلمي الذي ورثه من الأندلس في مجالات عدة، ما يوضـح كيف أسـهمت الأندلس بشـكل واسـع في تعزيز وتطوير مختلف جوانب الحضـــارة المغربية خلال فترة المرابطين، ما ترك أثراً طويل الأمد على الثقافة والعلم في المغرب. وهذا ما نلاحظه في أعلام المدرســة الأندلســية وأثرهم في التكوين العلمي للمغاربة، والقاضي عياض نموذجاً.

---

(1)السيد عبدالعزيز سالم: تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ص 290.

(2) بن الأبار: التكملة، ص263-26 ، الربيعي : تاريخ الحضارة ،ص145،بالنثيا :تاريخ الفكر الأندلسي نص335-337.

المبحث الثاني: أثر أعلام المدرسة الأندلسية في التكوين العلمي (العلوم) للمغاربة "القاضي عياض نموذجاً"

يتبين من خلال تتبع كتب التراجم أن أعلام بلاد المغرب الذين دخلوا الأندلس للدراسة قد وفدوا من حواضر ومراكز علمية كبرى، ومن أهم هذه المراكز مدينتا فاس ومراكش، حيث كان لهم إشعاع حضاري وأثر ثقافي في عصر المرابطين.

وبرغم ما وصلت إليه مدن المغرب من مكانة علمية، فإنها ظلت بحاجة إلى رصيد مدن الأندلس الثقافي والحضاري، لذلك لم تنقطع وفود طلبة العلم على الحواضر والمراكز العلمية الكبرى بالأندلس خلال فترة المرابطين، إذ كانت المراكز الثقافية تنتشر في أغلب مدن الأندلس [1]،مستفيدة من حالة الاستقرار التي بثّها المرابطون، ومن أهم المراكز الثقافية الأندلسية: قرطبة، إشبيلية، مرسيه، بلنسية، المريّة، دانية، طرطوشة، شاطبة، سرقسطة، غرناطة، بطليوس [2]وغيرها من مراكز الإشعاع العلمي.

وكل هذه المدن كانت مقصداً لطلاب العلم من المغرب، لأنها تضم عددًا من العلماء والمشايخ الذين لهم وزنهم في العديد من العلوم، كأبي الوليد بن رشد، وأبي علي الصدفي، وابن العريف، وابن عطية، وابن العربي، وإبراهيم بن خفاجة، وغيرهم.

ولأجل ذلك ارتحل إلى الأندلس طلاب العلم، منهم من ذهب أكثر من مرة من أجل التحصيل ولقاء الشيوخ. نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر: أبو عبد الله محمد بن عيسى بن حسبان التميمي (ت 505هـ/1111م) المولود بفاس، الذي رحل إلى الأندلس ثلاث مرات، فصار عارفًا بالفقه والحديث، حافظًا، ضابطًا لكثير من الكتب [3].

---

(1)ابن سعيد: المُغْرب في حُلى المغرب، ص111.

(2)عبد الله كنون: النبوغ المغربي، ج1، ص86.

(3)عبد الله كنون: النبوغ المغربي، ج1، ص86.

وهناك من علماء بلاد المغرب من انتقل إلى أكثر من مدينة أندلسية، كأبي إليّ بن محمد بن الحاجب بن عمر الصنهاجي، المتوفى (ت 547هـ/1152م)، الذي طلب العلم في قرطبة، مرسيه، وبلنسية [1].

كما كان من بين المرتحلين إلى الأندلس أمراء من الأسرة اللمتونية، منهم: أبو يعقوب بن ينتأن بن تويت، وهو من أمراء المرابطين، كان فقيهًا، وقرأ على فقهاء قرطبة كابن رشد، وعلى فقهاء مرسيه كابن عتاب وأبي علي بن أبي جعفر [2]،وأبي علي المنصور بن محمد بن الحاج داود بن عمر الصنهاجي اللمتوني (ت 547هـ/1152م)، وهو من رؤساء لمتونة، روى الحديث عن جماعة من أشياخ الأندلس [3].

قد يشير توافد أعلام بلاد المغرب للدراسة والتدريس بالأندلس في عصر المرابطين إلى حقيقة تلك الحركة العلمية التي كانت تسير في الاتجاه المعاكس، وظهور عدد لا بأس بهم من التأليف والتصانيف التي كان أصحابها من أهل المغرب.

سبق وأن ذكرنا أن الحركة العلمية التي جمعت العدوتين الأندلس والمغرب الأقصى كانت نتيجة التقارب بينهما في ظل دولة المرابطين، حتى أثمرت على ثورة ثقافية أسهمت في تفوق مدارس المغرب الأقصى، وبرزت في ميادين الحضارة وتألق (نجمها) في عالم الثقافة [4]،وفي إذكاء حركة التدريس والتأليف وتقدمه تقدّمًا مذهلًا.

---

(1)ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة، ج2، ص193–194، ينظر: ابن عبد الملك المراكشي: الذيل والتكملة، ج6 ص378.

(2)حمدي عبد المنعم: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين ، دار المعرفة الجامعية، مصر الإسكندرية، 1997م، ص269.

(3)ابن الأبار:المعجم،ج2،ص194،193.

(4)حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص227.

ورفع المغاربة إلى مصـــاف رجال الفكر في العالم الإســـلامي، والكشـف عن ذكائهم وتفننهم في سائر الفنون والمعارف من فلسفة وطب وعلم إنساني وديني [1]وغير ذلك من المعارف.

فمنهم من اختار نشـــر علومه ومعارفه ببقائه في الأندلس، ومنهم من فضّـــل العودة وحمل معهم ما تلقّوه من علوم ومعارف ونشروها بين أهل المغرب، والذين أسهموا في إثراء الحركة العلمية حسـب تخصـصـاتهم العلمية، وسـنتناول هذه العلوم وإسـهامات العلماء فيها وأثرها على الحركة العلمية كما يلي:

1-علوم الفقه:

أصـبحت كتب المذهب المالكي هي المرجعية الأولى لعلماء الفقه في فتاواهم، وظهر ذلك جليًا في بعض التوجيهات الرســمية التي صـــدرت عن أمراء المرابطين، ووجهت إلى القضـاء والمفتين بضـرورة الاقتصـار على مذهب مالك في كافة الفتاوى والأحكام.

واعتمد الشـيوخ في تدريسـه على هذا المذهب على الإمام مالك وعلى الشـروح التي وضـــعها بعض العلماء على هذه الكتب، كمُدوَّنة الإمام ســـحنون، وكتاب ابن يونس (الجامع لمسائل المدونة والمختلطة)، والرسالة لابن أبي زيد القيرواني.

ومن أشــهر العلماء الذين درّسـوا المذهب المالكي في دولة المرابطين الشـيخ الفقيه محمد بن عيسى التميمي، درس الفقه في سبتة، ثم درس عليه القاضـي عياض المدونة [2]،والفقيه على مستوى العدوتين، القاضـي محمد بن أحمد بن رشـد القرطبي (ت 520هـــ/1126م)، ترك خلفه مدرسـة لها أهميتها وثقلها في حركة التأليف في

(1)حسن السائح: الحضارة الإسلامية في المغرب، ص176.

(2)عياض:الغنية،ص28.

الفقه المالكي، ومن أهم مؤلفاته: (البيان والتحصيل)، و(الشرح والتوجيه)، و(التعليل لمسائل العتبية) [1]و(المقدمات)، وكتاب (الفتاوى).

كما برز أيضًا الفقيه محمد بن حكيم بن محمد الجذامي (ت 538هـ/1144م)، وهو من أهل سرقسطة، ومن مؤلفاته: شرح كتاب (الإيضاح) لأبي علي الفارسي، وكذلك صنف في الجدل والعقائد مصنفين [2].

كما ظهر في الميدان نفسه القاضي الفقيه أبو بكر بن العربي، ومن أشهر كتبه: (العواصم والقواصم)، و(أنوار الفجر في مدح الرسول)، وكتاب (قانون التأويل)، وكتاب (التلخيص في النحو)، وكتاب (ترتيب الرحلة)، و(القبس في شرح موطأ مالك) و(عارضة الأحوزي)، وبلغت مؤلفاته نحو الأربعين كتابًا. [3].

ومن علماء الفقه أيضًا القاضي أبو عبد الله بن الحاج الشهيد [4] ،صاحب كتاب مذاهب الحكماء في نوازل الأحكام، وكذلك ابن سهل الغرناطي[5]،صاحب كتاب (النوازل)، الذي درس في الأندلس، ثم هاجر إلى المغرب، حيث تتلمذ عليه كثير من المغاربة. ويعد هذا العالم حلقة من حلقات الصلات المهمة بين العدوتين، ومنهم الفقيه أبو عبد الله محمد بن علي بن جعفر بن أحمد بن محمد القيسي

---

(1)المصدر نفسه: ص123، ينظر ابن عذارى المراكشي: البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ص74.

(2)ابن فرحون: الديباج المذهب، ج1، ص283.

(3)حمدي عبد المنعم حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، دار المعرفة، الإسكندرية،1997م، ص397.

(4)محمد بن أحمد بن خلف بن إبراهيم التجيبي المعروف بابن الحاج، قاضي الجماعة بقرطبة، ويكنى أبا عبد الله، وهو من المحدثين والأدباء، وكانت الفتوى في وقته تدور عليه لمعرفته، وكان له مجلس بالجامع بقرطبة سمع منه الناس، كان كثير الخشوع والذكر لله سبحانه وتعالى حتى قُتل في المسجد الجامع بقرطبة (529هـ/1134م)، ينظر: النباهي: تاريخ قضاة الأندلس، ص102؛ ابن الأبار: المعجم، ص14.

(5)ابن الفقيه عيسى بن سهل بن عبد الله الأسدي، ولد سنة (413هـ-1021م) سكن قرطبة، كان حافظاً، ذاكراً للمسائل، بصيراً بالأحكام والمعرفة التامة تولي الشورى في طليطلة ثم القضاء بغرناطة، وتوفي سنة(486هـ-1094م)؛ ابن بشكوال: الصلة، ج2، ص635.

(468–567هـ/1085–1171م)، وله مؤلفات من أهمها: تسهيل المطلب في تحصيل المذهب، والتبيين في شرح التلقين، ومختصر في أصول الفقه. [1].

هكذا كان المذهب المالكي أكثر انتشارًا في فترة المرابطين، وذلك لتبني الدولة لهذا المذهب، وكذلك لأنه المذهب الأكثر قبولًا وانتشارًا لدى المغاربة منذ دخوله هناك.

2–علم الحديث:

يعد علم الحديث المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي، فاهتم المسلمون بتدوينه منذ القرن الثالث الهجري، وتحرى هؤلاء صحة الحديث، وذلك عن طريق تتبع سلسلة الرواة المروي عنهم الحديث والتأكد من صحة الإسناد. أدى ذلك إلى تعدد شيوخ هذا العلم ومدارسه في مختلف المدن والمراكز العلمية بالأندلس والمغرب ، فظهر أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الله بني ياسين الحمزي المعروف بابن قرقول، وكان من البارزين، صحبه جماعة من علماء الأندلس، وكان مبصرًا بالحديث ورجاله، حدَّث وأخذ عنه الناس، وصنف وألَّف، ومن مؤلفاته: (مطالع الأنوار على صحيح الآثار)، وتوفي بفاس سنة (569هـ / 1173م) [2]أما أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن فرج بن سليمان القيسي الشاطبي المعروف بابن تريس (ت 561هـ / 1165م)، فكانت له مشاركه في علم الحديث وروايته، وله كتاب سماه (التعريف) [3].

كما شارك المغاربة في علم الحديث بمختلف تخصصاته، ومن مؤلفاتهم نجد ما يمكن تسميته مؤلفات حديثية عامة حول أصول وقواعد علم الحديث، وأخرى

---

(1) حاج عبد القادر يخلف: الإسهام الفكري للبربر في الأندلس من العهد العامري إلى نهاية الوجود المرابطي (371هـ –539هـ / 981–1144م)، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة وهران، 2009/2008م، ص147.

(2)ابن خلكان: وفيات الأعيان وأبناء الزمان، ج5، ص62.

(3)ابن الأبار :المعجم،ج2،ص179.

خاصـــة بجزء أو موضـــوع معيَّن، كما نجد تخصـــيص مؤلف لحديث أو مرويات صحابي، أو بشيء منها. على سبيل المثال:

- دلائل النبوة لأحمد بن عمر بن دلهات المريّ الدلائي (ت 478هـ/1085م)، قال عنه بن بشـكوال: "كان معتنيًا بالحديث، ونقله ورواه وضـبطه، سـمع الناس عنه كثيرًا، وحدث عنهم من كبار العلماء: ابن عبد البر، ابن حزمو، الوقشي، الغساني وغيرهم....."[1].
- مؤلفات أحمد بن منصـور الحميدي، له: (حفظ الجار)، و(ذمّ النميمة)، و(الذهب المسبوك في وعظ الملوك)[2].
- ابن يربوع: عبد الله بن أحمد بن سعيد الأشبيلي (ت 522هـ/1128م)، وصنف: (الإقليد في بيان الأسانيد)، البيان عما في كتاب أبي نصر الكلابادي من الإغفال والنقصـان (ت 398هـ/1007م) ، و(تاج الحلية وسراج البغية في معرفة أسـانيد الموطأ)، و(المنهاج في رجال مسلم ابن الحجاج)[3].
- العلامة الحافظ أبو علي حسـين الصـدفي، الذي سـارت إليه الركبان في علم الحديث، وكان فريد عصره [4].
- أحمد بن طاهر بن عيســى بن رخيص الداني (ت 432هـ/1137م)، الذي ألف على الموطأ تصنيفًا سماه (الإيماء) [5].
- عبد الله بن محمد بن السيد، المتوفى في (521هـ / 1127م)، ألف كتابًا في شرح الموطأ [6].

---

(1) ابن بشكوال: الصلة، ج1، ص115-117.

(2) المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ص114-115.

(3) ابن الأبار: الحلة السيراء، ص578، ابن بشكوال: الصلة، ص282.

(4) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج19، ص376.

(5) ابن الأبار: المعجم، ج2، ص28، 29، ابن فرحون: الديباج المذهب، ج1، ص330-332.

(6) خير الدين الزركلي: الأعلام، ط15 ، دار العلم للملايين، بيروت، 2002م، ج4، ص123، الضـبي: بغية الملتمس،ج2 ص324، ابن بشكوال:الصلة، ص287.

- حمد بن محمد بن عبد العزيز اللخمي [1] المعروف بابن المرخي، كان يُنفرد في عصره بعلم الحديث.
- علي بن عبد الله بن خلف بن نعمة، فقيه وحافظ ومحدث، روى الحديث وشـــرح كتاب النسائي في عشرة كتب، وتوفي سنة (570هـ / 1174م) [2].

ونذكر أيضًـا أمير المسـلمين علي بن يوسـف، أجاز له عبد الله الخولاني جميع رواياته لعلو إسناده، ومن أمراء المرابطين أيضًـا ميمون بن ياسين [3]،كان يحدث في إشبيلية

3-علوم القرآن:

برز في هذا المجال عدد من العلماء ممن كان لهم الفضـــل في تدريس هذا العلم ونشره في بلاد المغرب الأقصى، ومنهم

- إبراهيم بن أحمد بن خلف بن الحسن بن الوليد السلمي من أهل فاس، وأبو إسحاق المعروف بابن فرتون (ت 537هـ / 1142م)[4].

أبو العباس أحمد بن محمد بن موسى الصنهاجي، المعروف بـــ ابن العريف (ت 536هـــ / 1141م)، كانت له عناية بالقراءات [5]، فقيهًا زاهدًا، تصدّر للإقراء بالمرية وسرقسطة [6]، كان يكتب سبع خطوط لا يشبه بعضها بعضًا، وشارك بالعلوم وجميع الروايات. من تصانيفه: (محاسن المجالس) و(مطالع الأنوار ومنابع الأسرار).

---

(1) أحمد بن محمد عبد العزيز اللخمي المعروف بابن المرخي، أصله من إشبيلية، سكن قرطبة، كان عالماً بالحديث يحسن ضبطه، عارفاً بالأدب، سمع منه الناس بإشبيلية، توفي بقرطبة في ربيع الأول سنة (533هـــ/1138م)، ينظر: القاضي عياض، الغنية، ص174.

(2) الضبي: بغية الملتمس، تح/ إبراهيم الابياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1989م، ج2، ص552.

(3)ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ج1، ص19-20.

(4)ابن الأبار: المعجم، ص62.

(5)حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي، ج1، ص441، ابن الأبار: الحلة السيراء، ج2، ص488.

(6)حاج عبد القادر يخلف: الإسهام الفكري للبربر في الأندلس، ص147

طلبه أمير مراكش علي بن يوسف بن تاشفين، ولما لبث أن توفي في مدينة مراكش بعد وصوله إليها عن عمر يناهز 55 عامًا [1].

– أبو علي منصور بن الخيري يعقوب بن علي المالقي المغراوي، المعروف بـ الأحدب، توفي سنة (526هـ / 1131م). كان من القراء العارفين بالقراءات، وأخذ عن أبو محمد القاسم بن عبد الرحمن بن دحمان الأنصاري المالقي القراءات الثمانية، وصنف فيها كتبًا أخذها الناس عنه. وأثنى عليه ابن حزم الغافقي، مؤرخ من علماء القراءات، فقال: "رحلت إليه فوجدته بحرًا في علوم القراءات، بعيد الغور والغايات[2]".

– و وظهر أيضًا في هذا المجال محمد بن الحسن بن سعيد المقري (473–545هـ / 1080–1152م)، ويعرف بـ ابن غلام الفارسي، وهو من أمهر مجودي القرآن ومتقني أدائه، ويقول عنه ابن الأبار: "آخر المقرئين المحدثين بشرق الأندلس، انتهت إليه الرياسة في معرفة القراءات مع الحظ الوافر من الحديث وحفظ أسماء رجاله" [3].

وكان أهل المَرية وما يجاورها يزدحمون في شهر رمضان كل سنة لسماع عبد الله محمد بن علي بن ذي النون الحجري (505–591هـ)، الذي ذاع صيته وعلو ذكره في القراءات، واستُدعي إلى حضرة الأمير بمراكش لكي يسمع منه هناك، فتوجه إليه وأقام فيها وقتًا طويلاً [4]،ويضاف إلى هؤلاء العلماء ابن الأصبع عبد العزيز بن علي بن محمد بن مسلمة بن عبد العزيز الإشبيلي، المعروف بابن الطحان (توفي بعد 554هـ / 1159م)، وكان أستاذًا ماهرًا في القراءات، وله مؤلفات منها: (شعار الأخبار وهجيري الأبرار في التهليل والاستغفار)، يقول عنه المؤرخ إبراهيم حركات:

---

(1)الضبي: بغية الملتمس، ص209.

(2)ابن الأبار: الحلة السيراء، ص189؛ ابن عبد الملك المراكشي: الذيل والتكملة، ص213.

(3)ابن الأبار: التكملة، ج2، ص475.

(4)السيوطي: كتاب طبقات المفسرين، ص16.

"كان مربيًا ولد بإشـبيلية، وقد غادرها إلى فاس سـنة (554هـ / 1159)، وله تلاميذ أندلسيون [1]من تلمسان".

4-العلومالإنسانية:

أ-علوم اللغة:

حظيت اللغة العربية بمكانة عالية وانتشـار واسـع في عصـر المرابطين [2]، وأظهر علماء اللغة العربية في هذه الفترة عناية بالغة بشـرح وتبسـيط أمهات الكتب ليصـل إلى مسـتوى الدارسـين، وكانت المراسـلات المرابطية تتم باللغتين البربرية والعربية، أو بلغة نصـارى الأندلس حسـب مقتضـى الحال، اسـتنادًا إلى النص الذي يتحدث عنه كتابه، حتى ذاع صـيت كثير من الشـيوخ في هذا المجال، منهم الشـيخ محمد بن عمر بن قطري الزبيدي من أهل إشـبيلية، الذي جمع ما بين تدريس النحو والأدب، وأقرأهما في سبتة [3]،وأقرأ الأديب أبو بكر بن محمد بن البراء الجزيري النحو بسبتة وقرأ عليه القاضـي عياض كتاب الكامل للمبرد[4]،والشيخ أبو علي الحسن بن طريف النحوي (501هـ / 1107م) بتدريس النحو والأدب بمدينة سـبتة طوال حياته ودرس عليه القاضي عياض كثير من كتب النحو والأدب [5].

كما أنها امتدت لتكون لغة التأليف والتصـنيف للمغاربة في ميادين النثر والشـعر، فظهر هذا الخصـوص مجموعة من الأعلام الذين أثروا السـاحة الأدبية بالمغرب والأندلس.

إلى جانب ذلك، تميز البلاط المرابطي بوجود عدد كبير من الكُتّاب والأدباء الأندلسيين الذين عملوا على تنظيم شؤون الدولة، ومن أشهرهم ابن القصيرة محمد بن

---

(1) إبراهيم حركات: مدخل إلى تاريخ العلوم، ج23، ص11-12.

(2) ينظر بغداد غربي: خطة الكتابة على عهد الموحدين، مذكرة ماجسـتير بكلية الحضـارة والعلوم الإنسـانية، جامعة وهران، 2007/2006، ص11

(3) عياض: الغنية، ج1، ص76.

(4) ابن الأبار: التكملة، ج1، ص408.

(5) ابن الأبار: المصدر نفسه، ص141-142.

سـليمان الكلاعي الإشـبيلي، الذي كان من أبرز كُتّاب عصـره، وأنه على رأس أهل البلاغة في وقته، إضافة إلى إلمامه بعلوم كثيرة أخرى. [1].

كما تميَّز عهد علي بن يوسـف بن تاشـفين بنبوغ عدد كبير من أصـحاب الثقافة الموسـوعية الذين أغنوا المكتبة الإسـلامية بمؤلفاتهم التي كانوا ينافسـون بها علماء المشـرق، فقد ألَّف ابن بسـام الشـنتريني كتاب (الذخيرة في محاسـن أهل الجزيرة)، وألَّف الفتح بن خاقان كتاب (قلائد العقيان)، وقد ترجم فيه للمعاصـرين له من الوزراء والكتّاب والشـعراء. ثم ألَّف كتاب (مطمح الأنفس ومسـرح التأنس في ملح أهل الأندلس) الذي خصَّصه لمشاهير الأندلس [2].

كما ألَّف أبو الطاهر محمد بن يوسف بن عبد الله السرقسطي (ت 538هـ / 1143م) عدّة مؤلفات، منها (اللَّزوميّات) التي تُسـمّى أيضًـا (المقامات التميمية السـرقسـطية)، ومن مؤلفاته أيضًـا كتاب (المسـلسـل في غريب اللغة)[3]، وهو من الكتَّاب المشـهورين الذين لازموا الأمير إبراهيم بن يوسـف أبو عامر ابن عقيد من مرسـيّه [4],كما يوجد العديد من الرسـائل الصـادرة من ديوان الأمير علي بن يوسف التي اسـتوفت المعايير الأدبية والعلمية في كتابتها، ومع هذا يكون أبو بكر بن القصيرة أفضل كتَّاب العصر المرابطي [5]،كما برع في هذا المجال أحمد بن عبد الله

---

(1) محمود علي مكي: وثائق تاريخية جديدة في عصر المرابطين، مجلة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، مج 7-8، 1959م، 1960م، ص115.

(2) ابن خاقان: الفتح بن محمد، مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، مؤسسة الرسالة، ، بيروت، 1983م، ص515.

(3) عمر بن دحية: المطرب من أشعار أهل المغرب، تح/ إبراهيم الابياري وآخرين، بيروت، 1955م، ص187-188.

(4) ابن سعيد: المُغْرب في حُلى المغرب، ج2، ص 53.

(5) محمود علي مكي، وثائق تاريخية جديدة في عصر المرابطين، ص 120-121.

التدميري [1]،وأحمد بن أغلب ابن أبي الدّرس [2]،ومحمد بن حســـين بن محمد بن غريب الأنصاري [3]،وعبد المجيد بن عبدون الفهري اليابري [4].

كما برع في علوم النحو، محمد بن حكم بن محمد الجذامي [5]،وأحمد محمد بن عبد الرحمن بن خاطب بن زاهر الباجي الأندلسي s[6].

ب-الشعر:

ما الشعر فقد شهد كساداً كبيراً في بداية العصر المرابطي، وذلك لانشغالهم بأمور الجهاد، فلم يهتموا بالشعر والأدب، إلا أن هذا الحال لم يستمر طويلاً، إذ أقبل المرابطون في عهد الأمير المرابطي علي بن يوسف على تشجيع الشعراء والأدباء، فتوافدوا على بلاطه شعراء الأندلس [7]،وبدأت الحياة الأدبية في عهده أكثر ازدهاراً، واستمع الأمراء إلى الشعر والموسيقى، ومن الذين مدحوا الأمير المرابطي الشاعر أبي العباس أحمد بن عبد الله القيسي المعروف بالأعمى التطيلي [8]،حيث قال:

يـا عليَّ العَلاءِ في كـل يومٍ والمُغَـالَى بـه على كـل حـالِ
يـا ربيعَ البلادِ يـا غيمـةَ العـالَم مـن بـيـن مـؤْتَـلٍ ومُـوال
يـا قريعَ الأيـامِ عن كـلِّ مجـدٍ ياسليلَ الأدواء والإقبـــال

(1)ابن الأبار، التكملة، ج1، ص 148.

(2)ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ص 156.

(3)ابن الأبار:التكملةج1،ص146.

(4)ابن بسام الشنتريني: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ص 264.

(5)ابن دحية: المُغرِب من أشعار أهل المغرب، ص 34.

(6)السيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ص 161.

(7)الصلابي: فقه التمكين،ص251.

(8) أبو جعفر أحمد بن عبد الله بن هريرة القيســـي، يعرف بالأعمى التطيلي، يكنى بأبي جعفر والتطيلي، نســـبة إلى مدينة تطيله TADELA وهي مدينة أندلسية، نشأ في إشبيلية حزيناً، لذلك لُقّب بالأعمى وهو شاعر وجداني (ت 525هـ / 1130م). ينظر: الفتح بن خاقان، قلائد العقيان، ص 315، وينظر: عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي، ج5، دار العلم للملايين، بيروت، 1982م، ص 161.

لكم من تـاشفينَ أو من أبـــي يعقوبَ ذكرى مكـارمٍ وفعـل [1]

كما وصــف في قصــائده بعض المعارك التي دارت بين النصــارى والمرابطين والأحداث الســياســية التي تعرض لها ذلك الوقت، حيث ذكر معركة أقليش (502هـ/1108م) في أكثر من قصيدة، ومن ذلك قوله:

سلِ الرومَ في أُقليشَ يومَ تجايَشُوا ألَمْ يعلموا أن الفرائسَ للُسُدِ؟

تبارَوْا إلى تلك الحُتوفِ فَسَلْهُمُ أما كانَ عنها منْ محيصٍ ولابُدِّ

كما اشتهر الأعمى التطيلي برثاء ومدح النساء، فمدح حواء زوج الأمير سير بن أبي بكر لمتوني، وهناك أيضاً شعراء حضوا بمكانة لدى أمراء الأسرة الحاكمة، مثل: إبراهيم بن أبي الفتح بن عبد الله بن خفاجة الهواري، الشاعر صاحب الديوان المعروف الذي مجَّد أمراء المرابطين ومدحهم وتغنّى بشمائلهم ورفدهم وعطاءهم[2]،والذي استمد موضوعاتهم من الطبيعة الأندلسية، كما برع في هذا اللون من الشعر ابن سارة الشنتريني وابن الزقاق البلنسي [3]،ومن الأغراض الشعرية التي ازدهرت في عهد علي بن يوسف أيضاً: شعر الحكمة، ويمثله الشاعر عبد الرحمن السهيلي (507هـ/1113م) حيث قال:

تَواضَعْ إذا كنتَ تبغي العُلا وكُنْ رَاسياً عند صُفْوِ الغَضَبِ

فَخَفضِ الفتَنَ نفسَهُ رِفعةً لَهُ واعْتبرْ بِرُسُو بالذَّهَبِ [4]

كما ازدهرت الأغراض التقليدية في الشعر مثل الفخر الذي مثله ابن سعيد العنبيسي (483–539هـ/1090–1144م)، أما شعر الخمريات والغزل والوصف فقد اختفى في بداية قيام الدولة المرابطية، لأن الدولة قامت على تعاليم الإسلام النقية،

---

(1)الأعمى التطيلي: الديوان، تح/ إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت،1963م، ص104.

(2)عبد الرحمن بن جبير: ابن خفاجة الأندلسي، منشورات دار الآفاق الجديدة، ط2، بيروت، 1981م، ص12.

3 أبو الحسن علي بن عطية بن مطرقة بن مسلمة المعروف بابن الزقاق، ولد في مدينة بلنسية وتوفي بها سنة (528هـ / 1133م)، ابن الزقاق البلنسي: ديوان ابن الزقاق، تح/ عفيفة محمد ديراني، دار الثقافة ، بيروت، 1964م ، ص27.

(4)ابن الخطيب: الإحاطة ،ج3،ص84.

وهذا النوع من الأدب لا يمثل أو يصوّر حياة المرابطين المحتشمة، إلا أن ابن الزقاق استطاع أن يمثل هذا النوع من الشعر.

كما ظهر الشاعر أبو عبد الله محمد بن سليمان النفزي، الذي أسهم بإقراء كتب الأدب، فقد أخذ عن كتاب (أدب الكاتب) لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، ومحمد بن عيسى المعروف بأبن اللبانة[1]،وأبو إسحاق إبراهيم بن عبيد الله المعروف بابن النوالة [2]

وقد تحدثت كتب الطبقات عن طائفة من الشعراء الذين تألقوا في ذلك العصر، أمثال الشاعر أبي بكر اليكي [3]،وكذلك الشاعر محمد بن عبد الرحمن العقيلي الجراوي [4]،والوزير الكاتب أبو جعفر بن عطية [5]،وكان معظم أشعار هؤلاء في مدح أمراء المرابطين.

كما شارك أيضاً في هذه الحركة الأدبية اليهود في عهد علي بن يوسف أيضاً، وبرز منهم عدد لا بأس به، وكان أشهرهم موسى بن عزرا المتوفى سنة (532هـ/1138م)، وألَّف مؤلفات عدة بالعربية، أشهرها كتاب (المحاضرة والمذاكرة)[6]

ج-الموشحات والزجل:

يُعَدُّ هذا الفن ثورة في الشعر العربي وحركة من حركات التجدد وقد شهد تفوقاً في

---

(1) الأديب أبو بكر الداني المعروف بابن اللبانة، ذكر أنَّ أمه كانت تبيع اللبن، أصلهم من دانية التابعة لبلنسية من شرق الأندلس، واتصل بالمعتمد بن عباد وتوفي سنة (505هـ/1113م) بميورقه. ينظر: ابن خاقان، قلائد العقيان، ص595.

(2)ابن سعيد: المُغْرِب في حلى المغرب ج1، ص71، وينظر ضيف: تاريخ الأدب العربي، عصر الدول والإمارات بالأندلس، دار المعارف، بيروت، د. ت، ص342

(3)هو أبو بكر بن عبد الجليل بن سهل، نسبة إلى يكة، وكان شاعراً، ومعظم شعره في الهجاء؛ عمر فروح: تاريخ الأدب العربي، ص357.

(4)كان شاعراً خاطب أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين بقصيدة طويلة، فأجازها عليه، وكتب صكاً بتحرير أملاك له، ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة ج6، ص368.

(5)كتاب ابن عطية لعلي بن يوسف ثم لأبنائهم بعده تاشفين وإسحاق، حتى أواخر عصر المرابطين. ينظر: ابن الأبار، التكملة، ص238 ، ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب ج9، ص16.

(6) هو رسالة في فن الكتابة وتاريخ الشعراء اليهود من أهل الأندلس وآثارهم، ويضم أطرافاً من الشعر العربي؛ أنخل بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسي، ص498-499.

عصـر المرابطين على يد الشـاعر أحمد بن عبد ربه [1]،صـاحب كتاب العقد الفريد، والأعمى التطيلي، ويحيى بن بقي، وأبي بكر بن الأبيض [2].

وفي تلك الفترة اسـتحدث فن الزجل وهو شـعر غنائي، يصـاغ من مفردات تسمى أبياتاً كالموشحات، ويتميز بتكرار القافية في نهاية كل بيت، ويعد أبو بكر بن قزمان [3]، أول من ابتكر هذا الفن (الزجل)، وخلفه أبو عبد الله بن الحاج المعروف بابن غليس، وكان أهل الأندلس يقولون: ابن قزمان في الزجَّالين بمنزلة المتنبي في الشـعراء، وابن غليس بمنزلة أبي تمام، فابن قزمان ملتفت إلى المعنى وابن غليس ملتفت إلى اللفظ [4], وفن الزجل له قيمه أدبية؛ لأنه مرآة صـادقة للأحوال السـياسـية والاجتماعية والاقتصادية، وفي العادة كان الزجَّال يستمد أزجاله من الأحداث اليومية.

د-التاريخ والأنساب:

تأثر التدوين التاريخي في المغرب بالكتابة التاريخية الأندلسـية، إذ برز في عصـر المرابطين عدد من أعلام الرواية والكتابة التاريخية، ويأتي في مقدمتهم أبو بكر الغرناطي المعروف بابن الصـيرفي، الذي أَلَّف كتاباً أسـماه (الأنوار الجليَّة في

---

(1) أحمد محمد بن عبد ربه شـاعر البلاد في عهد عبد الرحمن الناصـر، وقد برع في شـعر الغزل والزهدية، ينظر: ابن خلدون: العبر ج1، ص84؛ السيد عبد العزيز سالم: قرطبة حاضرة الخلاقة في الأندلس ج2، ص99.

(2)المقري: أزهار الرياض في أخبار عياض ، تح/ إبراهيم الابياري، ومصـطفى السـقاء عبد الحفيظ شـلبي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ،1939م ، ج2 ،ص208,209.

(3) أمير الزجل الأندلسي: "وهو محمد بن عيسى بن عبد الملك بن قزمان الزهري من أهل قرطبة، ولد سنة (480هـ/1087م) ينسب إلى عائلة شـريفة خبيراً بشـعراء العرب مثل أبي تمام والمتنبي وغيرهما، ويعرف الفلسـفة والفقه والبلاغة، ويصـفه ابن خلدون بأنه إمام الزجالين على الإطلاق، وخدم ابن قزمان في شـباب المتوكل بن الأفطس صـاحب بطليوس، ولهذا الزجل الديوانان أحدهما صـغير سـماه: إصـابة الأغراض في وصـف الإعراض، وهو الذي وصـل إلينا، والثاني ديوان كبير، توفي ابن قزمان بقرطبة في رمضان سنة (555هـ/1160م)." ابن سعيد: المغرب في حُلي المغرب، ص454.

(4)المقري: نفح الطيب ج2، ص237.

أخبار الدولة المرابطية) وقد اقتبس منها بن الخطيب وابن عذاري المراكشـــي كثيراً [1]،وألَّف كتاباً آخر سماه (تقصي الأنباء وسياسة الرؤساء) (ت570هـ-1174م) [2].

كما تقدم في علم التاريخ القاضـــي عياض، وصـــنَّف مؤلفات تاريخية، من أهمها: (جمهرة رواة مالك)[3]، و(ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك) [4]، كتاب(الفنون الستة في معرفة أخبار سبتة) [5]،و(تاريخ المرابطين).

كما ألَّف المال كبنو هيب كتاباً سماه☹قارضة الذهب في ذكر أيام العرب في الجاهلية والإســـلام)[6]، ولا يفوتنا ذكر صـــاحب كتاب (الذخيرة في محاســـن أهل الجزيرة) أبي الحسـن علي بن بسَّـام الشـنتريني (ت 503هـ-1109م) [7].ومحمد بن خلف بن الحســن بن إســماعيل الصــدفي، ويعرف بابن عَلَقمة، وهو من أهل مدينة بلنسية وله كتاب سمَّاه: (البيان الواضح في العلم الفادح) (ت 509هـ /1115م) وأبو عامر محمد ابن أحمد بن عامر البلوي المعروف بالسالمي، وقد ألَّف كتاباً في التاريخ ســمَّاه (درر القلائد وغرر الفوائد) (ت559هـ- 1163م) [8]وخلف بن عبد الملك بن

---

(1)ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة ج2، ص108

(2)أبو جعفر أحمد بن إبراهيم ابن الزبير الغرناطي (ت708هـ/1308م): صلة الصلة، تح/ عبد السلام الهراس وسعيد أعراب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط ، 1995م، ص182، ابن الآبار: التكملة لكتاب الصلة ، ج4، ص173، عنان: دولة الإسلام في الأندلس ،ج3، ص443-144.

(3)عبد الواحد عبد السلام شعيب: القاضي عياض مؤرخاً، طرابلس، مطبعة الشيوخ، جمعية الدعوة الإسلامية، 2000م، ص22.

(4) القاضـي الإمام أبو علي الصـدفي: عالم الأندلس الشـهير، يقول عنه القاضـي عياض: جمعت شـيوخه في كتاب المعجم الذي ضـمنته ذكره وإخبار هو وشـيوخه وأخبارهم، وهم نحو مائتي شـيخ، القاضـي عياض: الغنية، ص194، عبد الواحد عبد السـلام شعيب: دور المرابطين في الجهاد بالأندلس، طرابلس: منشورات جمعية الدعوة الإسلامية، 1990م، ص23.

(5)المصدر نفسه،ص25.

(6)الهرفي: دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف، مكة، دار الندوة، 1985م، ص352.

(7)عنان: دولة الإسلام في الأندلس ، ج3، ص448-449.

(8)إيناس حسني البهجي: تاريخ المغرب والأندلس في عصر المرابطين والموحدين، الخرطوم: كلية الآداب، دار التعليم الجامعي، 2015م)، ص269، ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة ج2، ص26-27.

مسعود بن بشكوال [1]أصلهم من شريون شرق الأندلس [2]،وكانوا واسع الرواية ذاكراً لأخبار الأندلس القديمة والحديثة ولا سيما أخبار قرطبة، وله كتاب (الصلة) وكتاب (الغوامض المبهمات) في (12 جزءاً) وكتاب (المحاسن والفضائل في معرفة العلماء الأفاضل) في (21 جزءاً)، (ت578هـ/1182م)[3].

وكذلك الفتح بن خاقان الإشبيلي (ت528هـ/1134م) ألَّف كتابيه (قلائد العقيان) الذي جمع فيه شعراء المغرب طائفة كثيرة، و(مطمح الأنفس) وهم من أشهر ما كتب عن أدباء الأندلس وقضاتهم وزرائهم [4].

وأهم المصنفات التاريخية التي اطلع عليها الأندلسيون وكانت متداولة للبحث والدراسة لدى أهل المغرب في العهد المرابطي: المصنفات التاريخية لابن علي الصقر الأنصاري الذي سكن مراكش وتوفي بها سنة (523هـ/1128م) [5]، والمتمثلة في (مختصر السير والمغازي من سير ابن إسحاق) [6]، وتاريخ أبي جعفر محمد بن جرير الطبري في (سفر متوسط)، و(منتخب سير المصطفى) لأبي سعيد بن عبد الملك بن محمد الخرسانِي [7]،و(فهرست ابن خير الإشبيلي)، وهي أوسع الفهارس الأندلسية من حيث ضخامتها وكثرة ما ورد فيه من أسماء الكتب [8].

---

(1) هو المؤرخ أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود بن بشكوال القرطبي، ولد بقرطبة سنة (494هـ/1101م) في بيت عائلته كثير الثراء، كان أبوه حافظاً ومقرئاً وفقيهاً، درس ابن بشكوال بقرطبة على أيادي علمية، وولي القضاء في إشبيلية وتوفي سنة (578هـ/1183م) بقرطبة، ابن الأبار: المعجم، ص82، عبدالله عنان: عصر المرابطين، ص45.

(2)شريون: حصن من حصون بلنسية بالأندلس، ياقوت: معجم البلدان ،ج3، ص3411..

(3)ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة ج1، ص248–250

(4)محمد عبد المنعم خفاجي: الأدب الأندلسي، ص235.

(5)حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس في عصر المرابطين، مكتبة الخانجي، مصر، 1980م، ص487.

(6)جمال أحمد طه: مدينة فاس في عصر المرابطين والموحدين، ص295.

(7)جمال أحمد طه: المرجع نفسه، ص295.

(8)عبد الواحد عبد السلام شعيب: القاضي عياض مؤرخاً، ص38–39.

أما علم الأنساب فقد برز فيه القاضي عياض، ولها اهتمام بعلم الأنساب بوصفه أحد العلوم المكمّلة لعلم التاريخ، وهو ما صـــرّح به القاضـــي عياض في مقدمة كتابه المدارك، حيث قال عن التاريخ: "فأنبأنا بأسمائهم وأعربنا عن ألقابهم وأنسابهم"[1]،وقد بيَّن لنا القاضـي عياض مدى تضـلعه في هذا العلم من خلال تتبع أنسـاب العديد من العلماء، منهم على سـبيل المثال لا الحصـر فيتتبع هل نسـبه أبو الحسـن الأشـعري، وإليه ينسـب المذهب الأشـعري، ولقب بإمام أهل السـنة والجماعة وينتهي نسـبه إلى الصـــحابي موســـى الأشـــعري وجمع بين مذهب أهل الرأي ومذهب أهل الجماعة، وترجمته لشيخه الفقيه الحافظ أبي بكر غالب بن عطية المحاربي [2].

هـ- الجغرافيا:

نهض علم الجغرافيا وتقدم في العصر المرابطي، وشهد قفزة كبيرة لا سيما في عهد الأمير عليّ بن يوســـف، حيث برزت مجموعة من العلماء اعتمدوا على الرحلة والمشاهدة الفنية، والتحقق من كل مسألة قبل الأخذ بها، وكان في مقدمتهم، الجغرافي أبو عبد الله الإدريســي [3]،صــاحب كتاب (نزهة المشــتاق في اختراق الآفاق)، وقرر رسم خريطة للعالم [4]،بيّن فيها مواقع البلدان والبحار والأنهار والجبال إلى غير ذلك، وعبد الله بن إبراهيم الكندي الحجاري صـــــاحب كتاب: (المســـــهب في غرائب المغرب)[5].

---

(1)القاضي عياض: ترتيب المدارك ج1، ص14.

(2)القاضي عياض: المصدر نفسه، ص24، عبد الواحد عبد السلام شعيب: القاضي عياض مؤرخاً، ص84.

(3) هو أبو عبد الله بن محمد بن عبد الله الحموي الصـقلي الملقّب بالشـريف الإدريسـي، ولد عام (493هـ/1100م) بالأندلس، ينسـب إلى إدريس العلوي (175هـ/791م) مؤسـس الدولة الإدريسـية بالمغرب الأقصـى في نهاية القرن الثامن والتي اسـتمرت حتى القرن العاشر الميلادي، وهو جغرافي طبيب أندلسي ولكنّه عرف جغرافياً أكثر منه طبيباً، بدأ رحلته وعمره ستة عشر عاماً، زار لشبونة وسـواحل فرنسـا وإنجلترا وآسـيا الصـغرى، توفي (562هـ/1166م)؛ إبراهيم مراد: المُعرب الصـوتي عند العلماء المغاربة، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1978م، ص50.

(4)تعد الخريطة الأوروبية أقدم خريطة عرفها التاريخ، إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ ج1، ص247، 249.

(5)ابن سعيد: المُغْرب في حلى المغرب ج2، ص35-36.

كما ظهر في هذه المرحلة نمط جديد من الأدب الجغرافي وهو وصف الرحلات وهو عبارة عن مذكرات يومية، وكثيراً ما ارتبطت هذه الرحلات بالحج، وأول من وضع الأساس لهذا الفن من أدب الرحلات القاضي أبو بكر بن العربي، الذي كتب وصفاً مفصَّلاً لرحلاته سماهُ (ترتيب الرحلة للترغيب في الملَّة) [1].

و– الفلسفة:

بالرغم من أن علم الفلسفة لم يزدهر في ظل كمال المرابطين لكون إن مجتمع المرابطين كان مجتمع الفقهاء الملتزمون بأحكام الدين، فإن هذا العصر شهد من دراسات الفلسفة [2]،وإن كان لم يظهرها، كالوزير مالك بن و هيب [3]،وزير علي بن يوسف بن تاشفين، شارك في جميع العلوم، ولكن ما يتفق مع ذلك الزمان، ولما كثر تعاطيه الفلسفة، استدعاه أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين من إشبيلية إلى مراكش، وصار جليسه، كما تقدم في هذا المجال ابن باجة بوصفه فيلسوفاً أندلسياً نشأ في البيئة الأندلسية التي تسمح لهُ ولغيره دراسة شتى العلوم والمعارف، وكان له مؤلفات في هذا المجال، منها (تدبير المتوحد) وكتاب (النفس) وكتاب (التشوق الطبيعي وماهيته)، وشرح كتاب (السماع الطبيعي) وهو لأرسطو طاليس"[4].

ويظهر في هذا المجال قضية إحراق كتاب الإحياء للإمام أبي حامد الغزالي في أيام الأمير علي بن يوسف فلما وصل هذا الكتاب إلى المغرب الأقصى نظر فيه رجال الفقه والدين فرأوه محشواً بما لا عهد لهم به من آراء المتكلمين ومذاهب

---

(1)دندش، الأندلس في نهاية عصر المرابطين ومستهل الموحدين، ص444.

(2) درّس أبو بكر بن الحسن الحضْرمي المعروف بالمرادي، (ت489هـ/1096م)، هذا العلم، وهو من أدخل علوم الاعتقادات بالمغرب الأقصى، ودرس على يديه أبو الحجاج بن يوسف الكلبي، خليل إبراهيم السامرائي: علاقات المرابطين بالممالِك الإسلامية بالأندلس و بالدول الإسلامية، ص389.

(3) الفقيه الكاتب مالك بن وهيب أبو عبد الله، فقيه أندلسي من إشبيلية، اشتهر في أواخر عصر المرابطين وشارك في جميع مجالات المعرفة، فنظم الشعر وصنَّف في التاريخ والعلوم، ابن الأبار: الحلة السيراء، ج2، ص46، عبدالواحد المراكشي، المعجب، ص185، المقري: نفح الطيب ج3، ص479، ابن خلدون، العبر ج6، ص228.

(4)كارم السيد غنيم: ملامح من حضارتنا العلمية وأعلامها المسلمين، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة ، 1989م، ص98–99، ابن أبي أصيبعه: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص515–517.

الصـــوفية[1]،وقد تداولته الأيدي من خاصـــة الناس وعامتهم، فقرروا مجافاته لظاهر الشـــريعة وحذروا الناس من مطالعته والنظر فيه ،فما كان من رجال الدولة إلا أن أمروا بجمعه وإحراقه.

و.-العلوم العقلية:

الطب والصيدلة:

تقدمت العلوم الطبية والصيدلانية في عصر المرابطين تقدماً يشهد لهُ الأسماء والأعلام التي تألقت في حضـــارة الأندلس والمغرب ، وقد تطور الطب وازدهر في بلاد المغرب الأقصـى على يد أطباء أندلسـيين [2] ، وكان في مقدمة هؤلاء وأشـهرهم ابن زهر ،وهو طبيب اندلســي ممن تركوا بصــماتهم واضــحة في تاريخ الحضــارة الإســلامية ،وهو أبو مروان عبدالملك ابن الفقيه محمد بن مروان بن الأزهر الأيادي الإشبيلي ،تتلمذ على أيدي علماء المشرق في الطب ،وبعد وفاته ورثهُ ابنه أبو العلاء وقد تبوا مكانة عظيمة في دولة المرابطين [3]،فكان وزير وفيلسوف عصره [4]،برع في الأدوية المفردة والمركَّبة وشـــاع ذكره في الأندلس وغيره من البلاد [5]،قد ألَّف كتاب (الإيضاح بشواهد الافتضاح) وتوفي بقرطبة سنة(525هـ/1130م)،وامر الأمير علي بن يوسف بجمع كتبه ونسخها وذلك سنة (526هـ/1131م)[6].

اســتمر ابنه أبو مروان بن زهر (484-557هـ / 1091-1161م) من بعده ونبغ في هذا المجال، ولم يكن في زمانه من يماثله أو ينافســه، وكان لهُ حظوة لدى

---

(1)عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص173..

(2) ابن الابار التكمله، ج1، ص334.

(3) اشتغل أبو العلاء بالطب وهو صغير في أيام المعتضد بالله صاحب إشبيلية وبعد زوال ملكهم أصبح وزيراً لإبراهيم بن يوسف بن تاشـــفين، ترك تراثاً مهماً في الطب، ومن كتبه في الطب مجربات الخواص والأدوية المفردة والمدخل إلى الطب، والنكت الطبية، توفى سنة 525/1131م، ينظر: ابن أبي أصيبعه، طبقات الأطباء، ص517-519.

(4)المقري: نفح الطيب ج1، ص445، ابن أبي أصيبعة:طبقات الأطباء ج2،ص66.

(5)ابن أبي أصيبعه: طبقات الأطباء ج2، ص66؛ محمد بلغيث: الربط، ص471..

(6)ابن الابار:التكملة ج2،ص80-81،ابن أبي أصيبعة:طبقات الأطباء،ج2،ص64.

الأمراء المرابطين فقد ألَّف للأمير أبي إسحاق إبراهيم بن يوسف بن تاشفين كتاباً أسماه (الاقتصاد في صلاح الأجساد) [1]،ومن تأليفه أيضاً كتاب (التيسير في المداواة والتدبير)[2], وقد ألَّفه للقاضي الفقيه أبي الوليد بن رشد، وهذا الكتاب يُعد من أفضل مراجع الطب في العصور الوسطى، ولهُ أيضاً كتاب (الأغذية) ومقالة في علل الكلى، ورسالة في علتي البرص والبهق وهو أول من اعتنى بدراسة العظام [3]،ومن أطباء آل زهر أيضاً أبو بكر محمد بن عبد الملك بن زهر، أخذ الطب عن أبيه ويوصف بأنه قد أكمل صناعة الطب ولم يكن في زمانه أعلم منه بصناعة الطب (504–596هـ / 1111–1199م) وهو الذي وضع رسالة في طب العيون [4], وتعد أخته أشهر الطبيبات في هذه الأسرة [5].

ومن أبرز من برع في الطب في عصر المرابطين أبو عامر البلوي، وله في الطب كتاب سمّاه (الشفا)[6]، وكذلك أبو القاسم خلف بن عباس (ت 501هـ/ 1107م) الذي اشتغل بالجراحة وقام بعملية تفتيت الحصاة في المثانة، كما أَلَّف أبو الوليد بن رشد كتاب (الكليات)، تم دفعه إلى ابن زهر ليُلحق به دراسات الجزئيات لتكون جملة الكتابين كتاباً في صناعة الطب [7]،وبذلك فإن اشتراك أكثر من عالم واحد في تصنيف كتاب والقيام بتجربة علمية غدت ظاهرة طيبة لروح التعاون العلمي عند علماء العصر المرابطي.

---

(1)أبو مروان عبد الملك بن زهر: التيسير في المداواة والتدبير، تح/ ميشيل خوري، دار الفكر، دمشق، 1983، ص9.

(2) ابن أبي أصيبعه: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص519.

(3) عبد العزيز بن عبد الله: الفكر العلمي ومنهجيّة البحث عند علماء المغرب، ص58.

(4) ابن أبي أصيبعه: عيون الأنباء، ص521–525.

(5)هي أم عمر بنت أبي مروان بن زهر، كانت متقدمة في علوم الطب لا سيما أمراض النساء والولادة في عهد الدولة الموحدية؛ عصمت دندش: الأندلس في نهاية المرابطين ومطلع الموحدين، ص4.

(6)ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة، ج1، ص495.

(7)عبد العزيز بن عبد الله: الطب والأطباء بالمغرب، ص 148،علي الصلابي: فقه التمكين عند دولة المرابطين ،مؤسسة اقرأ القاهرة ، مصر،ج1، ص208.

كما كان لابن طفيل إسـهامات في الطب، فقد ذكر لسـان الدين الخطيب أن لابن طفيل أرجوزة في الطب وفي الأمراض وعلاجها [1].

الصيدلة:

من أشـهر من نبغ في هذا العلم أبو عبد الله محمد بن معمر المتوفى سـنة (524هـ / 1129م) كان يمتاز بثقافة واسعة، ومن تأليفه شرح كتاب (النبات) صنَّفه في ستين مجلداً [2]،كما ألف الإدريسي المشهور رسالة في تحضير الأدوية، ووصف فيها ثلاثمائة وسـتين نباتاً، ومن مؤلفاته كتاب (الجامع لصـفات النبات)، أما أبو جعفر القرطبي (ت 561هـ/1165م) فقام بجمع نباتات إسبانية إفريقية، ووصف هذه النباتات وصفاً دقيقاً، ما ساعده على تأليف كتاب (الأدوية المفردة) [3].

ومما يؤكد اهتمام دولة المرابطين بالطب وجود منصب يعرف برئيس الصناعة الطبية، وهو منصـب هام يقابل ما نطلق عليه اليوم أسـم وزير الصـحة إذ كان فيما يبدو المسـؤول الأول أمام الأمير في صـناعة الطب، وما يتعلق بها من الادوية والعقاقير.

الكيمياء:

من أشـهر علمائها علي بن موسـى بن علي الأنصـاري السـالمي الجياني المعروف بابن النقرات، المولود سنة (515هـ / 1121م) وقد نُسب إليه كتاب "شذور الذهب في الإكسير"[4].

علوم الرياضيات والهندسة:

---

(1)الأرجوزة: هي منظومة شعرية على بحر الرجز، تتضمن 7700 بيت، وتتناول مواضيع مختلفة في علم الطب وتغطي مجموعة واسعة من الأمراض التي تصيب جسم الإنسان من الرأس إلى القدمين، وتشرح أعراضها وطرق علاجها، والهدف منها تبسيط وتيسير تعلم الطب للطلاب من خلال الشعر،عبد الله عنان: عصر المرابطين، ص 96.

(2)المقري: نفح الطيب، ج4، ص 367.

(3)أنخل بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسي، ص 472.

(4)الهرفي:دولة المرابطين،ص362

وقد ظهر فيه عدد من العلماء، فكان الوقشي محققاً بعلم الحساب والهندسة مشرفاً على آراء الحكماء حسن النقد للمذاهب [1]،واستدعى أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين العالِم الكبير عبد الله بن عائشة ووكل إليه حسابات جميع المغرب، وعهد إليه جميع مقاليد الأعمال [2].

كما طوّر الأندلسيون قليلاً في استخدام الأرقام التي استعملها عرب الأندلس في البداية، وقد انتقلت إلى المغرب، وذاع انتشارها عن طريق الأندلس [3]،مع انتشار الحركة العلمية في المغرب على عهد المرابطين.

الموسيقى:

على الرغم من نشأة المرابطين في الصحراء وتأثرهم بتعاليم الإمام الفقيه عبدالله بن ياسين ومقاومة تيار الحضارة الأندلسية في فن الغناء والموسيقى والطرب، فاندفاعهم حرصوا على القضاء على وسائل اللهو وحرق متاجر الخمر، تتبعاً في ذلك للتعاليم الدينية التي يدعو إليها ابن تاشفين، غير أن هذه الشدة أخذت تخف شيئاً فشيئاً إلى أن مال المرابطون إلى ألوان الترف، ذلك بعد احتكاكهم بالأندلس والاطلاع على أساليب الحياة في المدن الأندلسية، ما جعلهم يتأثرون بحياة الرفاهية التي كان يعيشها أبناء الأندلس، وصار هذا لهم مجال سيحضره الشعراء [4], وظهرت أدوات الطرب والغناء متوفرة في المدن المغربية، وأصبح هناك وجود بعض الجواري اللاتي يحسنن الغناء، إذ يؤكد المؤرخون أن يوسف بن تاشفين كان يسمع الغناء ويطرب له، وهذا ما مكَّنهم من إهداء المعتمد بن عباد جارية يسمع منها ويطرب لغنائه [5].

---

(1) ينظر ابن الأبار: الحلة السيراء، ج1، ص 257، 267؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج19، ص 135.

(2) اشتهر بالصدق والأمانة، وكان حريصاً في عمله مخلصاً له وواسع العلم والمعرفة، ينظر ابن بسَّام: الذخيرة، مج2، ص 887.

(3)أحمد أبو العباس: تاريخ الرياضيات، القاهرة، 1955م، ص 62.

(4)حسن محمود: قيام دولة المرابطين، ص 422-423.

(5)المقري: نفح الطيب، ج6، ص 12.

ومن ذلك نرى أن الموسيقى الأندلسية قد تسربت في هذا العصر عبر أناس معينين وعملوا على نشرها في مدن المغرب، ومنه هؤلاء ابن باجة رائد الموسيقى [1], ومن الموسيقيين الوافدين من الأندلس في هذه الفترة أبو الحسن علي الغرناطي تلميذ ابن باجة، الذي برع في ألحانها وتعليمه الطلبة، وقد استخدموا من الآلات مثل العود والرباب والقانون والمزامير والبوق وغيرها [2]،وألفت الكتب فيها، وكان كتاب ابن باجة يعتمد في الألحان والغناء، وبه نافس كتاب ابن نصر الفارابي بالمشرق.

وخلاصة القول، فإن عدم الاستقرار في الأندلس ونتيجة الفتن المستمرة بين ملوك الطوائف، والمعارك الطاحنة بين المرابطين والفرنجة، ما دفع علماء الأندلس إلى الهجرة إلى مدن المغرب الأقصى والفرار إليها بعلمهم، لينعموا فيها بالاستقرار والطمأنينة من ذلك الفساد والاضطراب، وليسهموا في تدعيم أركان الدولة الناشئة [3]، التي أصبحت أشبه بحضرة بني العباس في صدر دولتهم [4]،كما كان للأمن والاستقرار الذي فرضته الدولة المرابطية على المغرب والأندلس، وإخماد الفتنة والعصبيات، دور في نشر العلم وتلقيه [5]،وبذلك فتح المرابطون أبواب المغرب أمام الحضارة الأندلسية، فأخذت التأثيرات الأندلسية تتدفق في عصرهم على البلاد المغربية، ونجحوا في إقامة دولة تضم المغرب والأندلس، فاشتد ساعد المؤثرات الأندلسية أكثر من ذي قبل، وذلك لأنهم كانوا على استعداد لتقبل الثقافة الجديدة والإفادة منها، فقد كانت القبيلة ذات حضارة قديمة، أفادت في تاريخها القديم من الحضارات الوافدة على المغرب، وأصبحوا أكثر استعداداً لحياة علمية رفيعة لو أحسن توجيههم.

---

(1)محمد زروق: الأندلسيون وهجرتهم إلى المغرب، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء: د.ت، ص 38-39.

(2)المقري: نفح الطيب، ج3، ص 213.

(3)المراكشي: المعجب،ص227.

(4)الزهري: كتاب الجغرافيا، ص 112، المراكشي: المعجب، ص 441، 443.

(5)ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، ج4، ص 62.

فكان الأمير عبد الله بنياسين قد فتح عقله للثقافة الإسلامية والتراث العربي، وتركت تعاليمه في نفوسهم أبلغ الأثر، وبدئوا منذ اللحظة التي وُطئت فيها أقدامهم أرض المغرب يُقْبِلُون على المدارس في شغف، وانكبّوا على الثقافة والعلم وأخذوا منها نصيباً وافراً، فمنذ أن احتكَّ المرابطون بحضارة الأندلس وثقافتها، وجلسوا إلى شيوخها وعلمائها وسمعوا من رواتها ومحدثيها؛ شاع العلم بين العامة والخاصة، وما انقضى على تدفقهم نصف قرن حتى بدأت نتائج الثقافة الجديدة تظهر آثارها فيهم، الأمر الذي مكّنهم من العلم واحتلوا مكان الشيوخ المعلمين الذين جلسوا يحدّثون الناس ويفقهونهم ويروون عنهم.

ولهذا ترى الباحثة أنَّ هذه القبائل (المرابطين) قبائل محبة للعلم، وإن هدفها لم يكن السيطرة والرئاسة والاستحواذ والسلب، وبث الرعب في نفوس الشعوب، وإلا لما لمسنا هذه النتائج في عقود بسيطة، تظهر فيها المؤثرات الأندلسية في بلاد المغرب، والأكثر تفوقاً في بعض المجالات.

وبذلك لم يكن مجتمع أو قبائل المرابطين ضد التيار الحضاري الممتد من الأندلس إلى المغرب، بل أخذوا منه وشاركوا فيه، واشتهر منهم كثير، منهم الأمراء والحكّام وعامة الشعب، وظهر من بينهم من عُرف بالتقوى والعلم الغزير.

فمن خلال هذه الدراسة نرى آثار المدرسة الأندلسية في التكوين العلمي للمغاربة كانت واضحة، وأظهرت تقدماً في مختلف الفروع العلمية، ما أدى إلى كثرة المؤلفات وتنقلها بين العدوتين، وقد كان القاضي عياض في تنقلاته بين العدوتين من أبرز من نبغ في كثير من العلوم، أهمها الحديث، وأظهرت تفوقاً في التأليف، ولهذا رأت الباحثة أن يكون نموذجاً تحظى به هذه الدراسة.

القاضي الفقيه عياض:

هو القاضـي أبو الفضـل عياض بن موسـى بن عياض بن عمر بن موسـى اليحصـبي السـبتي، ولد بمدينة سـبتة سـنة (476هـ / 1083م) [1]،وهي من المراكز العلمية المشهورة، وتتلمذ على شيوخها ومن أشهرهم :القاضـي أبو عبدالله بن عيسـى والفقيه إسحاق بن الفاسي وغيرهم. [2]

أن التعريف بالقاضـي عياض ما هو إلا تحصيل حاصل، وحسب سبتة فخراً، أن قال في ابنها البار: "لولا عياض ما عُرف المغرب"، نشـأ القاضـي في بيت تعلم بداية من أجداده، وانتقل جده من الأندلس إلى فاس، ثم انتقل جده عمرون إلى سبتة، وعرف عنهم الصـلاح والتقوى وحفظ القرآن الكريم [3]،وكـل ذلـك انعكس على شـخصـيته، وبدأ حياته العلمية بالقرآن وانتهى إليه [4]،كان إمام وقته في الحديث وعلومه، والنحو واللغة، وكان أديباً شـاعراً، وعرف كلام العرب وأيامهم وأنسـابهم، وكان من أجَلّ الخطباء في عصـره، فكان خطيباً فصـيحاً [5]،سـريع البديهة، ذكياً، له تأثير قوي في توجيه السـلوكيات بوجه عام، ما أدى بأهل سـبتة إلى الالتفاف حوله والاسـتنارة بآرائه في شـؤونهم الحياتية. فجلس للمناظرة له نحو ثمانية وعشـرين سـنة، وقيل إن هذه الشخصية جعلت جلّ الحكام والأمراء يجلّونه ويلازموه في حلّه وترحاله. والجدير بالذكر في الحديث عن القاضـي عياض، أن من يتحدث عن الحركة الفكرية في العصـر المرابطي سـواء أكان من المغرب أو الأندلس، لا يمكن له أن يغفل ذكر

---

(1)ابن الأبار: المعجم، ص 294؛ الفتح بن خاقان: قلائد العقيان، ص 132–133، أحمد شـهاب الدين الخفاجي: نسيم الرياض في شرح حال الشفا للقاضي عياض، دار الفكر، لبنان د.ت،ج1، ص 5، الجزنائي: زهرة الأس، ص 20.

(2) مصطفى الشكعة :المغرب والأندلس ،ص124.

(3)ابن الابار:المعجم، مصدر سابق،ص295، الخفاجي: نسيم الرياض،ص5.

(4)محمد بن القاضي عياض: التعريف بالقاضي عياض،ص5.

(5)ابن الأبار:المعجم،ص295.

القاضـي عياض، فعلى الرغم من انتسـابه إلى المغرب، فإنه كان الأكثر إسـهاماً في إثراء الحركة الفكرية في الأندلس عالماً ومتعلماً.

رحلته إلى الأندلس:

كان يحب العلم ويرحل لأجله ويسـعى حثيثاً في طلبه، فخرج من سـبتة متجهاً إلى الأنـدلس عبر البحر سـنـة 507هـ / 1115م، وكـان عمره واحـداً وثلاثين عاماً[1]،وذلك بعد أن كان متحصـلاً على الكثير من مجالات المعرفة من شيوخ بلدته سبتة.

رغب عياض النهل من علماء الأندلس لتحقيق أمرين في حياته العلمية:

الأول: التأكد من سـلامة المنهج النقلي ومن كماله، وذلك بتصـحيح المتون المروية والبحث عن أصولها ووصل أسانيدها بأصحابها [2].

والثاني: تصـحيح منهج التفكير وإقامة أسـبابه على قواعد ثابتة، ولذلك نراه تولى أمر الشـورى في بلده [3]، طاف عياض حواضـر الأندلس التي كانت تفخر بشـيوخها واعلامها في الفقه والحديث فنزل قرطبة اولاً وأخذ عن شيوخها المعروفين ومن أشـهر شيوخه الذين تتلمذ عليهم في قرطبة ابن عتاب القرطبي، وقاضـي الجماعة أبوعبد الله بن الحاج، والفقيه أبو جعفر بن رزق، وأبو مروان عبد الملك بن سـراج، وأبو الوليد ابن رشـد الجد، وأبو محمد بن سـعيد الأندلسـي الإشـبيلي وأبو علي الصـدفي، ورحل إلى مرسيه سنة 508هـ، والتقى بالشيخ أبو علي الصدفي وتحصل على علوم غزيرة وتصـدر للتعليم والتدريس وهو في الثانية والثلاثين من عمره، وعُيِّن قاضياً على سبتة

---

(1)ابن الأبار: المعجم، ص 294، كـنون: النبوغ المغربي، ج1، ص 189، مصـطفى الشـكعة: المغرب والأندلس، ص 126.

(2)علي أبو العكيك: القاضـي عياض من خلال كتاب الشفا، مجلة كلية الشريعة، نشر جامعة القرويين – كلية الشريعة، العدد 20، المغرب، 1415هـ / 1995م، ص 229.

(3) المرجع نفسه، ص299.

سنة (515هـ) ونبغ في القضاء واشتهر بعلمه وعبادته وعدله، وكانت أكثر مؤلفاته في الحديث الشريف، ثم في التاريخ، ثم في الفقه، ثم القرآن الكريم[1].

مؤلفاته:

1-الشفا بتعريف حقوق المصطفى[2]،ومحتواه السيرة النبوية والعقيدة والأصول والتفسير والحديث..

2-مشارق الأنوار على صحاح الآثار، ومحتواه تفسير غريب الحديث في الصحاح الثلاثة: موطأ مالك وصحيحي البخاري ومسلم، فضبط أسماء الرجال والألفاظ، والتنبيه على ما يقع في ذلك من وهم أو تصحيف.

3-كتاب إكمال المعلم في شرح مسلم.

4-كتاب منهاج العوارف إلى روح المعارف.

5-كتاب بغيّة الرائد فيما في حديث أم زرع من الفوائد [3].

6-كتاب التنبيهات المستنبطة على الكتب المدوّنة [4]،في الفقه، وجمع في هذا الكتاب فوائد وغرائب.

7-كتاب الإعلام بحدود قواعد الإسلام في العقيدة.

8-كتاب الخطب، يحتوي على خمسين خطبة من خطب الجُمَع.

9-كتاب تاريخ سبتة.

10- كتاب المقاصد الحسان فيما يلزم الإنسان.

11- كتاب جامع التاريخ في التاريخ والطبقات.

---

(1)مصطفى الشكعة: المغرب والأندلس، ص 125، 136.

(2)القاضي عياض: الغنية، ص116، كنون: النبوغ المغربي، ج1، ص 88.

(3)علي أبو العكيك: القاضي عياض من خلال كتاب الشفا، ص 231.

(4)عنان: عصر المرابطين والموحدين، ص 463، كنون: النبوغ العربي، ج1، ص 88، مصطفى الشكعة: المغرب والأندلس، ص 136-137.

12- كتاب الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع في مصطلح الحديث.

13- الغنية، وذكَر فيه شيوخه وترجم لهم.

14- كتاب ترتيب المدارك وتقريب المسالك في معرفة أعلام مذهب الإمام مالك.

15- غنية الكتاب وبغية الطالب في الأدب والإنشاء، كما برع القاضي عياض في أمور عدة، منها القضـــاء والفقه والحديث واللغة والأدب، وله موهبة في نظم الشعر.

مصادر علمه:

كانت كثيرة ومتنوعة، فإلى جانب القرآن الكريم واســـتيعاب علم القراءات، درس أصول اللغة العربية من الموسوعات التي كان يقرأها، مثل: الإيضاح لأبي علي الفارســـي، والكافي لابن النحاس، والجمل للزجاجي، وأدب الكاتِب لابن قتيبة، وغيرها الكثير [1].

أما الحديث فقد درس الموطأ للإمام مالك والصحيحين للبخاري ومسلم على يد الشيخ علي الصدفي، ودرس أيضًا السنن الأربعة وغيرهم. كما درس كتب الفقه، لا ســـيما الفقه المالكي، مثل الرســـالة لابن زيد القيرواني، والمدوَّنة التي ألف حولها التنبيهات المستنبطة على المدوَّنة. ودرس في الجدل والمناظرات لأبي الوليد الباجي، كما قرأ الأرجوزة التي ألَّفها في الاعتقادات يوسف بن موسى الكلبي على مذهب أبي الحسن الأشعري[2].

اعتنى الأمير علي بن يوسف بالقاضي عياض في شبابه، حين ظهر وانتشر صـيته، فأكرمته دولة المرابطين وهيأت له الأجواء للمزيد من التحصـيل والتفوق في الدين. وعاد عياض إلى سبتة بعد أن أتم ما أراد من علوم الأندلس عام 508هـــ، وتصدر للتعليم والتدريس، وأصبح من أهل مجلس الشورى وفي سنة 515هـــ استلم

(1)علي أبو العكيك: القاضي عياض من خلال كتاب الشفا، ص 282.

(2)القاضي عياض: الغنية، ص282.

القضـاء في سـبتة [1]وكان في الخامسـة والثلاثين من عمره، ومكث فيه سـتة عشـر عامًا، وبُنيت الزيادة الغربية في جامع سـبتة التي كمل بها جماله، وترك في بلده آثارًا محمودة [2].

ذكره ابن بشـكوال، وهو معاصـر للقاضـي عياض وأحد تلاميذه، واصـفًا إياه: كان عالمًا وقاضـيًا، وينقل عنه أبو الحسـن النباهي، وهو من أعيان قضـاة الأندلس، فيقول: ""إنهم من أهل التفنن في العلم والذكاء واليقظة والفهم، واسـتقضـى ببلدهم مدة فحمدت سيرته فيها" [3].واصل عياض نشاطه العلمي فيقول لابن بشكوال: "قدم على قرطبة في ربيع الآخر سنة 531 فأخذنا عنه بعض ما عنده""[4]،ثم يترحل بين الحين والآخر داخل المغرب حينًا وعابرًا إلى الأندلس حينًا آخر" [5].

ثم عاد إلى قضـاء سـبتة عام (539هـ / 1144م)، وكان عمره ثلاثة وسـتين عامًا، فارتحل مناسبًا لعودته، وعاد إلى سابق سيرته [6].

ولم يزل مشـهورًا حتى سقطت دولة المرابطين وظهرت دولة الموحِّدين، وصـل إلى مراكش، حيـث تُوفّي في منفـاه بعيـدًا عن وطنـه عـام(544هـ / 1149م) في مراكش عند باب إيلات أو في حي هيلانة داخل المدينة [7]،وبذلك يعدّ القاضـــي عياض من أكثر العلماء تأثيرًا وتأثرًا بين العدوتين، ونبغ في كثير من العلوم، أهمها القضاء، وهذا ما شهد به علماء عصره.

---

(1)مصطفى الشكعة: المغرب والأندلس، ص 150.

(2)المقري: أزهار الرياض، ج3، ص 12.

(3)ابن بشكوال: الصلة، ج7، ص 360 ، ا لنباهي، قضاه الأندلس،ص101.

(4)المصدر نفسه، ص101.

(5)مصطفى الشكعة : المغرب و الأندلس،ص163

(6)ابن الأبار:المعجم،ص296

(7)المصدر نفسه، ص296 ، النباهي: قضاة الأندلس ،ص101.

من خلال دراستنا هذا الفصل، يتضح لنا أن من أهم مظاهر التقارب التي جمعت بين بلاد المغرب والأندلس تلك الحركة العلمية التي شملت بلاد المغرب في عصر المرابطين، والتي نبغ فيها عدد من العلماء في مختلف العلوم. غير أن تأثير الأندلس العلمي في بلاد المغرب كان أكثر شيوعًا. كما كان للارتباط الوثيق بين العدوتين دورٌ في تمهيد بلاد المغرب لتلعب دورًا مهمًا في المجال العلمي، بل وصل الأمر إلى منافسة المغاربة للأندلسيين في هذا المجال من خلال انتقالهم إلى بلاد الأندلس راغبين في النهل من العلوم الأندلسية أولًا، ثم كمدرسين، كما أثروا الحياة العلمية في ميادين التأليف والكتابة ، وبذلك أصبحت أبواب المغرب مفتوحة أمام انتقال عدد كبير من الأعلام الأندلسية، حيث لقي هؤلاء التكريم والترحيب من أمراء المرابطين، لا سيما الشيوخ منهم الذين يحملون معهم كثيرًا من العلوم والمعارف الدينية المختلفة [1].

وكان معظم أهل الأندلس على مذهب الإمام مالك المتّبع عند المرابطين، ما ساعد على توثيق الصلة بين العدوتين.

الخلاصة:

لقد كان للجوانب الإيجابية لتوجه فكر المرابطين الفضل في فتح المجال أمام العلماء والفقهاء والأدباء والشعراء، وغيرهم من أهل الأندلس الذين استقرّوا ببلاد المغرب، فكان لذلك أثر واضح في الحياة الفكرية في بلاد المغرب.

(1)جمال أحمد طه، مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين،ص279.

المبحث الثالث: التصوف في بلاد المغرب الأقصى في القرن الخامس الهجري الحادي عشـــر الميلادي وموقف المرابطين منـــهُ.

ظهر التصـــوف كاتجاه في أواخر القرن الثاني الهجري، الثامن الميلادي[1]، وكان على المالكية جابر بن حيّان [2]أول من نُعِت بهذا النعت، وكان لجابر مذهب خاص في الزهد والاستقامة، لكونهم من أهل الكوفة الذين نبع منهم التصوف[3].

وذكر الجرجاني: أن التصـــوف مذهب كله جد، ولا يخلطونه بالهزل [4]،كما ذكر السيوطي: أن التصوف هو العلم بالأصول المورثة من تصحيح الأعمال ظاهرًا وباطنًا [5]،كما له أصدقاء ومحبون، فإنه له أعداء ورأي المخالفين.

إن مسـار التصـوف جنوح ودخول في متاهات الفلسـفة والآراء الوثنية، وإن جـذور التصـــوف ليســـت حـديثـة، بـل إنهـا قـديمـة قبـل زمن البعثـة النبويـة الشريفة[6]،والتصوف طبقات: طبقة الصدق والزهد، وطبقة العلم الباطن، وطبقة وحدة الوجود، وهذه الأخيرة خلط أصحابها التصوف الإسلامي بالفلسفة اليونانية، وأظهروا أفكار وحدة الوجود والحلول والاتحاد، وأن الموجود الحق هو الله وما عداه صورة زائفة وأوهام، وتعد هذه الطبقة أسوأ الطبقات واخطرها[7].

وكان للصـوفية أماكن خاصـة بهم ينقطعون فيها للعبادة تعرف بالربط [8]،أو الرباطات، يلتقي فيها الشيخ بأتباعه بعيدًا عن الطوائف الإسلامية الأخرى.

---

(1) محمد ضيف الله: الحضارة الإسلامية، دار الفرقان، عمان، 2003م ، ص352.

(2)جابر بن حيان: جابر بن حيان بن عبد الله، أبو موسى الكوفي فيلسوف كيميائي، يعرف بالصوفي، ومن أهل الكوفة، وأصله من خرسان، توفي بطرس سنة (200هـ/815م) صنف كثيراً من الكتب، ينظر: الزر كلي، الأعلام، ج2، ص103.

(3) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ص327.

(4) علي بن محمد الجرجاني: التعريفات، تح: مجموعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت ، 1983م، ص59 .

(5)عبدالرحمن بن أبي بكر: معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، تح/ محمد إبراهيم، مكتبة الآداب، القاهرة ،2004م ، ص210.

(6) علي بن محمد الجرجاني: التعريفات، ص59

(7)عبدالرحمن بن أبي بكر: معجم مقاليد العلوم، ص210.

(8) البطانية: الحضارة الإسلامية، ص353.

فكان فقهاء المالكية يقْبحّون علم الكلام، وأشـاعوا أن السـلف الصـالح كرهوا علم الكلام وهجروه، وأنه بدعة في الدين تؤدي إلى اختلاف في العقائد.

وهذه الآراء جعلت أمراء المرابطين يبغضـــوا المتكلمين وعلماءهم، ومن وُجد لديه كتاب من كتب المتكلمين أُخِذت منه وأُحرقت. فلما أُدخِلت كتب الغزالي [1]إلى البلاد أُمر بحرقها ومحاســبة كل من وُجد في بيته كتاب منها. التشــدّد الذي أظهره المرابطون في بداية حكمهم ضــد المتصــوفة لم يمنع انتشــار التصــوف في البلاد، فكانت مدينة شلب [2]الأندلسية مركزًا مهمًا من مراكز التصوف في البلاد، وكان رباط الريحانة [3]من أهم أماكن وجودهم في غرب الأندلس.

ومن أبرز رجالاته في العهد المرابطي:

1-أبو العبـاس أحمـد بن العريف الصـــنهـاجي، وكنيتـه أبو العبـاس (458-536هـــ/1065-1142م) من المَرية [4]،أظهر الزهد والتصـوف أيام المرابطين في مدينته، وتولى زعامة الصـــوفية، ومنها انتشـــرت دعوته في مدينة إشـــبيلية [5]،وغرناطة[6] وباقي إقليم غرب الأندلس.

2-أبو الحكم عبد الســـلام بن عبد الرحمن بن برجان اللخمي، كان من أهل المعرفة بالعلوم والحديث والتحقيق بعلم الكلام والتصـوف والزهد والاجتهاد في العبادة

---

(1) الغزالي: أبو حامد محمد بن محمد، ولد في مدينة طوس سنة(450هـــ/1059م)، كان عالماً متكلماً له رحلات علمية، درس في نظامية بغداد، وزار بلاد الشام، ثم رجع إلى طوس وبنى فيها خانقاه للصوفية، (ت.505هـ/1111م) ، ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ص216-219.

(2) شلب: مدينة في الأندلس، تقع في بسيط فسيح من الأرض، موقعها هيأ لها سور حصين، ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص342.

(3) رباط الريحانة: محرس أو رباط أو قصر في بلاد الأندلس؛ ينظر الإدريسي، نزهة المشتاق، ج1، ص303-304.

(4) المرية: مدينة في الأندلس محدثة البناء بناها الخليفة الناصر لدين الله، سنة 344هـــ، اتخذها العرب مرابطاً وبها محارس ومرسى بعد أن قدمها الماجوس، وهي أشهر مراسي الأندلس وأعمرها؛ الحميري: الروض المعطار، ص537.

(5) إشـــبيلية: مدينة في بلاد الأندلس، تقع في الجنوب الغربي بالقرب من البحر المحيط، وهي مدينة جليلة كبيرة، المســـير منها إلى قرطبة ثمانية أيام. واسمها مأخوذ من انبساطها، وهي مدينة أزلية بناها القياصرة، ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص58.

(6)غرناطة: آخر معاقل المســـلمين في الأندلس، وهي من مدن البيرة، بينها وبين وادي آش أربعون ميلاً. عمّرها حبوس الصـــنهاجي وابنه باديس، وأصبحت فيما بعد من أكبر مدن الأندلس في عصر ملوك الطوائف.
ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص45

[1]،ويُعدّ من أبرز شـــيوخ التصـــوف المميزين الذين قدّموا بحوثًا نظرية في مبادئ التصوف، وتوفي سنة 536هـــ/1141م إثر وشاية لدى السلطان المرابطي علي بن يوسف بن تاشفين.

3-بو بكر محمد الميورقي، ســـكن غرناطة وكان محدّثًا وفقيهًا، ويغلب عليه الزهد والصلاح [2]،هرب من السلطان المرابطي إلى مدينة بجاية [3]،وحدثّ بها وسمع منه كثير من أهلها [4]،وتوفي بها سنة (537هـ/1142م)[5].

كل هؤلاء يُعدون روّادًا وكبارًا للحركة الصـــوفية في عهد المرابطين في القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي.

التصوف في بلاد المغرب:

عاش في مجتمع المغرب الأقصـــى خلال القرنين الخامس والســـادس من الهجرة الكثير من الصـــالحين، هؤلاء الذين اتخذوا من التصـــوف منهجاً لحياتهم، وامتازت هذه الفترة بوجود بعض أقطاب التصـــوف في المغرب كأبي يعزى وابن العريف وصالح بن حرزهم وأبي مدين وغيرهم من المتصوفين الذين أصبحوا أعلاما يقتدي بهم الأتباع والمريدون، ويتخذون من تعاليمهم المبادئ.

تأســـســـت تلك الطرائق الصـــوفية التي صـــار لها فيما بعد تأثيرٌ في الحياة السياسية بالمغرب، فضلًا عن الحياة الروحية [6].

---

(1) ينظر:الذهبي، سير أعلام النبلاء، ص73.

(2)المصدر نفسه: ص45.

(3) بجاية مدينة مغربية عامرة بأهلها وأهل الأندلس، وتقابلها جزائر الأندلس، ولا سيما جزيرة ميروقه. ويقع شرقي مدينة بجاية مرسى كبير للسفن، تدخله السفن المحمّلة، وهي قاعدة المغرب الأوسط وعظمته. ويحيط بها سور عظيم، وتكثر حولها النباتات التي تفيد الناس في الطب والعلاج من بعض الأمراض ، ينظر: البكري، المسالك والممالك، ص757، الحميري، الروض المعطار، ص80.

(4)ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ص359.

(5)المصدر نفسه، ص359،الذهبي:تاريخ الإسلام،ص45.

(6)إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ، ص198.

إلّا أنَّ المكانة التي تمتّع بها المتصـــوّفون، والتفاف الناس حولهم، وتكريمهم لهم، أثارت حفيظة بعض الفقهاء. ومن ثمّ حاول هؤلاء النيل منهم والإيقاع بهم عند ولاة الأمر بحجّـة التفـاف النـاس حولهم وتعلّقهم بهم، ممّـا يُخشَـــى منـه على أمن الدولة[1] كما اعترض الفقهاء على اشـتغال بعض المتصـوّفين بمداواة المرضـــى من النســاء، وعدّوا ذلك خروجًا على أحكام الدين , وهكذا أصــبح كبار المتصــوّفة هدفًا لحملات بعض الفقهاء والعلماء الذين حاولوا التشــكيك في إخلاصـــهم، مدّعين أنهم يشـــكّلون خطرًا على البلاد. غير أنّ قافلة المتصـــوّفين ظلّت تؤدّي دورها في حياة الشعب المغربي بفضل حبّ الناس لهم وتكريمهم لهم [2].

ونتيجة حبّ الناس للمتصوّفة، شعرت الدولة المرابطية – بإيعاز من الفقهاء – بالقلق تجاههم، كما شـعرت بالفشـل في مواجهتهم، فنهجت سـياسـة التقرّب منهم. إلّا أنَّ كتب التراجم تؤكّد نفور معظم المتصـوّفة من الأمراء المرابطين ورفضـهم سـياسـة التقارب معهم؛ فالمتصوّف أبو بكر بن يحيى بن محمد "لم يمشِ بقدمه في مظلمة ولا إلى باب سلطان"[3]،كما عُرف أحمد بن يوسف بن السُّليْم المعافري بمباعدته للأمراء والمترفين، وفي الوقت ذاته كان أبو عبد الله المجاهد مباعدًا للملوك مع شـــدّة رغبتهم فيه، منافِرًا لهم، لا يقبل منهم قليلاً ولا كثيرًا [4].

نخلصُ إلى أنَّ التصـــوّف الذي انتقل من المشـــرق إلى بلاد المغرب عامة، وإلى الأندلس خاصـــة، عن طريق الرحلات العلمية ورحلات الحج، لم يُوَفَّق كثيرًا في بلاد الأندلس في عهد المرابطين، ولا سـيما عند طبقة الفقهاء الذين نشـروا بين الناس تكفير كل من يظهر عليه الخوض في شيء من علم الكلام والتصوّف.

---

(1)أبو العباس التنبكتي: نيل الابتهاج، ص129.

(2)ابن الزيات: التشوف إلى رجال التصـوف، معهد الأبحاث العليا المغربية، نشره وصـححه أدولف فور، الرباط ،1958م، ص196.

(3)ابن الزيات: التشوف، ص297.

(4) بوتشيش: المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص151.

ونتج عن ذلك نبذُ المجتمع لهم ومحاربتهم، ممّا أوقعهم في مشـــكلات مع السلطات أدّت إلى اعتقال بعضهم. وقد يكون السبب في ذلك امتزاج الأفكار الفلسفية وعلم الكلام مع الزهد والتصوّف، مما نتج عنه ظهور مدرسة وحدة الوجود التي يعدّها الفقهاء خروجًا عن الشرع الحنيف.

وبعد هذا المرور على أثر المدرسة الأندلسية في بلاد المغرب الأقصى، والتي أظهرت تأثيرًا واضـــحًا في مختلف العلوم النقلية والعقلية، يتّضـــح لنا من خلال ذلك مظاهر حضـــارية مهمّة في مختلف المراكز ببلاد المغرب زمن المرابطين، وهذا ما سندرسه في الفصل الثالث.

الفصل الثالث

المظاهر الحضارية للمدرسة العلمية الأندلسية في بلاد المغرب الأقصى

المبحث الأول: دور مدينة سـبتة في التواصـل العلمي بين المغرب والأندلس

المبحث الثاني: دور العامة في انتشار العلوم.

المبحث الثالث: تأثيرات العلوم الأندلسـية على الفن المعماري ببلاد المغرب.

المبحث الرابع: أهمية دراسـة العلوم الأندلسـية في صـياغة الجانب الحضاري في بلاد المغرب الأقصى.

المبحث الأول:

دور مدينة سبتة الحضاري في التواصل العلمي بين المغرب والأندلس:

تحظى مدينة سبتة بمكانة علمية وحضارية وعمرانية في الحضارة العربية الإسلامية، وزادت مكانتها الحضـــارية في القرن الخامس الهجري مع ظهور دولة المرابطين التي وحَّدت المغرب والأندلس، وأسهمت في توَسُّع الصلات العلمية، وأضحت مدينة الثقافة والفنون والصناعة والتجارة، وملتقى للقادمين من المشرق إلى المغرب والأندلس. ومنها انطلقت الجيوش الإسـلامية لفتح الأندلس، وهي من أهم مدن المغرب، إذ تُعد من أهم مراكز الحركة العلمية في الســواحل المغربية، لا ســيما أن هذه المدينة أنجبت أكبر شخصية علمية مغربية وهو القاضي عياض الذي سبق ذكره والتعريف به.

سبتة: هي بلدةٌ مشهورةٌ من قواعد بلاد المغرب، تحتل موقعًا مهمًا وحيويًا يتحكم ببحر الزقاق مضـيق جبل طارق، وتحولت المدينة بحكم المجاز وصـلتها الوثيقة والمسـتمرة بـالأنـدلس إلى مـدينـة عربيـة ذات طـابع أنـدلســـي[1]،وعرفـت عنـد بعض المؤرخين المسـلمين بأنها وعُرفت عند بعض المؤرخين المسـلمين بأنها "مفتاح الأندلس"[2]ومنها عبرت الجيوش الإسلامية لفتحها.

أما الحركة العلمية ورجالها بســبتة في مرحلة الدراســة فنســتطيع القول إنه لا توجد بالمغرب مدينة تضـــاهي ســـبتة في نشـــاطها العلمي والقرائي وكثرة الرجال القارين والوافدين عليها، ومن أهم أعلامها الآتي:

---

(1)الحميري: صـــفة جزيرة الأندلس، منتخب من كتاب الروض المعطار،ط2، دار الجبل، بيروت ، 1988م، ص83.

(2) مصطفى الشكعة: المغرب والأندلس، ص122.

1- أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد اللواتي المعروف بابن الفاسي من أهل سبتة، لزم الفقيه أبا الأصبغ بن سهل، وسمع منه جميع كتبه، وحدّث بها عنه، وأخذ منه القاضي عياض وغيره، واشتهر بالحديث، وتوفي بسبتة سنة 513هـ)[1].

2-ال حسن بن علي بن طريف المعروف بالتاهرتي، من أهل سبتة، اشتهر بالنحو، وسمع من الفقيه حجاج بن الماموني، وأبي عبد الله ابن سعدون، وأبي الأصبغ بن سهل، وأبي محمد بن قحافة وغيرهم بالأندلس، ودرّس النحو عمره بسبتة، وأخذ عنه جماعة منهم القاضي عياض، وتوفي سنة (501هـ)[2].

3-الأد يب الفقيه المحدث محمد بن عيسى بن حسين التميمي القاضي بسبتة، وُلد بفاس سنة (429هـ)، وانتقل به أبوه من فاس إلى سبتة، فنشأ بها ويُعرف بابن الدقَّاق. طلب العلم عن أبي عبد الله المسيلي وغيره، وله رحلات عديدة إلى الأندلس في طلب العلم والأدب، وسمع من ابن الطلاع وأبي مروان بن سراج، وسمع من ابن القصيرة الأدب. تولى قضاء سبتة وفاس، وكان عارفًا بالفقه والحديث، حافظًا ضابطًا، كثير الكتب، مليح الخط والإنشاء والمحاضرة، وهو أحد شيوخ القاضي عياض، وتوفي سنة (505هـ)[3].

4-عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللخمي النكوري الأصل، سكن سبتة، وكان له اختصاص بأبي الأصبغ ابن سهل، وسمع من أبي علي الصدفي، وتولى قضاء الجماعة بمراكش، ولأبي الفضل عياض رواية عنه، ومناظرة عنده في الموطأ والمدوّنة وأصول الدين، وتوفي سنة (513هـ)[4].

---

(1)القاضي عياض: الغُنية، ص186، عبد الله كنون: النبوغ المغربي في الأدب المغربي، ج1، (د.ت)، ص86-87.

(2)عبد الله كنون: المرجع نفسه، ص92.

(3) المرجع نفسه، ص87.

(4)محمد ابن تاويت: سبته مدينة رائدة في تاريخ الثقافة المغربية، مجلة المناهل المغربية، العدد 22، عدد خاص بالحركة الفكرية في سبتة، ص102-103.

5-عبد الله بن محمد بن عبد الله بن محمد النفزي، المحدث السلفي، سكن سبتة وخطب بجامعها مدة، وسمع من أبي علي ابن سكره وأبي عبد الله ابن عيسى وغيرهم. قال عياض: سمعت قراءةً وسمعت قراءته، وحُكي أنه روى عنه في سبتة وإشبيلية وغرناطة وقرطبة، وتوفي في سنة(538هـ/1143م)، وبلغت مؤلفاته خمسة عشر كتابًا، ومنظومًا في الزهد [1].

6-عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن الكتامي ويعرف بـ "ابن العجوز"، وهو من بيت علم وجلالة، انتقل إلى سبتة من بلدهم كتامة. قرأ على أبيه ومروان بن سمحون وسمع حجاج الماموني وغيرهم، يميل إلى النظر والحجة ودرّس الفقه، وكان من جملة قضاة سبتة بالأندلس وتوفي قرابة(515هـ/1121م) [2].

7-عبد الرحمن المعافري السبتي، المتوفى سنة(520هـ/1126م) قاضي سبتة وخطيبها، وهو إحدى شيوخ عياض، سمع من أبي الوليد الباجي في الأندلس [3].

8-أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأموي [4]،شيخ سبتة وقاضيها ومفتيها، وهو من شيوخ عياض. أخذ العلم عن شيوخ كثيرين، وكان حافظًا للفقه والفرائض، مشاركًا في التفسير وعلم الناسخ والمنسوخ، ولي قضاء سبتة مرتين وتوفي سنة (517هـ)[5].

9-الأديب الفقيه المحدث محمد بن عيسى التميمي، قاضي سبتة، طلب العلم على يد الشيخ محمد المسيلي، وتولى القضاء بها نحو ست سنوات، وتوفي سنة (505هـ/1111م) [6].

---

(1)القاضي عياض: الغنية، ص157، ابن الأبار، المعجم، 215؛ عنان، عصر المرابطين والموحدين، ص459.

(2)المصدر نفسه، ص168.

(3)المصدر نفسه،ص226.

(4)محمد بن القاسم الأنصاري السبتي: اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سنن الآثار، ط2 ، تحرر عبد الوهاب بن منصور، الرباط ، 1983م، ص 21.

(5)المصدر نفسه،ص23.

(6)القاضي عياض: الغنية، ص99، كنون: النبوغ المغربي، ج1، ص87.

10- عبد الله بن إبراهيم اللخمي، سكن سبتة، وسمع من أبي علي الصدفي بسبتة[1].

من خلال هذا التقديم لمدينة سبتة وعلمائها في فترة الدراسة، نجمل القول بأنّ الحركة العلمية في مدينة سبتة تعد ملتقى علماء وطلاب العلم والفقهاء والكثير من الوافدين عليها والمقيمين والعابرين. هؤلاء جميعًا يمثلون المدرسة المرابطية في مدينة سبتة وبُعدها الحضاري

ولو تتبعنا هؤلاء الذين كانوا يعبرون إلى سبتة ومنها، لما استطعنا إحصاءهم، ولما كان العبور سهلاً كما نفهمه الآن، ولكن معناه الإقراء والأخذ. مثال ذلك، الصدفي قرئ عليه في عبوره جامع الترمذي ولا زال الناس يسمعونه في الجامع ليلاً ونهاراً، وكانوا ينامون بالمقصورة حتى يكمل في مدة يسيرة، كما كان الأخذ المتبادل والمناظرة والامتحان العسير[2].

كما كان لحسن موقعها ولأهميتها التجارية مركزًا مقصودًا من مختلف الطبقات بين الناس، وتعد أحسن الطرق وأقربها للتنقل بين الأندلس والمغرب، فكانت سبتة من الشهرة بحيث إذا أريد التعريف بمدينة أخرى قيل إنها في موضع كذا من سبتة، كما فعل الحموي عندما أراد التعريف بفاس فقال: "فاس مدينة عظيمة بالمغرب بالقرب من سبتة"[3].

وبفضل موقعها الجغرافي تحوَّلت إلى قاعدة ونقطة انطلاق والتقاء كثير من الحركات الفكرية والحضارية، وذلك لإنتاجها الكثير والغزير من العلماء.

---

(1)القاضي عياض: الغنية، ص282.

(2)محمد بن تاويت: تاريخ سبتة، دار الثقافة، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الدار البيضاء، 1982م، ص 60.

(3)ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج3، ص 183.

ووصـــلت ســـبتة إلى الذروة العلمية بابنها القاضـــي عياض، معجزة عصـــره وزمانه[1].

كما كانت ســـبتة مركز اســـتقطاب للعلماء لما كان لها من شـــهرة في العلم، وتنافس العلماء، وكانت تغصّ بطلاب العلم الذين اســـتحســـنوا الإقامة فيها لما وجدوا فيها من بيئة علمية خصبة ، ومن أمثال هؤلاء: يوسف بن عبد العزيز بن عديس، تُوفي بفاس (505هـ / 1112م)، طليطلي الأصل، أقام بسبتة فأفاد منها بعض أهلها، وكان فقيهًا محدّثًا[2].

1- يوسف بن موسى الكلبي، سكن سبتة مدة من الزمن[3].

2- موسى بن عبد الرحمن الشاطبي، فقيه ومحدّث، سكن مدينة سبتة [4].

3- عبد العزيز النفزي، أندلسي الأصل، سكن سبتة وخطب بجامعها[5].

4- النحوي أبو الحسن الأنصاري، طليطلي الأصل، سكن سبتة[6].

ويعود وجود هؤلاء العلماء الكبار في مدينة ســـبتة إلى أهميتها الثقافية باعتبارها إحدى أولى المراكز العلمية التي أدت دورًا ثقافيًا مهمًا بين العدوتين؛ ســـواء كان ذلك بقربها من الأندلس أو بطبيعتها الفكرية والثقافية المميزة.

---

(1)أمين توفيق الطيبي: دراسات في تاريخ سبتة الإسلامية، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية، طرابلس، د.ت، ص 55.

(2)القاضي عياض: الغنية، ص284.

(3) المصدر نفسه،ص282؛ الضبي: بغية الملتمس، ص477.

(4)القاضي عياض: الغنية،ص256.

(5)المصدر نفسه:ص217.

(6)المصدر نفسه:ص146.

المبحث الثاني:

دور العامة في انتشار العلوم.

لم يدعم المرابطون الحركة الفكرية بشكل مباشر بين العامة، بقدر ما تسببت أغراض سياستهم الحياتية في دعمها ودفعها خطوات واسعة إلى الأمام، فكان لقيام دولتهم على أساس ديني[1]،وما ترتب عليه من اهتمامهم بتوسعه[2]وبناء المساجد في معظم المدن التي دخلوها أو أقاموها أثره في اجتذاب كثير من الفقهاء والمحدّثين ورجال الفكر وأرباب الأدب، لعقد الحلقات العلمية بها، كمسجد القرويين الذي استمر يقدّم خدماته العلمية منذ أيامه الأولى[3]حتى عصر المرابطين، حيث تحول فيما بعد من مسجد إلى جامعة[4] ، وكسقاية جامع علي بن يوسف الذي شرع منذ بنائه (525هـ) في مباشرة دوره الثقافي، وإسهاماته في تهذيب العلوم وتقديمها للقرويين[5].

كذلك كان **الأمن والاستقرار** الذي أنعمت به الدولة المرابطية على المغرب والأندلس، وإحكام سيطرتها عليهم، وإخماد العصبيات، وإماتة المذاهب[6]،سبباً في خلق الأجواء المناسبة لتلقي العلم ونقله، وتشجيع الانتقال للمغرب الأقصى والأندلس

---

(1)الشيخ عدة: جهود الفقيه عبد الله بنياسين في تكوين العصبة الدينية للمرابطين، مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة نواكشوط/موريتانيا، ع2، 2014، ص42-45.

(2)عبد الهادي التازي: جامع القرويين، ط2، دار نشر المعرفة، الرباط، المغرب، 2000م، ج1 ص66-67، ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص59-60، ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج1، ص68-69، مجهول: الحلل الموشية، ص72.

(3)يوسف الكتاني: مدرسة الإمام البخاري في المغرب، ج2، دار لسان العرب، بيروت، د.ت، ص424.

(4)حسن السائح: الحضارة الإسلامية في المغرب، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1986م، ص187.

(5)عبد الله كنون: النبوغ المغربي، ج1، ص75، ينظر: عبد العزيز الكتماني، دور الجامعة اليوسفية في تأسيس ثقافة مغربية خلال العهد المرابطي، مراكش، حوليات كلية اللغة العربية، ع3، 1994م، ص139.

(6) محمد عبد العزيز الدباغ: جامع الأندلس بفاس، مجلة دعوة لحق، المغرب، ع53، جماد الأول 1382 هـ-1962م، ص16، يوسف الكتاني: مدرسة الإمام البخاري، ج2، ص28، حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية، ص443.

"دون قيد" على حدِّ تعبير أوليري[1]،لنشـــر العلم أو تلقيه عن أهلها والطارئين عليها[2].

كما كان لاتســـاع رقعة دولتهم وتشـــعّب علاقاتهم الخارجية، وما ترتَّب عليه من تطور للنواحي الإدارية، وما استلزمه هذا من استخدام عدد كبير من الوزراء والكتّاب والإداريين، دورٌ كبير في إذكاء روح المنافسة بين الكتّاب على تلك المناصب، ليرقوا إلى مناصـــب مرموقة في البلاط المرابطي أو ديوان الإنشـــاء. كذلك كان تقريبهم للفقهاء، وصـرف الأمور إليهم سـبباً في رواج كتب الفقه[3]،وإقبال العامة على تعلّمه، ليحظوا وينالوا به المناصـــب والمراتب العالية في الدولة، على حدّ قول عبد العزيز التونســـي الذي ترك تدريس الفقه اعتراضـــاً على تلامذته الذين أخذوا الفقه عنه ثم عادوا إلى بلادهم فَسَادوا في أقوامهم ممّا تعلّموه من الفقه، وصاروا قضاة وشيوخاً وخطباء وغير ذلك من المراتب[4].

كما يمكن القول إن أسباب نهوض الثقافة في المغرب الأقصى يعود إلى

1- قوة الدولة وما نتج عن هذه القوة من أمن واستقرار.

2- الوحدة مع الأندلس

3- إنشاء مراكز علمية جديدة كجامع ابن يوسف في مراكش، وتوسيع المراكز القديمة كالقرويين ومدرسة سبتة.

---

(1)ديل أسي أوليري، الفكر العربي ومركزه في التاريخ، ترجمة إسماعيل البيطار، دار الكتاب اللبناني ،بيروت، 1982م ، ص201.

(2)ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، ج4، ص62.

(3)سلامة الهرفي، الأحوال السياسية وأهم مظاهر التطور الحضاري لدولة المرابطين، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى – مكة المكرمة، 1982م، ص377، فتحية محمد خير الوداني: الحياة الثقافية في فاس في عصـــر المرابطين، رسالة دكتوراه، كلية البنات، جامعة عين شمس، 2012م، ص138.

(4)عبد العزيز الكتماني، دور الجامعة اليوسفية في تأسيس ثقافة مغربية ، ص142–143، ابن الزيات، التشوف، ص93.

4- شـــغف المرابطين بالثقافة وعنايتهم بها وتقديرهم لأعلامها[1]ومن هذا يمكن القول إن دور المرابطين كان مقتصـــراً في الغالب على إنتاج الأســباب التي دفعت إلى نشر العلم وإثراء الفكر وازدحام المعرفة.

من خلال عرض ما سبق ترى الباحثة أن العامة هم الذين باشروا في المكاتب وجلسـوا في المسـاجد، وبذلوا غاية وسـعهم في سـبيل نشـر العلم وبث فوائده وتسـهيل أسباب تحصيله، على خلاف ما هو شائع في بعض المصـادر من حيث التأكيد على قُصرِ فهم العامة وجهلهم وضعف عقلهم.[2]

لقـد حرص فريق من عوام المغرب على إيراد أبنـائهم إلى المكـاتـب[3]وعلى اســـتئجار المؤدبين لهم، ليتعلموا القراءة والكتابة، حتى وإن كانوا فقراء[4]،كما عملوا على متابعة أبنائهم عن طريق الاتصـال بمؤدبيهم والاستفسار عن سلوكهم، وإيصـائهم بتأديبهم واسـتعمال الشـدة إذا أخلّوا بالأدب أو قصّـروا في الحفظ[5]،لما رأوا أن "ضـرب المعلّم للصبي كالماء للزرع[6]".

كذلك تدلّ النصـــوص على تمرّد هؤلاء الذين اضـــطرتهم أوضـــاعهم المالية المتدنية للحدّ من طموحات أبنائهم العلمية، ورفضـــهم الرضـــوخ لاختيارات آبائهم المتعلقة بتعلّم حرفة تُعينهم على سـداد نفقات الأسـرة كأبي العباس السـبتي الذي دفعه حبُّ ما كان يســـمعه في مجلس أبي عبد الله الفخّار من كلام، لتتحدّى شـــدة أمه

(1)عباس الجراري، قضـايا مرابطيه في منظور بعض المستشرقين، مراكش: مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، إبريل 1993م، ص99، حسن أحمد محمود، قيام دولة المرابطين، ص424.

2() النباهي، تاريخ قضاة الاندلس، ص37

(3)ابن الزيات: التشوف، ص137.

(4)الونشريسي، المعيار المعرب، ج8، ص239.

(5)الزجالي، أمثال العوام، ج1، ص233، ينظر بوتشيش، المغرب، ص65-93.

(6)المرجع نفسه: ص65-93.

وإصرارها على احترافه البزازة[1]،حتى قال: "كانت أمي تحملني إلى البزّازين، فأفرُّ منهم إلى مجلس أبي عبد الله الفخّار ،فتضربني" [2]،وتكشف بقيّة قصته عن دور العامة في نشر العلم، وكفالة أبناء طبقتهم وتبنيهم علمياً.

بينما كان على شاكلة ابوالعباس السبتي في تشوفه للعلم واطلاعه للمعرفة، حيث قال للرجل لأمه: "اتركيه، أنا أدفع لك قدر أجرته، وأدفع عن كل المعلم الذي يُقرئه أجرته[3]"ثم أقعده بين يديه بعده أتمّ حفظ القرآن ليقرئه كتب الأحكام[4].

وتكشف كتب التراجم أن ما فعله أبو عبد الله الفخّار لم يكن مجرد حالة، بل اتجاه، حيث عمد غيره إلى تخصيص وقته لتحفيظ كتاب الله سبحانه وتعالى وتعليمه إيماناً واحتساباً لله سبحانه وتعالى، كابن يسول الذي أقرأ القرآن بتلمسان محتسباً لله دون أجرة عليه[5]،و وابن ويحلان الذي درس الفقه ثلاثين سنة محتسباً مع شدة فقره وفاقته"[6] وأبو عبد الله التأودي الذي كان يعّلم أولاد الفقراء، ويغسل ثيابهم ويخيطها ولا يأخذ على ذلك أجراً[7]و أبو الفضل بن النحوي الذي كان لا يقبل من أحد شيئاً[8]وأبو عمر السلالجي الذي انتصب لتعليم العلم في مدينة فاس محتسباً، إلى أن لحق بالله تعالى"[9] وأبو عبد الله بن الرمامة الذي أقبل على نشر العلم، والجلوس للإقراء والإسماع، متحملاً مشقة التدريس، رغبة في بث العلم وتحريضاً وإعانة

(1)البزازة: هي مهنة تاجر الأقمشة والثياب الخام والمستوردة، ينظر ابن الزيات: التشوف، ص459، ينظر: الفيومي المصباح المنير، ص34.

(2)ابن الزيات: مصدر سابق،ص459.

(3)المصدر نفسه، ص459.

(4)التنبكتي: نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ص70، المقريزي، نفح الطيب، ج7، ص268.

(5)ابن الزيات: التشوف، ص294.

(6)المصدر نفسه: ص147.

(7)المصدر نفسه: ص272.

(8)المصدر نفسه: ص100.

(9)المصدر نفسه: ص200.

لملتمسيه[1]،وأحمد بن اللب السلاوي الذي كان يقرئ الناس النحو ويأخذ الأجرة ممن شرطه على ذلك، فيعطيها للفقراء ممن يحضر عندهم من طلبته[2]،و وابن الصقر الأنصاري الخزرجي من مدينة مراكش، ورفض عرض أحد سادة متونه عليه قائلاً: "والله لو أعطيتني ملء الدنيا على أن أخرج عن طريقي وأفارق ديدني من خدمة أهل العلم ومدخلة الفقهاء والانخراط في سلكهم، ما رضيت[3].

كما كان هناك أيضًا من يُعلِّم الصبيان، فيأخذ الأجرة من أولاد الأغنياء ويردها على أولاد الفقراء[4]،ناهيكم عن أن أجرة أمثال هؤلاء المؤدبين والمدرسين المنتمين إلى طبقة العامة أو المتعاملين معها كانت رمزية، وإلا كانت تنعكس على ملابس بعضهم الخَلِقة التي كانت بالكاد تَسْتُرُهُم[5]،هذا أولاً ، أما ثانيًا، فلأنه لم يكن يجلسوا من أجل المال بقدر ما جلسوا للتعليم وكتاب الله سبحانه وتعالى، بدليل قول أحد المؤدبين: "إنّي وإن كنت آخذ منهم الأجرة، لم أجلس من أجلها، وإنما جلست لتعليم كتاب الله سبحانه وتعالى "[6]، مما اضطر بعضهم لكسب العيش للعمل بمهن أخرى إلى جانب التعليم والتدريس، كقيام أحدهم ببيع العشب إلى جانب تعليمه للقرآن وإقراء النحو[7]،وقيام آخر ببيع حصير الصلاة التي كان يصنعها بنفسه إلى جانب إقراء القرآن[8]،وقيام ثالث ببيع القرف [9] بسبتة إلى جانب تصدره لإقراء العربية والقراءات و إسماعهما[10].

---

(1)ابن عبدالملك: الذيل والتكملة، ج219،5.

(2)التميمي:المستفاد،ص144.

(3)ابن عبدالملك:الذيل والتكملة ج1،ص408.

(4)ابن الزيات:التشوف،ص272.

(5)التميمي:المستفاد،ص148.

(6)ابن العريف: مفتاح السعادة، ص115-117، المقري: نفح الطيب ج1، ص220-221.

(7)ابن القاضي: جذوة الاقتباس ج1،ص90.

(8)ابن الزيات:التشوف،ص294.

(9) القِرَفُ: جمع قِرْفَةُ، والقِرْفُ: من كل شيء قِشْرهُ، قِرْف الأرض: ما يقتلع منها من البقول والعروق المعجم الوسيط. ج2، ص729.

(10)ابن الأبار :التكملة،ج3،ص52.

هذِه بعض الأمثلة الدالة على بعض تحرّف المعلمين لحرفة تكفيهم وتُعفي طلبتهم من أن يكون رزقهم إحدى قضاياهم[1].

ولكن هذا لا يعني جهل العامة بالطب وغيره من العلوم العقلية مطلقًا.

فقد كان الطب من بين المعارف التي أدلى فيها العامة بدلوهم، حقًا لم يكن كطبّ ابن باجة وابن زهر وغيرهما، بل كان لهم طبّهم الشعبي المستفاد بالتجربة والمكتسب بالخبرة، والمتوازن عند مشايخ الحي وعجائز النساء، اللاتي كن يجدن من معرفة الأدوية ما لا يعرفه طبيب[2]وكان لهم أطباؤهم المتمثلون في العشّابين والعطّارين، والقوابل [3]،والحجامين [4]،وكل هذا ما إلى التجريب واكتساب الخبرات في علاج الأمراض والتداوي، وما زال منها صالحًا للتداول حتى عصرنا هذا[5].

كذلك كان علم الفلك من بين العلوم التي كشفت مصادر الفترة عن إلمام بعض العامة بشيء منها، والباحثة لا تعني بالفلك التنجيم الذي ارتبط ببعض الأشكال الغيبية كالعرافة والتنبؤ بالمستقبل، والذي ألقى معارضه من طرف الفقهاء بسبب اختلاطه بعلم الغيب الإلهي[6]،وإنما قصدت به علم الفلك والنجوم الذي يمكن به معرفة طلوع الفجر، ولا سيما الصادق الذي عليه التعويل في الشرعيات.

فقد كان أمره خفيًا لا يعرفه كل أحد، ومن ثم كان بحاجة لمن يوضحه ويظهره للعيان، لذلك جعل له نجومًا أسموها منازل القمر وعدتها ثمانية وعشرين

---

(1)الجزيري: المقصد المحمود في تلخيص العقود، ج2 ،ص333.

(2)أبو مروان عبدالملك بن زهر: التيسير في المداواة و التدبير، ص168.

(3)القابلة أو المولّدة والتي تساعد المرأة الحامل على الولادة، أي أنها تقوم بمهمة طبيب النساء والتوليد. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج3، ص469.

(4)وهو من يقوم بفصد الدم الفاسد، بشق الوريد لاستخراج منه، ينظر: أبو الفداء محمد عصمت، أسرار العلاج بالحجامة، دار الفصيلة، القاهرة ،2003م ، ص35.

(5)محمود إسماعيل: المهمشون في التاريخ الإسلامي، دار رؤية، القاهرة، 2004م)، ص192.

(6)بوتشيش: علم النجوم والفلك وتوقعات المستقبل ببلاد المغرب خلال عصر المرابطين والموحدين 6–7هـ، ضمن أعمال الندوة التكريمية، الجمعية المغربية للبحث التاريخي، المغرب، 2005م، ص97، 100.

منزلة[1]،ليُعرف بها وقت السحر وانتقال الفجر في المنازل، ويستدل بها على القبلة، ناهيكم عما يترتب على معرفة ذلك من أحكام الصلاة والصيام[2].

كذلك تتوفر في بعض المصادر على عدد من الإشارات الدالة على كون الكيمياء من بين العلوم التي أدلى فيها العامة بدلوهم. إذْ ورد في ترجمة أبي إبراهيم إسحاق ابن محمد الهزرجي، أنه بعث برجل إلى أحد أصحابِه ببلد (بقبلة مراكش)، مع خادمه، فطلب منه الخادم المرور بشخص من أهله لهذه البلدة لزيارته، يقول الرجل: "فذهبت معه إليه، فتحدث معه ساعة، ثم قال لي: عند هذا الرجل دراهم صنعها، فماذا ترى في حمله إلى مراكش لنصرفها ونقتسمها ثلاثًا لكل واحد ثلثها؟ فإن هي يعرف الكيمياء"[3].

وخلاصة القول، أن المرابطين من وجهة نظر الباحثة: اقتصَر دورهم في الغالب على توفير الأسباب وتهيأت الأجواء المناسبة لمباشرة أبناء مختلف طبقات المجتمع للعلم بما فيهم العامة، ومنهم جزءًا له الفضل في نشر العلم وإثراء الفكر، وازدحام المعرفة، وهو الدور الذي أتَّلهم بفضل إصرار بعضهم على تعليم أبنائهم رغم ضيق دخلهم، وإصرار البعض الآخر على التعلم حتى ولو كان ذلك تحديًا لرغبة آبائهم، وهذا إن دلَّ على شيء إنما يدل على دور العامة الحضاري في نشر وتقبل العلوم.

كما شاركت المرأة المرابطية في مجالات كثيرة، منها السياسية والحضارية ونشر العلم بين طبقات العامة، حيث انفردت بمكانة حضارية، وعُدت نِدًّا للرجل، تقف معه على قدم المساواة، فعلى الصعيد السياسي كان لهذا الدور واسع في نشأة الدولة المرابطية، ويكمن ذلك في الدور الذي قامت به زينب النفزاوية[4]زوجة يوسف بن تاشفين وبنت

---

(1) القلقشندي: صبح الأعشى، ج2، ص340.

(2) المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، تح/ خليل المنصور، دار الكتب العلمية بيروت، 1998م، ص32.

(3) ابن الزيات: التشوف، ص243.

(4) الجزنائي: زهرة الآس في بناء مدينة فاس، ص275.

تاجر كبير من القيروان نشأت في جو متحضر واكتسبت من الحنكة والدهاء ما جعلها تتفوق على الرجال وتفرض شخصيتها في شؤون السياسة والحكم وهو ما عبر عنه بن خلكان بقوله: "وكانت من أحسن النساء، ولها الحكم في البلاد"[1]، ولا غرور أن أدت دور المستشار لزوجها يوسف بن تاشفين الذي امتثل لنصائحها، ولها يعود الفضل في تدبير فتح المغرب، فقد ذُكر عن زوجها أنه كان يقول لبني عمه إذ خُلِبَهم وورد ذكرها، إنما فتح البلاد برأيها[2]،وتجلَّى النفوذ السياسي للمرأة داخل العائلة الحاكمة في تدخلها في أمر ولاية العهد وعزل الولاة[3]،والقضاء وردهم إلى مناصبهم[4]،ويظهر لنا مما تقدم تميّز المرأة في شؤون الحكم وأمور الدولة..

ونظرًا لما تمتعت به المرأة من دور سياسي بارز في الدولة، فقد تغنّى بفضائلها الشعراء، فقد تعاطت المرأة في عهد المرابطين العلوم والمعرفة في مجال واسع مثلها مثل الرجل، فعزيزة بنت محمد بن نميل سمعت من القاضي أبي بكر بن العربي[5]،كذلك حفصة بنت قاضي مراكش موسى بن حماد من فضليات النساء قارئة وكاتبة لها معرفة بالفرائض، كما كانت على معرفة كبيرة بعلوم أبيها[6].

وان بنت الفقيه الصفدي كانت تتحفظ القرآن وتذكر الكثير من الحديث[7]،ومريم بنت إبراهيم المرادي كانت من أهل الذكاء والنبل، ذات خط بارع وقريحة جيدة، وللنساء فضل في مجال العلم، فروين الحديث والقرآن على الشيوخ، كما اشتهرت بعض النساء

---

(1) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج7، ص125.

(2) ابن عذاري: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ص30-42.

(3) حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين، مكتبة الخانجي، القاهرة، د.ت، ص353.

(4) النويري: نهاية الأدب في فنون الأدب، ج24، تح/ حسين نصار، القاهرة، 1983م، ص265.

(5) بروفنسال ليفي: الإسلام في المغرب والأندلس، ترجمة د. السيد عبد العزيز سالم والأستاذ محمد صلاح، النهضة، 1965م، ص252، ابن الزبير: صلة الصلة، ص565-566.

(6) ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ص30، الزبير: صلة الصلة، ص567.

(7) ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، ج8، ص489.

في العصـر المرابطي بمهارتهن في الكتابة، فكن ينَسـخن المصـاحف وكتب العبادات ويبعثنها إلى الورّاقين[1]،فقصدهن طلاب العلم للأخذ عنهن[2].

وفي ميدان الأدب اشـتهرت الحواء بنت تاشـفين التي وصـفها ابن عذاري بأنها شـاعرة جليلة، كانت تحضـر مجالس الأدب مع الشـعراء وتفوقهم في البداهة والفطنة، وتحاضـرهم في كل الأغراض الأدبية[3]،وتميمة بنت يوسـف بنت تاشـفين، تقوم بمجالسـة الكُتاب وتقرض الشـعر[4]،وكذلك حفصـة بنت الحاج الركوني التي كانت ترتجل الشـعر[5]،وحواء وزينب بنتا الأمير إبراهيم بنت تافلويت[6]،ووفاء بنت بنتان، ومهجة بنت عبدالرزاق[7].

كما احتفظت كتب التراجم بأسـماء النسـاء اللاتي لهُن دور في العلوم الطبية، كأم عمر بنت أبي مروان بن زهر التي وصـفت بأنها "متقدمة في الطب والعلاج"[8]،وأنها كانت تزور قصـور الأمراء وتنظر في علاج أمراض نسـائهم وأطفالهم، كما اشـتهرت أخـت أبـي بـكـر بـن زهـر بـخـبـرتـهـا فـي مـعـالـجـة الـنسـاء. كل هذا جعلها تحظى بالتقدير والاحترام وتمثل جانباً حضـارياً مهماً على صـعيد المجتمع والأسرة، وهذا ما يفسّر اعتزاز بعض الرجال بالانتساب إلى أمهاتهم.

---

(1) عصمت دندنش : معاهد العلم والتعليم بالأندلس في عهد المرابطين ، مجلة دعوة الحق، عدد 258، أغسطس 1968م، ص96.

(2)المرجع نفسه،ص72.

(3)ابن عذاري: البيان المغرب، ج4، ص56..

(4)ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج1،ص174،173.

(5) ينظر: ابن سعيد الأندلسي: المغرب في حلّى المغرب، ج2، ص61، المقري، نفح الطيب، ج4، ص171.

(6)كان والي فاس ويدعى ابن الصـحراوية، نسـبة إلى أمه، ينظر: ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص161، ابن بسام، الذخيرة، ص816..

(7) ينظر :ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج2، ص533، ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، ج8، ص493..

(8)ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، ج4، ص483..

وفي هذا الخصـــوص ذكر النويري: "...وكذلك جميع الملثمين ينقادون لأمور نسـائهم ولا يسـمّون الرجل إلا بأمه، فيقولون ابن فلانة ولا يقولون ابن فولان"[1]، وهذه إشارة إلى المكانة المرموقة التي احتلتها المرأة في العهد المرابطي، وهذه الظاهرة كانت موجودة في الشرق الإسلامي، في الحقب ذاتها[2]،وقد اشتهر العديد من الرجال بأسماء أمهاتهم ووجدوا في ذلك نوعاً من التشريف والاعتزاز، ومنهم ابن تاعيشت: هو إبراهيم بن يوسـف بن تاشـفين، يعرف بابن تاعيشـت اسـم أمه كان من أعظم قادة المرابطين وله مع النصـــارى بالأندلس وقائع كثيرة، عمل تحت إمرة أخيه الأمير المرابطي علي بن يوسف بن تاشفين [3]، وابن عائشـة: هو أبو سـليمان داوود بن عائشـة، من كبار قادة جيش المرابطين، وهو أول من دخل بجيش المرابطين للأندلس، وأبلى بلاء كبيراً في معركة الزلاقة وكان له دور كبير فيها، وابن قنونة: هو أبو محمد عبد الله بن أبي بكر بن يوسف بن تاشفين، أحد ولاة قرطبة، وعرف باسم عبدالله بن قنونه، وابن فانو: هو علي بن ابي بكر المعروف بابن فانو وهي أخت علي بن يوســـف بن تاشـــفين ،وكذلك ابن الصـحراوية يحيي بن أبي بكر بن علي بن يوسـف بن تاشـفين[4]،وأيضـاً أبناء غانية[5].

(1) شهاب الدين أحمد النويري: نهاية الأدب في فنون الأدب، ج19، ص265.

(2)الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج6، ص138،133.

(3)ابن الأبار: المعجم في أصحاب القاضي أبي علي الصدفي، ص62.

(4)ابن الأبار: الحلة السيراء، ج2، ص236.

(5)ابن الخطيب: الإحاطة، مج1، ص103.

المبحث الثالث:

تأثيرات الأندلس في الفن المعماري الأندلسي في بلاد المغرب

التأثير الفني والمعماري:

تضـــافرت مجموعة من العوامل في إيجاد التواصـــل الحضـــاري بين بلاد المغرب والأندلس خلال حكم المرابطين، وقد أفرزت هذه العوامل علاقة تأثير وتأثر بين العدوتين، بل تم وصـل بلاد المغرب بالتطور الحضـاري في الأندلس بفضـل الوحدة الســياســية والمذهبية. كما كانت لذلك تداعيات أخرى فكرية ومعمارية وفنية، غيّرت معالم هذه العلاقة من اسـتقبال وتأثير بلاد المغرب للمعارف الأندلسـية إلى صـانعة ومصدّر لها ومؤثرة فيها.

أ-الفن المعماري:

تعكس الحضـــارة، بما تضـــمّنه من آثار وفنون وصـــناعات، الجانب الفكري والثقافي والعقائدي[1]،ويعد الفن المعماري سـمة بارزة في التطور الحضـاري المغربي، مسـتفيداً من موقعه الجغرافي الذي جعله مجالاً للتفاعل الحضـاري ومرور العديد من التيارات الثقافية على مر العصـور، ومن ذلك الحضـارة الأندلسـية. فقد تأثر المغرب وما زال يتأثر بهذه الحضارة، وما زالت فنون هذه المدن تعيش في تراث الفن الأندلسي المغربي منذ عصـر المرابطين[2]، حتى صـار اسـم الحضـارة الأندلسـية يُذكر مقروناً بالحضارة المغربية.

فأغلب مؤرخي العصر الوسيط تنصبُّ كتاباتهم على الحدث السياسي أكثر من غيره، ولا ســيما الحضـــاري منه. ولذلك، لا بد من طرح الســـؤال الذي ترى الباحثة

---

(1)**إســماعيل عثمان:** تاريخ العمارة الإســلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصـــى، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1993م، ج1، ص. 42.

(2)**جورج مارسـي:** الفن الإسـلامي، ترجمة، عفيف بهنسـي، منشـورات وزارة الثقافة والسـياحة والإرشـاد القومي، دمشق، 1968م، ص. 137.

طرحه، وهو: ما مدى تطور الفن المعماري في المغرب الأقصـــى زمن المرابطين؟ ولمَن يعود الفضل في هذا التطور الذي حظيت به المغرب؟

لقد مرت الحضـارة المغربية على مدى العصـور التاريخية بتطور معماري، ولا بد من التدرج في مراحل تطوره، وصـــولاً إلى درجة التطور العمراني زمن المرابطين. ولمعرفة مقدار التطور الذي طرأ على أرض بلاد المغرب، لا بد لنا أن نشير إلى تأثر بلاد المغرب بالفن الأمازيغي منذ ألف عام، كما مزجت عناصـــره المحلية بأخرى اسـتُمدت من القرطاجيين والرومان والبيزنطيين، إلى أن انصـهر أخيراً في بوتقة الفن العربي الإسلامي[1].

ويعد الفن الأمازيغي القديم حلقة من حلقات فنون العالم القديم إلى أن صـــار إقليمًا إسلامياً، وتأسست على أرض دولة الأدارسة (172هـ/785م)، وأصبح مقصداً للوافدين من مدن المشـــرق، حيث حملوا معهم خبراتهم في طريقة البناء، إذ ظهرت المؤثرات الشـرقية في العديد من المباني الأندلسـية[2]، وتظهر مدينة فاس بتأثيرات أو مؤثرات شـرقية واضـحة، لأن الفن يتطور بتطور الأمة ليعبّر عن حياة أهلها ومواهبهم والبيئة التي يعيشـون فيها، فهذا ينطبق على العصـر المرابطي وما عرفه من اسـتقرار في الأمن وقيم العدل..

وكله ذلك أيناه حين تدفق المرابطون إلى المغرب، ونجحوا في إقامة دولة توحّد العدوتين، ولم تعد مؤثرات المدرسة العلمية التي أفرزتها عناصر التمازج المشترك بين المغرب الأقصـى والأندلس قاصـرة على المدن السـاحلية فحسـب، بل نفدت حتى إقليم الصـــحراء إلى أغمات ومراكش. وبدأ الفن المغربي الأندلســي يتألق في بلاد المغرب، لأن هؤلاء البدو عمدوا إلى حمايته والإفادة منه بقدر الإمكان[3].

---

(1)إسماعيل عثمان: مرجع سابق، ص211.

(2)حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، ص374.

(3)الجزنائي: زهرة الآس، ص32.

وزادت عناية المرابطين بالعمارة حين أصـــبح الأندلس إقليماً تابعاً للمغرب الأقصـــى[1]، وشـــاهد أمراء المرابطين تلك المهارة الفائقة التي يتميز بها عمال البناء بالأندلس، والتي تجلّت في المنشآت العسكرية كالحصون والقلاع والأسوار، إلى جانب المنشـآت العامة التي انتشـرت في البلاد من قصـور ومسـاجد وحمامات وغيرها من المنشآت، ومدى ما وصلت إليه تلك المباني من إحكام الصنعة في التشييد. ومن ثم قرر ولاة الأمر الاســـتعانة بخبراء البناء في الأندلس للإســـهام في حركة التعمير بالمغرب الأقصـى[2]،الأمر الذي جعل هذه المؤثرات الأندلسـية أكثر من ذي قبل، ولا سيما في عهد علي بن يوسف بن تاشفين، الذي تلمذ على الحضـارة الجديدة وأُعجب بها وفهمها فهماً صـحيحاً، وأمعن في اسـتقدام الفنّانين الأندلسـيين، فانتشـروا في طول البلاد وعرضـها[3]،وبدأت مدن المغرب وأقاليمه وقراه تحفل بمؤسسات بلغت من الروعة والفخامة حدّاً بعيداً.

وأصـبحت مؤسـسـات فاس ومراكش تكاد تضـارع مؤسـسـات قرطبة وإشـبيلية، وكان الفن في عهد المرابطين هو فن أندلسي في أرض مغربية[4].

والقول إن تاريخ الفن مرتبط بالتاريخ السـياسـي، فإن ذلك ينطبق على المغرب الأقصـــى أكثر من أي دولة أخرى؛ لأن الدولة إذا بســـطت رواقها وأفلحت في قهر أعدائها واســـتقرت الأحوال، انصـــرف أهلها إلى الإنتاج، أما إذا انطلقت القبائل من معاقلها دمرت وخربت ونشرت الفتنة، فلن يستطيع الفن النهوض ضمن جديد[5].

وقد شهدت بلاد المغرب في عهد يوسف بن تاشفين وأوائل عهد ابنه علي أمناً وطمأنينة واستقراراً لم تشهده في أي عصر سابق، وانتشر التأثير الفني الأندلسي في

---

(1)مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، ص. 38.

(2)حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، ص375.

(3) الإدريسي: المغرب وأرض السودان، ص69.

(4)المصدر نفسه، ص70.

(5)الإدريسي: مصدر سابق، ص69.

المدن المغربية، ولكن الحاضـرة مراكش كانت أشـد تأثراً بالفن بسـبب بلاط السـلطان وأبهته وفخامته، وبســـبب تنافس الأمراء والقواد والعمال ورجال الدولة[1]، فحفلت بالعمائر المدنية والدينية والعسكرية (الحربية)، كما أصبحت مدينة فاس من أهم مراكز الفن في المغرب في عهد المرابطين.

وثمة ناحية أخرى لا تقل عن الاستقرار أثرًا، ونقصد بها الرخاء الذي يؤدي إلى زيادة الإنتاج، وإلى رواج التجارة والصناعة، فتتوفر المادة الخام، ويتحصل صانع الفن على ما يجد حاجته منها بسهولة ويسر، كما يؤدي الرضا إلى زيادة دخل الدولة.

وبقدر ثراء الملوك والســـلاطين وتعاظم آثارهم، فقد ازداد ثراء المرابطين وعظم شـــأنهم، بعد أن جمعوا بين أموال الأندلس والمغرب، وأصـــبح من الميســـور أن ينفقوا أموالاً ضخمة في إنشاء المدن وإقامة الأسوار والقلاع والحصون والقصور والمساجد الجامعة..

وكان لولاة الأمر دور هام في تشـجيع البناء والتعمير فأمير المسـلمين يوسـف بن تاشـــفين بدأ نشـــاطه في التعمير والبناء ببناء عاصـــمته مراكش ســـنة (454هـ-1062م)، وواصل أمير المسلمين علي بن يوسف اهتمامه بالبناء كأنشائه لمسجد تلمسان والتوسعة في جامع القرويين[2].

وهنالك ناحية أخرى كانت لها نتائج بعيدة المدى في تاريخ العهد المرابطي، تتمثل فيما قامت به الدولة من إحياء تقاليد الإسـلام ورفع لواء السـنة، واتسـام الأمراء والولاة بالتقوى والصـــلاح، والإقبال على العبادة والانقطاع لذكر الله ســبحانه وتعالى. فكثرت العمارة الدينية في عهدهم، إذ لم يكثُروا من القصـــور المنيفة، إنما أقبلوا على المسـاجد وعمرونها ويكثرون منها، حيث أمر يوسـف بن تاشـفين ببناء المسـاجد في

(1)الجزنائي: زهرة الآس، ص57.

(2)إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ، ص239.

مدينة فاس، وكان يلوم أهلها على تقصيرهم في هذا الشأن[1]،كما بنى مسجداً جامعاً في مراكش[2]، وقد أدت التقاليد التي وضعها عبد الله بن ياسين إلى معاقبة تارك الصلاة، ومن بعده في عهد يوسف بن تاشفين، وإذا كانت الدولة تعاقب على ترك الصلاة، فلا بد أن الناس قد أقبلوا على المساجد إقبالاً منقطع النظير، ما رفع بالدولة إلى الإكثار منها.

إضافة إلى ذلك، فقد أقبل ملوك الطوائف على بناء القصور، وتأنقوا في زخرفتها وبنائها، بينما وجّه المرابطون عنايتهم إلى المساجد، فتأنقوا في بنائها ويعلون في صرحها. وقد تجلّت روائع الفن المغربي الأندلسي في جامع القرويين بفاس، الذي تم إصلاحه في عهد علي بن يوسف، وأنفق في ذلك نحو (ثمانين ألف دينار)[3]، وجلب خبرة الصناع المهرة والمهندسين حتى جاء في روعة الفن وبهرته.

ويتضح ذلك من قول صاحب كتاب *زهرة الآس*: "أخذ في عمل الطبقة التي بأعلى المحراب تلك الصنعة والنقش على المحراب ودوائر القبلة التي عليه، ونقش ذلك كله بورق الذهب واللازورد وأصناف الصبغة، وركب في الشماسات التي بجوانب القبة أشكالاً متقنة من أنواع الزجاج وألوانه على أحسن ما أريد، ثم أخذت تغشي بعض أبواب الجامع بصفائح النحاس الأصفر بالعمل المحكم والشكل المتقن"[4].

ويتجلّى ذلك الفن أيضاً في جامع تلمسان، الذي بني سنة (530هـ/1135م) في عهد الأمير علي بن يوسف، وظهرت فيه آثار الفن الأندلسي واضحة حتى شُبِّه بجامع قرطبة في الروعة والأبهة[5].

---

(1)الجزنائي: زهرة الآس، ص32.

(2) أشباح: تاريخ الأندلسي في عهد المرابطين والموحدين ج1، ص71.

(3)الجزنائي: زهرة الآس، ص42.

(4) الجزنائي: زهرة الآس،ص58، ابن القاضي: جذوة الاقتباس،ص42.

(5) السامرائي: علاقات المرابطين بالممالك الإسبانية، ص423.

وقد تأثر المرابطون بفن المدرسة الأندلسية في بنائها، كما تأثروا بالفن الإفريقي، وقد حصّنوا المدن كما حصّن أهل الأندلس. واضطر الأمير علي بن يوسف إلى أن يقيم أسواراً حول مراكش، واستخدم في بنائها صناعين من أهل الأندلس، ولم يهمل المرابطون القناطر والجسور؛ فأقاموا بمراكش قنطرة على نهر تانسيفت وجلبوا المياه من جبال الأطلس[1].

وقد كان المرابطون في أول أمرهم لا يحيطون المدن بأسوار، ويرون في ذلك ضعفاً عن الدفاع، ثم مالوا بعد أن أخذوا بالاعتبار واتصلوا بالأندلس وأدركوا فائدة الأسوار في الدفاع عن المدن، حتى تولى أمير المسلمين علي بن يوسف الحكم. وقيل إن القاضي الفقيه أبي الوليد بن رشد، قاضي قضاة الأندلس، هو من أشار عليه ببناء السور، حينما اشتد خطر المهدي بن تومرت على الدولة. فاستفتى أمير المسلمين فقهاء المغرب والأندلس فأفتوه ببناء السور لحماية نفسه وسكان عاصمته، فأمر الصناع والمهندسين في الحال ببناء السور، فاكتمل البناء في ثمانية أشهر، وبلغ جملة ما أنفق على السور ما يقرب من (سبعين ألف دينار من الذهب)[2]، وكله كان على الطراز الأندلسي، وكان ذلك سنة(520هـ/1126م).

وقد ابتكر المرابطون نظاماً جديداً في تخطيط الأسوار في الأندلس، وخاصة في عصر علي بن يوسف، فعمدوا إلى الإكثار من الزوايا الداخلية والخارجية بالسور بحيث يتخذ شكل خطوط متعرجة. وميزة هذا النظام أن كل جندي من أعدائهم يتقدم داخل إحدى الزوايا ثم يُدفع عليهم من أعلى الأسوار فيفتكون بهم[3].

---

(1) مجهول: الاستبصار، ص209، الإدريسي: المغرب وأرض السودان، ص69.

(2) ينظر ابن عذارى: البيان المغرب، ج4،ص73 ، مجهول:الحلل موشية،ص70-71-99، ابن أبي زرع: روض القرطاس،ص95.

(3) السيد عبد العزيز سالم: المساجد والقصور في الأندلس، ص 135-136.

وقد فرض المرابطون في عصر علي بن يوسف على أهل الأندلس ما يُسمى بضريبة التعتيب، وقد استخدموا عائدات هذه الضريبة في بناء الأسوار والمدن الرئيسة بالأندلس، مثل غرناطة والمرية وقرطبة وإشبيلية، وإصلاح ما تداعى منها.

ثم استحداث المدن[1]،وتوسيع القديم منها مثل مدينة فاس،ومكناسه وسلا[2]، وإحاطتها بالأسوار المنيعة، والمساجد[3]،والحمامات والقصور و مد الجسور.

كما اعتنى المرابطون منذ سنة (520هـ)[4]، بالتحصينات العسكرية، من بينها: الأسوار والحصون والقلاع للدفاع عن الدولة من الحركات السياسية المناهضة لهم، ومواصلة الجهاد في الأندلس ضد قوى النصارى، من بينها: حصن "جبل درن" وحصن "أمرجوا"، ويقوم الأخير على مرتفع من الأرض يشرف على وادي ورغة[5] المتفرع من وادي سبو جنوبي قلعة بني تأودا.

ومن أشهر الأسوار التي بنيت أو أعيد ترميمها في المغرب الأقصى: أسوار مراكش، وفي الأندلس أهمها المرية وقرطبة التي امتازت بأبراجها المستطيلة الضخمة والمتقاربة، وأسوار إشبيلية من جهة نهر الوادي الكبير وبنى المرابطون في المناطق الوعرة حصوناً بالحجر، وشحنوها بالجنود والمؤن، كي تصمد الحضارة مدة طويلة. ومن أشهر قلاع المرابطين في الأندلس قلعة (منتقوط)، التي تقع على بساتين مرسيه، وتسمى اليوم بالقصير، وهي تعود إلى عصر علي بن يوسف، وتمثل المرحلة المتقدمة

---

(1)ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص 140..

(2)المصدر نفسه، ص141.

(3)المصدر نفسه، ص141.

(4) وهي السنة التي أقدم فيها ألفونسو المحارب، ملك أرغون، على غزو الأندلس باستدعاء النصارى المعاهدين، وهي السنة نفسها التي شهدت حركة المهدي بو تومرت خالد حموم: غزوة ألفونسو المحارب الكبرى للأندلس(519-520هـ/1125-1126م)، مجلة الذخيرة للبحوث والدراسات الإسلامية، 2023م، مج7، ص 123-148.

(5)ابن خلدون: العبر ج2،ص223.

للفن الأندلسي في الثلث الأول من القرن الثاني عشر الميلادي[1]،ومن أشهر قلاع المرابطين في المغرب قلعة تاسغيموت، وهي من أعظم القلاع التي أسسوها في المغرب لمواجهة خطر الموحدين، وتقع على بعد ثلاثة كيلومترات جنوب شرق مراكش، وعلى بعد نحو عشرة كيلومترات شرق أغمات، على سطح ضبة أطرافها وعرة شديدة الانحراف، ويصعب على الغزاة ارتقاؤها، وتمتد أسوارها على حافة الهضبة نفسها[2]،وهي من أفضل أمثلة العمارة الحربية في المغرب في عصر المرابطين، ففي بناء هذه القلعة تداخلت التقاليد المحلية مع التأثيرات الأندلسية، التي تدفقت على المغرب الإسلامي في عهد علي بن يوسف، والتأثيرات الإسبانية المسيحية التي حملها النصارى المرتزقة في الجيش المرابطي، وتتجلى هذه التأثيرات المسيحية في "الأبراج المستديرة الشكل وفي السور الأمامي"[3].

كما شهد بناء الحمامات والفنادق، وخاصة في مدينة فاس[4]،وقد ظهر ذلك حين دخل يوسف بن تاشفين مدينة فاس فإنهُ أمر ببناء الحمامات حتى بلغ عددها في مدينة فاس عشرين حماماً[3]، كما جاء التأثير الأندلسي على فن العمارة المغربية في عهد المرابطين في شواهد كثيرة، مثل التاج المنقول إلى جامع الكُتبية في مراكش، الذي أشرف عليه في بنائه المهندس الأندلسي جبير، وهو ينافس في جماله سرقسطة، إضافة إلى التأثيرات الأندلسية في قصور محراب جامع تلمسان الذي تم بناؤه في عهد

(1)مانويل جوميت مورينيو: الفن الأندلسي الإسلامي في إسبانيا، ترجمة السيد عبد العزيز سالم، مؤسسة شباب الجامعة ، القاهرة، 1995م، ص333-334.

(2) إيناس حسني البهجي: تاريخ المغرب والأندلس في عصر المرابطين والموحدين حتى سقوط دولة بني الأحمر، الخرطوم: كلية الآداب، دار التعليم الجامعي، 2015م، ص236-237.

(3)السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب الكبير، ص764-765.

(4)السامرائي: علاقات المرابطين، ص423.

الأمير علي بن يوســـف، وأعمال النجارة في منبر [1]جامع الكتبية في مراكش، الذي صنع في قرطبة، ومنبر جامع القرويين، حيث يصفه السيد عبد العزيز سالم في كتابه "المغرب الكبير" بأنه من أجمل منابر الإســـلام، صـــنع في قرطبة بناءً على طلب الأمير المرابط علي بن يوسف سنة (538هـــ- 1143م)[2]، وغيره الكثير، نتيجة اســـتعانة أمراء المرابطين بعمال من الأندلس، ووضـــعوا بصـــماتهم الفنية على أهم المنجزات العمرانية في هذا العصر[3].

كما قام يوسـف بن تاشـفين بإحضـار المهندسـين وعمال البناء من الأندلس ليستعين بهم في حركة البناء التي قام بها في مدينة فاس[4]،كما قام يوسف بن تاشفين بإحضـار المهندسين وعمال البناء من الأندلس ليستعين بهم في حركة البناء التي قام بها في مدينة فاس، وذكر ابن أبي زرع: "أنه لما دخل يوسف بن تاشفين مدينة فاس، حصنها وأتقنها، وأمر بهدم الأسوار التي كانت تفصل بين المدينتين، عدوتي القرويين والأندلس، وردها مصراً واحداً، وأمر ببناء المساجد في أحوازها وأزقتها وشوارعها، وأي زقاق لم يجد فيه مسـجداً، عاقب أهله وأجهدهم على بناء مسـجد فيه، وبنى الحمامات والأرصفة، وأصلح أسواقها وهذّب بناءها.." [5]،لقد بين هذا النص الطريقة التي تعامل بها الأمير يوسف بن تاشفين مع مدينة فاس أثناء وصوله إليها.

---

(1) المنبر: لغة من قول نبر الشيء، أي وضع المنبر في جزء من المسجد، قال ابن النجار:" وطول منبر الرسول صلى الله عليه وسلم ذراعان وشـبر وثلاثة أصـبع، وعرضـه ذراع"، ينظر: محمد أبي بكر الرازي، مختار الصـحاح، مكتبة لبنان، بيروت، 1986م)، ص642؛ علي الجزنائي: زهرة الآس، ص42، السيد العزيز سالم: المغرب الكبير، ص675.

(2) البكري: المغرب، ص115.

(3)السـامرائي: علاقات المرابطين بالممالك الإسـبانية، ص423، عبد العزيز بن عبد الله: الفن المعماري بالمغرب والأندلس، والأخذ والعطاء، ندوة التراث الحضاري المشترك بين إسبانيا والمغرب، غرناطة: مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، 1992م، ص307.

(4)إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ، دار الرشاد الحديثة الدار، البيضاء،2000م، ص240.

(5)ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص141.

كما تميزت مباني المرابطين بالضـــخامة والقوة والاتســـاع مع الإقلال من الزخرفة، وهذا يتماشى مع المبدأ الديني الذي نشأوا عليه. ومن ثم بدأ عصر المرابطين عصـــرًا جديدًا في العمارة الدينية المغربية، إذ ظهرت مســـاجد فســـيحة ذات بلاطات عمودية على جدار القبلة، تماشـــيًا مع التقاليد الأندلســـية أكثر من التقاليد الإفريقية. فمسـجد تلمسـان، الذي أسـس سـنة (475هـ /1082م)، أقيم منذ وصـول المرابطين، وفي الوقت نفســه شُــيد قصــرهم القريب منه، الذي يتشــابه مع المســجد الكبير في قرطبة[1] بإطار محرابها والقبة التي تتقدمه.

فقد تمثلت روائع الفن المغربي الأندلسي في عصر المرابطين في الأبنية الدينية مثل جامع القرويين بفاس، وجامع تلمسان، وجامع الجزائر، فضـلاً عن قبة البارودیین في مراكش[2]، دار الوضوء للمصلين في جامع بن يوسف، وفي المنشآت المدينة مثل قنطرة تانسيفت تانسيفت[4] وقصور الأمراء والتحصينات العسكرية، وتشمل الأسوار والجســـور والقلاع. أما بخصـــوص الزخرفة المرابطية، فتنبعث منها نماذج تعكس أصـــولها المشـــتركة بين فنون الدولتين، المغرب والأندلس. فقد تأثر المرابطون بفنون الزخرفة الأندلســـية، وهكذا نرى المراوح النخيلية المعروفة الشـــبيهة بأوراق الأكاســـيا، والتي تُذكّر بزخارف قصـــر الجعفرية بســـرقســـطة[3]،وفي هذا الســـياق، أكد المؤرخ الفرنسي ليولولدو توريس عند حديثه عن الفن المرابطي أن علي بن تاشفين كان شغوفًا بالزخارف النباتية[4]و أدخلها في زخرفة المســـجد الجامع بتلمســـان وفَاقَ أدواره في المؤسسات المعمارية، مع أن يوسف نفسه كان من كبار البنّائين والمؤسسين، وإن كل ما أقامه من قصـــور ومســـاجد في مراكش زخرف بروائع الفن الأندلســـي، كما برزت

(1)السيد عبد العزيز سالم: المغرب الكبير، ص665.

(2)ليولولدو توريس: الفن المرابطي والموحدي، ترجمة: السيد غازي، دار المعارف، 1971، ص46.

(4) إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ: ص225.

(3)جورج مارسي: الفن الإسلامي، ص144-146.

(4)ليولولدو توريس: الفن المرابطي والموحدي، مرجع سابق، ص45.

التأثيرات الأندلسية في سور مراكش الذي شُيد في عهد الأمير علي بن يوسف، وكذلك الأبراج المستديرة الشكل في السور الأمامي والقلعة على شكل متعدد الأضلاع يميل إلى الاستطالة، وتدعم السور الخارجي أبراج نصف دائرية تقوم في زوايا السور[1]،كما كانت الحصون التي تُشيَّد بالحجارة والطوب ذات جدران سميكة وشاهقة، تتخللها أبراج نصف دائرية للمراقبة[2]، وبذلك يمكن القول إن المرابطين قد استقبلوا المؤثرات الأندلسية كما هي دون أن يطرأ عليها أي تغيير، وأن تبادل المؤثرات العلمية بين العدوَّتين انعكس في كثير من مظاهر البناء في جانب العدوة المغربية.

كما يتضح لنا، فإن التواصل المدني والحضاري والعلمي بين المغرب والأندلس استمر لقرون عديدة، ولا سيما في مجال المعمار، وهذا ما يدل على قوة الدولة وسيادتها. وتفصيلاً، فقد وجدت المؤثرات الأندلسية في المغرب قبولاً وعقلية قابلة للتطور والتجديد؛ فلم يقتصر الأمر على التقليد فقط، وإنما امتد إلى تفاعل وتراكم الخبرات والتجارب، بحيث أصبحت الثقافة الأندلسية وعلومها رافداً من روافد الثقافة والهوية المحلية. إذ لا تخلو مدينة مغربية من آثار وشواهد حضارية أندلسية تؤرخ لهذا التواصل الحضاري، وتسهم في صياغة جزء مهم من تاريخ المغرب الأقصى. ففي مدينة فاس، كما في الرباط ومراكش، نجد القصبات والأبنية والأفنية والنافورات والصوامع والأضرحة والحدائق تشبه إلى حد كبير مثيلاتها في الأندلس، في المرية وقرطبة وطليطلة، سواء في طريقة البناء أو المواد المستعملة، وبذلك تدل قلاع المرابطين وحصونهم على تأثرها بالفن العمارة الأندلسي[3]،ولهذا تشير الباحثة إلى أهمية العناية بهذا الموروث الحضاري وإيلائه المكانة التي يستحقها.

---

(1)السيد عبد العزيز سالم: المغرب الكبير، ص764.

(2)إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ، ص225.

(3)إيناس حسني البهجي: تاريخ المغرب عصر المرابطين والموحدين حتى سقوط دولة بني الأحمر، ص236-237.

المبحث الرابع:

أهمية دراسة العلوم الأندلسية من الجانب الحضاري في بلاد المغرب الأقصى

أنشأ العرب المسلمون في الأندلس بعد فتحها المدارس والمكتبات في كل مكان، وأقاموا في مدن البلاد المختلفة المؤسسات التعليمية للتعليم العالي، التي كانت توحدها مراكز الإشعاع العلمي في القارة الأوروبية لفترة من الزمن. وقد ساعد على كثرة الكتب ورواجها والاشتغال بها تجار الورق الموجودون في البلاد الأندلسية، ومن أشهرهم ورق شاطبة. وأصبح مدن الأندلس تنشر العلم والثقافة لكل من يطلبها، بغض النظر عن اختلاف الملل أو الأجناس، في نهل من معين العلم والثقافة آنذاك. ومن بين المدن الأندلسية التي اشتهرت كمراكز للعلوم والثقافة والفنون والأدب ما يلي

1-قرطبة:

بقيت قرطبة حاضرة العلم والثقافة في الأندلس مدة تزيد على ثلاثة قرون أو أكثر، وكانت خلالها أكثر مدن العالم قدماً ونوراً وعلمًا وحضارة، حيث شجّع ملوكها وحكامها العلم والاشتغال به، وقدموا له دعمًا ماديًا ومعنويًا، وحرصوا على دعوة العلماء من كل مكان، حتى غدت قصورهم أشبه بمجامع علمية، ومكتباتهم كأنها دور حكمة و علم[1].

إذ نافست مدينة قرطبة كمدينة للعلم والمعرفة بغداد والقاهرة والقيروان ودمشق، وأصبحت عاصمة الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس وغرب أوروبا، وانتشرت بها مدارس الفلسفة والطب والعلوم الأخرى، والفنون المختلفة، وأصبحت قبلة للأدباء والشعراء والعلماء يأتون إليها من كل مكان من العالم الإسلامي وغرب أوروبا للتعليم والبحث العلمي. وكان جامع قرطبة الكبير من أكبر معاهد العلم فيها، ويدرس فيه

(1)محمد كرد علي: الإسلام و الحضارة العربية، ط3 ، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة ،1968م،ص260

أبرز العلماء والفقهاء، وقد قام هذا المسجد برسالته كمركز للدراسات العلمية في الأندلس. وبرز في قرطبة عدد كبير من العلماء والأدباء والفلاسفة، منهم ابن حزم، وابن رشد، والطبيب أبو القاسم الزهراوي، وغيرهم الكثير الذين بدورهم نقلوا تراث المدرسة الأندلسية إلى المغربية[1].

2-إشبيلية:

اشتهرت المدينة بفنون الغناء والموسيقى والطرب، إلا أنها كانت مركزاً من مراكز العلم في الأندلس، وتحتل المرتبة الثانية بعد قرطبة فيما يتصل بالتعليم وحب اقتناء الكتب، فقد كانت غنية بمكتباتها، واشتهرت أيضاً بُسقا كتب الذي كان قائماً بها، وأصبح مهبط الأدباء بحثاً عن النسخ النادرة والطريفة[2].

ومن إشبيلية خرج عدد من أشهر علماء الأندلس في مختلف فروع العلم والمعرفة، نذكر منهم على سبيل المثال القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي الإشبيلي[3]و والطبيب العربي ابن زهر، صاحب كتاب *التسيير في المداواة والتدبير* الذي يعد من أعظم كتب الطب في العصور الوسطى، ومنهم جابر بن الأفلح الذي اشتهر في علم الفلك وألف كتاب *الهيئة* الذي تُرجِم إلى اللاتينية، واخترع بعض الآلات في علم الفلك[4].

3-غرناطة:

احتلت غرناطة مركزاً كبيراً بين مدن الأندلس، وكانت أكثر مدن الأندلس اهتماماً بالمكتبات بوصفها مركزاً للعلم والثقافة. وفي هذه المدينة وُجد أجمل المباني

---

(1)زيغريد **هونكه** .شمس العرب تسطع على الغرب.ط2، ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي، المكتب التجاري للطباعة، بيروت، 1969، ص. 499.

(2) خوليان ريبيرا: التربية الإسلامية في الاندلس،تح/ الطاهر أحمد مكي، دار المعارف ،القاهرة ،1981م ،ص219.

(3) ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، ص254.

(4)ابن أبي أصيبعه: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص254.

الإسـلامية في الأندلس، وهو "قصـر الحمراء"، الذي وصـفه بعض المؤرخين بأنه أحد مبتكرات عبقرية الإنسان العجيبة[1]،ومن غرناطة برز العديد من العلماء والأدباء الذين كانت إسـهاماتهم في مجالات العلوم المختلفة لها دور مهم في تقدم العلم، ومن ذكرهم على سـبيل المثال: الفيلسـوف الأندلسـي الكبير ابن باجة، والكاتب والمؤرخ والأديب والطبيب والوزير لسان الدين بن الخطيب، صاحب كتاب *الإحاطة في أخبار غرناطة*

إضافة إلى المراكز التي ذكرناها، فقد حفلت الأندلس بالعديد من المدن الأخرى التي كانت منارات للإشـعاع العلمي والثقافي، كمدينة بلنسـية التي كانت تعج بالمؤسـسـات العلمية والتعليمية والثقافية، كالمسـاجد والمكتبات ودكاكين الوراقين ومجالس العلم في قصـور الخلفاء والأمراء، واشـتهرت بها العديد من العلوم كالعلوم[2]الشـرعية وعلوم اللغة والأدب والعلوم التاريخية والعلوم التجريبية والفنون المختلفة، ومنها أيضـاً المرية ومالقه وبطليوس وسرقسطة ومرسيه وشاطبة، وغيرهم الكثير من المراكز العلمية التي تحفل بالعديد من العلماء والأدباء على اختلاف فئاتهم وطبقاتهم.

بعد هذا العرض الموجز لمراكز العلم بالأندلس، يمكننا القول إن المغرب الأقصى بعد تلاحمه مع الأندلسي يكون في المرتبة الأولى من ناحية الاستفادة علمياً وفنياً وحضـارياً، وكذلك سـياسـياً، إضـافة إلى رحلات العلماء والتواصـل بينهم ومد الجسـور التي كانت بين العدوتين. كما كان هناك تقاطر للصـناع والمهندسـين على مدن المغرب الإسـلامي كفاس وتلمسـان ومراكش وسـبتة، لذلك يمكن اعتبار عصـر المرابطين عصر الفن الأندلسي.

---

(1) جاك س.ريسـلر: الحضـارة العربية، ترجمة: غنيم عبدون، الدار المصـرية للتأليف والترجمة، القاهرة، د.ت، ص273.

(2) مفتاح محمد دياب: مقدمة في تاريخ العلوم والحضـارة الإسـلامية، دار الكتب الوطنية، بنغازي، 1992م، ص120-121.

سبق أن ذكرنا في الفصول السابقة أن تلاحم العدوتين كان لأسباب سياسية واقتصادية وجغرافية، حيث تأثرت بلاد الأندلس بالأحوال السياسية بصورة كبيرة، وذلك بسبب الهجرة القسرية نتيجة الاسترداد المسيحي لمدن الأندلس وتقسيم البلاد إلى دويلات ضعيفة، الأمر الذي أدى إلى هجرة العلماء إلى بلاد أكثر أمناً واستقراراً، فوجدوا في بلاد المغرب الملاذ الآمن، إضافة إلى تشجيع الساسة للعلماء للقدوم إلى بلادهم وتولّي المناصب في دولهم.

أم من الناحية الاقتصادية، فقد كان الفقهاء يتمتعون بحالة اقتصادية جيدة، فكان عاملاً مهماً في جذب العلماء والفقهاء إلى بلاد المغرب، لا سيما في عهد المرابطين، وذلك لغرض تولّي المناصب الدينية.

كما كان للمظاهر الجغرافية تأثير على العلاقات العلمية، ويتمثل ذلك في سهولة الانتقال والسكن سواء في الأندلس أو المغرب، فكان هناك تشابه كبير من حيث المناخ وطبيعة الأرض، زد على ذلك تخطيط المدن المغربية، فكانت أيضاً مشابهة للمدن الأندلسية، لا سيما مدينة فاس التي بناها مهندسون أندلسيون

ومن أهم التأثيرات العلمية المتبادلة بين الأندلس والمغرب الأقصى: بروز كثير من العلماء في علوم شتى كعلوم القرآن والفقه والحديث، حيث كانت الأندلس مركزاً رئيسياً للفكر الفقهي، وخصوصاً في مجال المذهب المالكي الذي كان سائداً في معظم مناطق المغرب، وان تقبَل أهل الصحراء المذهب المالكي منذ البداية وبسهولة، مما يفسر نجاح دعوة المرابطين واستمرارها في المنطقة. فاستفاد الفقهاء في المغرب من الاجتهادات الفقهية التي نشأت في الأندلس وطبقوا بعض القواعد الفقهية التي كانت قد تطورت هناك.

أما تأثير الفكر الفلسفي: فقد كانت الفلسفة الأندلسية التي تطورت في ظل مفكرين مثل ابن رشد وابن باجة مؤثرة في العالم الإسلامي والمغرب على وجه الخصوص، وكانت هذه الفلسفة تُعنَى بالعقل والمنطق وتطرح مفاهيم جديدة في تفسير

العلاقة بين الدين والعقل. فقام العلماء المغاربة مثل الفيلسوف ابن مسرة وابن طفيل بنقل هذه الأفكار إلى المغرب، حيث كانت هذه النظريات محل دراسة في المدارس العلمية، بينما لم يبرز إلا النادر في أصول الدين؛ وذلك لأنه لم يكن مقبولاً عند أمراء المغرب الإسلامي.

أما بالنسبة إلى علوم اللغة، فرواجها كان في اتجاه واحد وليس في اتجاهين، بمعنى أن ظهور اللغويين الأندلسيين كان أكثر من المغاربة. وتؤكد الأبحاث الحديثة أن المؤلفات والمصنفات كانت تُكتب بالحرف العربي في بلاد المغرب خلال المرحلة الوسيطة[1]،ولا تطلعنا المصادر المتوفرة على ظهور التأليف باللغة البربرية في الأندلس بشكل واضح وصريح إلا ا نادراً[2]،ويعود ذلك إلى المكانة التي حظيت بها اللغة العربية وانتشارها الواسع في عصر. المرابطين[3]حتى إنها أصبحت لغة التأليف والتصنيف للمغاربة في ميادين النثر والشعر، وذكر بعض الأئمة.

أن أهل المغرب أخذوا اللغة العربية من أهل الأندلس وأنهُ :(لم يتصدر من الفاسيين من يقرأ "الكتاب" كما هو متداول بين أهل الأندلس، بسبب رحلات علمائه إلى تلقيهم من أربابها بالمشرق)[4]، أما العلوم البحثية فلا وطن محدد لها، كأن يختص بها القليل من العلماء من العدوتين، وهي لم تكن من العلوم التي تجذب الطلاب مقارنة بعلوم الشريعة واللغة.

---

(1) بوتشيش: حلقات مفقودة من تاريخ الحضارة في المغرب الإسلامي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت ،2006م، ص56.

(2) **الحبيب الحاكمي**: الإسهام العلمي للبربر في الأندلس، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي، إشراف: عبد القادر بوقاية، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران، ص. 82.

(3) بغداد غربي: خطة الكتابة على عهد الموحدين، ص11.

(4)المقري: ازهار الرياض، ج1، ص244.

وبالنظر إلى أن بلاد المغرب والأندلس أصبحتا وحدة سياسية واحدة، فإن ذلك فرض على علماء بلاد المغرب أن يؤدوا الأدوار نفسها التي أداها نظراؤهم من بلاد الأندلس، حيث استطاعوا نشر مصنفاتهم العلمية وتراث بلدهم الأندلس، فأسهموا بذلك في إثراء الحركة العلمية بالمغرب والأندلس. وتظهر الجوانب الإيجابية للتوجه الفكري للمرابطين في فتح المجال أمام العلماء والأدباء وغيرهم من أهل الأندلس الذين استقروا ببلاد المغرب، فأثر ذلك في الحياة العلمية بالبلاد. وبالرغم من أن الأندلس لها الفضل الكبير في ازدهار التبادل العلمي بين العدوتين، فإننا لا يمكن أن ننكر إقبال طلاب المغرب على العلم، حتى أصبح الأندلس بمجالسها العلمية ومشيختها الواسعة مقصد الرحلة عند شيوخ المغرب وطلابه، بل إن أهل المغرب قد نافسوا الأندلسيين في هذا المجال، حتى ذاع صيت كثير من علمائه في سماء الأندلس، كالقاضي عياض الحصبي الذي أصبح مقصد الأندلسيين من طلبة العلم.

ومن خلال تتبع كتب التراجم، نجد أن أعلام بلاد المغرب الذين دخلوا الأندلس للدراسة وفدوا من حواضر عدة ومراكز علمية كبرى، وذلك لأن مدارس المغرب تفوّقت تفوقاً واضحاً في عصر المرابطين[1]، من أهم هذه المراكز مدرسة فاس التي بلغت في عهد المرابطين مبلغاً لم تألفه مدينة من مدن المغرب[1]،حيث كان لمدينة فاس في إشعاعها الحضاري وأثرها الثقافي في عصر المرابطين تمثّل المدينة الأهم في المنطقة المحيطة بها، ومنه إلى منطقة الأندلس التي كانت تصل بها مختلف الصلات في هذا العهد، وذلك لوجود جامع القرويين الذي أسسته السيدة فاطمة الفهري في القرن الثالث الهجري، والذي أصبح ملتقى ومنتدى لعدد كبير من رجال العلم، وصار بفضلهم مركزاً للاسترشاد. ثم تحول بعد ذلك إلى مركز ومؤسسة للتعليم ذات العلاقة بأصول الفقه وقواعد اللغة، إضافة إلى بعض العلوم التي لا يُستغنى عنها في الحياة العامة.

---

(1)حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص431.

(2) على الجزنائي: زهرة الآس، ص33.

وبذلك أصـــبح جامع القرويين جامعة علمية من أهم المراكز المهمة التي كان لها أثر كبير في تطوير الثقافة والعلوم الإسـلامية في بلاد المغرب العربي، وأصـبحت شـهرته تنافس المراكز العلمية الأخرى كالزيتونة بالقيروان، والجامع الأموي بدمشق وغيرهما[1].

وبالإضافة إلى جامعة القرويين في فاس، أسس أمراء المرابطين في عاصمتهم الجديدة مراكش عدداً من المؤســســـات التعليمية التي دعت إليها حاجة الدولة من الأطباء والمهندسين وغيرهم، وكان من هذه المؤسسات الجامع الكبير الذي بناه يوسف بن تاشـفين في مراكش وجلب له العديد من العلماء الأندلسـيين للتدريس فيه، وهذا ما يفسـر أهمية المدرسـة الأندلسـية في نشـر التعليم بالعدوة المغربية، ويعزز دور بقية المؤسـسـات الأخرى في المغرب الأقصـى ونشـر العلم والثقافة، مثل جامع القرويين بفاس وجامعة سبتة ذات الاتجاه الأندلسي[2].

ومن أوجـه الثقافـة في بلاد المغرب، اتخذ المرابطون من اللغـة العربيـة اللغـة الرسمية لإدارة الدولة في جميع المناطق التابعة لهم، واعتنوا باستقدام المؤلفين من أهل الأدب والفصـــاحة في الأندلس إلى المغرب. وكان لذلك تأثير كبير في تعريب منطقة المغرب الأقصى، التي تأخرت عملية تعريبها بسبب غلبة العنصر الأمازيغي وطابعها القروي والفلاحي. فلم تكن اللغة العربية في المغرب لغة رسمية قبل المرابطين، وكانت جهودهم في توحيد المغرب والأندلس وتعريب المنطقة ســبباً في أن أصـــبح المغرب مركزاً مهماً للعلوم والحضارة خلال القرون التي تلت ذلك العصر.

وكان للعناية التي أولها الأمير يوسـف بن تاشـفين بوظيفة الكتابة واسـتجلاب الكُتَّاب من الأندلس إلى المغرب، وتطوير ديوان الرســائل، أثر كبير في إفراز العديد من الأدباء، من بينهم القاضـــي عياض، مفخرة المغرب، الذي ســبق ذكره. كما برز واشـتهر أيضـاً علماء من المرابطين، من بينهم ابن تِقسوط الصـنهاجي، الذي كان من

---

(1) مفتاح محمد دياب: مقدمة في تاريخ العلوم والحضارة الإسلامية، ص111.

(2)عثمان الكعاك: محاضرات في مراكز الثقافة في المغرب،ص113.

أعلام دانية، وخلوف بن خلف الله الصـــنهاجي، الذي سُـــمِع ببراعته في قرطبة وولي القضاء غرناطة[1].

وقد أقبل الأمراء والنبلاء على الثقافة والعلم كما أقبل عليها عامة الملثمين، مثل المنصـور بن محمد بن داود بن عمر الصـنهاجي اللمتوني، الذي سـمع بقرطبة عن أبي محمد بن اعتاب وأبي بحر الأسدي، وبمرسيّهم عن أبي علي الصفدي. ومع أنّهم من رؤساء المتون وأمرائها، فقد برعوا في معرفة الأخبار والسنن والآثار، وصحبوا العلماء للسـماع، بل نافسـوا الدواوين والأصـول العتيقة، وجمعوا ما لا يجمعه أحد من أهل زمانه[2].

وتتلمذ الأمير عمر بن معْتَز الصـــنهاجي، أمير المريّة، على يد الشـــيخ أبي علي الصفدي، وبلغ من علمه أن سُمّي بالفقيه القائد[3]،وأخذ الأمير أبو إسحاق إبراهيم بن يوســـف بن تـاشـــفين على نفس العـالم أبي علي الصـــفدي أثنـاء إمـارتـه على مرســيّه[4]،وأخذ الأمير ميمون بني ياســين الصــنهاجي اللمتوني عن شــيوخ المريّة، وحدث النسـاب الأندلسـي وسـمع منه النسـاب في إشـبيلية. إشـبيلية[5]،بينما نجد أمير المسـلمين علي بن يوسـف اسـتجاز لهُ عبد الله الخولاني جميع رواياته على ضـعف إسـنادها، وبرع الأمير أبو بكر سـير الصـنهاجي في العلم حتى تبحّر فيه، فلمّا توفي كُتب على شاهد قبره، هذا قبر الشيخ الفقيه الخطيب الحاج أبي بكر الصنهاجي[6].

ونخلصُ القولَ إلى أنّ المغرب الأقصى خلال حكم المرابطين (القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي) قد استفاد من الأندلس استفادةً كبيرة عبر جوانب سياسية واقتصادية وثقافية متعددة؛ منها التوسع السياسي والعسكري، والنمو الاقتصادي،

---

(1)ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ص84.

(2) ابن الابار: التكملة، ج1، ص163.

(3)المصدر نفسه ،ص269.

(4) المصدر نفسه، ص40.

(5)عبدالملك المراكشي: الذيل والتكملة، ج2، ص406

(6)حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص439.

والتبادل الثقافي والعلمي، والتطور العمراني .وقد ازدان المغرب بهذا التطور والتنوع، الأمر الذي جعله يستحوذ على اهتمام الدارسين والمهندسين على مرّ الأجيال.

وبوجهٍ إجمالي، فقد استفاد المغرب خلال حكم المرابطين من الأندلس في مجالات متعدّدة، الأمر الذي ساعد في تعزيز موقعهم السياسي والاقتصادي والثقافي في العالم الإسلامي .وبذلك كانت المدرسة الأندلسية ذات أهمية بالغة في صياغة الجانب الحضاري لعديد من العلوم في بلاد المغرب الإسلامي.

الخاتمـــة

حاولت هذه الدراسة البحث في أحوال التعليم والأثر العلمي الأندلسي في بلاد المغرب الأقصـــى في عصـــر المرابطين خلال القرنين الخامس والســـادس الهجريين، الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين، والذي انعكس على جوانب علمية وحضارية عدة.

وأظهرت الدراسة النتائج الآتية:

1- تبين من الدراسـة أن ما قام به عبد الله بن ياسـين هو حدث أراد به تغيير الأفكار والمفاهيم التي كانت سـائدة آنذاك، واسـتطاع ان يقضـي على قوة الشـر في قبائل لمتونه وجزوله وغيرها وان يوحدها على منهج الإسلام وعقيدة الايمان.

2- غرس عبدالله بن ياســين في نفوس اتباعه حب الجهاد والشــهادة واختار لأتباعه اســـماً يدل على الرابطة الســـامية التي ربطت هذه الجموع التي كانت متناحرة وأصبحت متآخية متعاونة الا وهو (المرابطون).

3- يُعتبر ضـــم الأندلس الى الدولة المرابطية من أعظم اعمال الأمير يوســـف بن تاشفين الجهادية.

4- الحضـارة الإسـلامية في زمن دولة المرابطين امتزجت بالعناصـر العربية والافريقية والاندلســية، مما جعلها مميزة من الناحية الحضــارية و جعل الأندلســيون يُثروا المغرب في كثير من جوانبه المعمارية والفنية والثقافية.

5- ظهور حركة علمية نشــطة جمعت بلاد المغرب بالأندلس حيث نبغ في عصــر المرابطين عدد من العلمـاء والفقهـاء لازال أثرهم واضـــح الى يومنـا هذا أمثال القاضـي عياض والوليد بن رشد.

6- اتخذ المرابطون من اللغة العربية اللغة الرســـمية لإدارة الدولة في جميع المناطق التابعة لها، واعتنوا باسـتقدام المؤلفين من أهل الأدب والفصـاحة في الأندلس الى

المغرب، فكان لذلك تأثيرهُ في تعريب لهجة بلاد المغرب التي غلب عليها اللسان الأمازيغي، فلم تكن اللغة العربية في المغرب لغةً رسمية قبل المرابطين.

7- توصلت الدراسة إلى أن علماء الأندلس هم أول من وضعوا البذور الأولى الخاصة بالاشتغال بعلم القراءات وتدريسه في بلاد المغرب الأقصى خلال الحكم المرابطي، ويرجع الفضل في ذلك إلى الإمام أحمد بن علي من أهل قرطبة المعروف بـ (ابن البيدش) والذي يُعد كتابه (الطرق المتداولة) من أهم الكتب في علم القراءات المتبحرة في هذا العلم وابن البيدش هو أول من درّس هذا العلم بمراكش.

8- كان الارتباط الوثيق بين عدوتي المغرب والأندلس قد أهَّل بلاد المغرب لأن يكون لها دورٌ بارز في المجال العلمي، فظهر منهم من أثرى الحياة العلمية في ميدان الكتابة والتأليف، أمثال ابن خاقان، والصيرفي، وابن عبدون، ومحمد بن سليمان الكُلاعي المعروف بابن القصيرة، وغيرهم.

9- دخول العديد من الكتب الاندلسية الى المؤسسات العلمية كان لها اثرها العلمي في بلاد المغرب الأقصى وخاصة مراكش حاضرة الدولة المرابطية وفاس،ومن بين أهم هذه الكتب والمصنفات كتاب (التفسير)لابي محمد بن عطية الغرناطي الذي تداوله أهل المغرب بالدراسة والتحصيل ،وكتاب (البيان والتحصيل) لابن رشد الجد الذي يُعد من أمهات الكتب في الفقه المالكي ،والذي كان فقهاء المالكية في المغرب الإسلامي يحفظونه عن ظهر قلب ،وكذلك كتب الطب (زُهر بن عبدالملك) الذي كان ذا قيمة كبيرة ،وكان لها أثر في تطور علم الطب وازدهاره في بلاد المغرب ،ولأهمية هذه الكتب أمر امير المسلمين علي بن تاشفين بأن تجمع كتبه وتنسخ في سائر بلاد المغرب.

10-فن الموشحات الأندلسية فن أندلسي أصيل أنتقل الى بلاد المغرب في عصر الدولة المرابطية، ومازالت أثاره باقية في كل بلاد المغرب كلها الى اليوم ويعرف في ليبيا بفن المالوف والموشحات.

11-تمتّعت المرأة بمكانة مرموقة في مجتمع المرابطين، وأصبح لها نفوذٌ واضح في الدولة. وقد حرص وُلاة الأمر على رعايتها وتعليمها، حتى وصلت إلى مراكز كبيرة في بلاط الدولة، وتغنّى بفضائلها الشعراء. ومن أمثلة ذلك: عزيزة بنت محمد بن نُمَيل، وحفصة بنت قاضي مراكش موسى بن حمّاد، التي كانت قارئة وكاتبة، وعلى معرفة واسعة بعلوم أبيها.

12-أوضحت الدراسة دور الدولة المرابطية في تهيئة وتوفير الأجواء المناسبة لمباشرة أبناء مختلف طبقات المجتمع للعلم بما فيهم العامة.

13-بيّنت الدراسة أن القصر المرابطي لم يكن يخلو من العلماء الأندلسيين الذين استقدمهم أمراء الدولة، وقد استعان الأمراء المرابطون بعدد من العلماء والادباء الأندلسيين في وظائف الوزارة أو ما يقوم مقامها مثل: الكتابة، والمشورة العليا، والسفارة، ومن ابرز هؤلاء ابوبكر محمد المعافري(ت543هـ) وأبو القاسم الإشبيلي(ت515هـ)،وابن عبدون(ت520هـ)،وأبو مروان عبدالملك بن محمد ابن زهر(ت470هـ)،وأبو علي الحسن الصدفي(514هـ)،وعليه فإن استقطاب العلماء الأندلسيين وإشراكهم في شؤون الحكم يعكس وعي الدولة المرابطية بأهمية العلم في إدارة الدولة كما يؤكد عمق الروابط العلمية والسياسية بين المغرب والأندلس.

14-أظهرت الدراسة أن العدوة المغربية لم تكن فقيرة فكرياً ولا أدبياً؛ بل تفوّقت على نظيرتها الأندلسية في بعض العلوم، ولا سيما في علم الفقه. ولهذا نجد العدوتين في حالة من التأثير المتبادل في مختلف مجالات العلوم، غير أن التأثير العلمي الأندلسي على بلاد المغرب كان الأكثر شيوعاً، خصوصاً في مجالات الطب والأدب واللغة.

15-بيّنت الدراسة أن عصر المرابطين لم يكن عصر المصادرات الفكرية كما يشاع عنه؛ فلم يحدث فيه سوى مصادرة واحدة، وهي مصادرة كتب الغزالي، ولم يكن ذلك اضطهاداً لهذه المؤلفات بقدر ما كان بدافع الخوف على الإسلام السُّنّي البسيط الذي اعتنقه المرابطون منذ البداية.

16-تَصدَّر الفقهاء والعلماء الهرم السياسي في الدولة، وجاء ذلك نتيجة للمكانة العلمية الرفيعة التي كانوا يتمتعون بها، مما جعلهم موضع عناية الخاصة والعامة ومحط تقدير الجميع.

17- أصبح التعليم الطريق المستهدف للوصول إلى المناصب الإدارية المهمّة في الدولتين، ولذلك أقبل الكثير من الطلاب على التعلّم رغبةً منهم في الوصول إلى المناصب الإدارية والدينية. وعلى الرغم من فضل الأندلس الكبير في ازدهار التبادل العلمي بين العدوتين، فإن إقبال طلاب المغرب على طلب العلم نافس الطلاب الأندلسيين في هذا المجال، حتى ظهر في المغرب كثيرٌ من العلماء الذين صار لهم وزنٌ في بلاد الأندلس، مثل القاضي عياض اليحصبي، الذي أصبح مقصداً للأندلسيين من طلبة العلم.

18-كما اتّضح من الدراسة أن عصر دولة المرابطين في المغرب والأندلس قد حقّق نجاحاتٍ بارزة في الفنّ المعماري؛ إذ عكست الفنون المعمارية الوافدة من الأندلس إبداعاً واضحاً في البناء الحربي والمدني والديني، مما يدلّ على أن التأثير لم يكن علمياً فحسب، بل حضارياً شاملاً طال مختلف جوانب الحياة

19-ومن خلال النتائج التي أظهرتها الدراسة، نخلُص إلى أن المدرسة الأندلسية كان لها الفضل في رفع مستوى المجتمع في العدوة المغربية وتطويره، وفي الوقت ذاته كان للمجتمع في بلاد المغرب دورٌ في تقبّل هذا التغيّر، وما كان لهذا أن يتمّ إلّا بفضل جهود أمراء دولة المرابطين.

وبناء على ما توصلت إليه الرسالة من نتائج تؤكد عمق التأثير الأندلسي في التكوين العلمي على بلاد المغرب الأقصى، وتوصي الباحثة بما يلي:

1- إعداد دراسات علمية متخصصة حول أعلام أندلسيين كان لهم تأثير مباشر في تكوين المدرسة المغربية، من خلال تتبع سيرتهم وتحليل مؤلفاتهم ومناهجهم التعليمية.

2- تحليل تطور المؤسسات التعليمية المغربية التي تأثرت بالأندلس، كالكتاتيب والمدارس والزوايا.

3- دراسة مقارنه بين المناهج العلمية الأندلسية والمغربية في علوم اللغة والفقه والقراءات والفلك والرياضيات لإبراز نقاط الالتقاء والتمايز.

4- فتح دراسات تاريخية تتناول دور العامة والمرأة في نشر العلم داخل المجتمع المغربي وتأثرها بالمدرسة الأندلسية.

5- بحث الدور الحضاري للعمارة الأندلسية في المغرب من حيث ارتباطها بوظائف تعليمية وثقافية، وليس فقط بجانبها الفني والجمالي.

وتفيد هذه الاتجاهات في استكمال جوانب الموضوع التي لم تتناول بعد، بما يسهم في بلورة رؤية متكاملة حول أثر المدرسة الأندلسية في بناء الهوية العلمية المغربية عبر العصور.

وأخيراً، تتطلع الباحثةُ إلى أن تكون هذه الدراسة فاتحةً لآفاقٍ جديدة من الدراسات والأبحاث حول فضل الأندلس العلمي على بلاد المغرب في عهد المرابطين، وإسهاماً جادّاً في المحافظة على تراثنا الحضاري.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم

أولا: المصادر:

- ابن **الأبار**: محمد بن عبدالله بن أبي بكر، (ت659هـ/1260م).

1- معجم أصحاب القاضي أبي علي الصدفي، ط1، مكتبة الثقافة الدينية مصر، 2000م.

2- التكملة لكتاب الصلة، ط1، تح /عبد السلام الهراس لبنان، دار الفكر للطباعة،1995م.

3- الحلةالسيراء، ط2، تح/حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، 1985 م.

4- تحفة القادم، ط1، علّق عليه، إحسان عباس دار الغرب الاسلامي

- ابن الأثير: عزالدين آبي الحسن علي (ت 630هـ/1232م)،

5- الكامل في التاريخ، تح/عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت ،2016.

- الإدريسي: محمد بن محمد بن عبد الله(ت558هـ/1162م).

6- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1989م.

- ابن أُصيبعه: أبو العباس أحمد بن القاسم الخزرجي(ت668هـ/1270م)

7- عيون الإنباء في طبقات الأطباء، شرح وتحقيق/نزار رضا، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت، د.ت.

- الأنصاري: شمس الدين أبي عبد الله محمد أبي طالب، (ت727هـ/1326م).

8- نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، نشر: الأكاديمية الإمبراطورية)، 1865م.

- الباجي: سليمان بن خلف: (ت474هـ/1081م).

9- المنهاج في ترتيب الحجاج، تح/عبد المجيد تركي، دار المغرب الإسلامي، بيروت،1987م.

- ابن بشكوال: أبوا لقاسم خلف (578هـ/1182م).

10- الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، 1966م.

- البكري: أبو عبيدا لله بن عبد العزيز، (ت487 هـ/1094م).

11- المسالك والممالك، تح/ أدريان فان فيري، ليُوفن واندري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992م.

12- المُغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي.

- ابن الزقاق البلنسي: أبو الحسن علي بن عطية بن مطرف (ت 528هـ/1133م).

13 - ديوان ابن الزقاق البلنسي، تح/ عفيفة محمود ديراني، دار الثقافة بيروت، 1964 م.

- التطيلي: احمد بن عبد الله الأعمى، (ت525هـ/1130م).

14- ديوان الأعمى التطيلي، تح/ محي الدين ديب، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان، 2014م.

- التنبكتي، أحمد بابا، (ت 1036هـ/1626م).

15- نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ط2، تح/عبدالله الهرامة، منشورات دار الكتاب، طرابلس 2000م.

- الجرجاني: علي بن محمد الشريف، (ت1413/816م)

16 - التعريفات، مكتبة لبنان، بيروت، 1985م.

- الجز نائي: علي، (ت بعد عام 766هـ/1364م).
17- جني زهرة الأس في بناء مدينة فاس، ط2، تح/عبد الوهاب ابن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، 1991م.
- ابن حوقل: أبو القاسم محمد النصيبي، (ت 367هـ/977م)
18- المسالك والممالك، ليدن المحروسة، 1873م.
- الحميري: محمد بن عبد المنعم، (ت 900هـ/1494م).
19- الروض المعطار في خبر الأقطار، ط2، تح/إحسان عباس، مكتبة لبنان بيروت، 1975م.
- ابن خاقان: الفتح بن محمد، (529هـ/1134م).
20- مطمح الأنفس في مُلح أهل الأندلس، مؤسسة الرسالة، بيروت 1983م.
- ابن الخطيب: أبو عبد الله محمد لسان الدين السلماني، (776هـ/1374م).
21- الإحاطة في أخبار غرناطة، ط6، تح/محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1977م.
22- أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، ط2 تح/ ليفي بروفنسال، دار المكشوف، بيروت، 1956م.
23- معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، تح/محمد كمال شبانه، مكتبة الثقافة الدينية، 2002م.
- الخفاجي: أحمد شهاب الدين، (عاش في القرن الحادي عشر الهجري).
24- نسيم الرياضي في شرح الشفا للقاضي عياض، دار الفكر، بيروت، د. ت.
- ابن خلدون: ولي الدين عبد الرحمن بن محمد (ت 808هـ/1405م).
25- المقدمة، دار الفكر العربي، بيروت، 1979م.

26- كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت،1981م.

- ابن خلكان: شمس الدين أبوا لعباس احمد، (681هـ/1282م).

27- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح/ إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1977.

- الداني: عثمان بن سعيد، (ت444هـ/1052م).

28- التيسير في القراءات السبع، تح/ اوتوبرتزل، دار الكتب العلمية، بيروت 1996م.

- ابن دحيه: عمر بن الحسن، (633هـ/1235مـ).

29- المطرب من أشعار أهل المغرب تح/إبراهيم الابياري وآخرون، بيروت، د.ت

- ابن أبي دينار: محمد أبي القاسم القيرواني، (ت 1092هـ/1681م)

30- المؤنس في أخبار افريقية وتونس، ط4، مطبعة الدولة التونسية، تونس، 1986.

- الذهبي: الحافظ شمس الدين أحمد، (ت748هـ/1347م).

31- سير أعلام النبلاء، تح /محمد الشبراوي، دار الحديث، القاهرة، 2006م.

- ابن أبي زرع: علي بن أبي زرع الفاسي، (ت 710هـ/1310م).

32- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، ط1، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م.

- ابن زهر: أبو مروان عبد الملك (ت 557هـ/1161م).

33- التيسير في المداواة والتدبير، ط1، تح/ ميشيل خوري، دار

الفكر، دمشق، 1983م.
- الزهري: محمد بن أبي بكر، (ت: في أواسط القرن السادس الهجري).
34- كتاب الجغرافيا، تحقيق محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، د.ت.
- الزيري: عبد الله، (ت483هـ/1090م).
35- كتاب التبيان، نشر وتح/ ليفي بروفنسال، دار المعارف، مصر.
- السبتي: محمد القاسم الأنصاري، (ت511هـ/1117م).
36- اختصار الأخبار عما كان بثغر سبته من سني الآثار، ط2، تح /عبد الوهاب بن منصور، الرباط، 1983م.
- ابن سعيد: علي بن موسى، (ت673هـ/1274م).
37- المُغرب في حلي المغرب، تح/ شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة،1995م.
- السملالي: العباس بن إبراهيم، (ت959هـ/1551م).
38- الإعلام بمن حل مراكش واغمات من الإعلام، راجعه عبد الوهاب منصور، المطبعة الملكية، الرباط،1993م.
- السيوطي: الحافظ جلال الدين عبد الرحمن، (ت 911هـ/1505م).
39- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تح/محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية للطباعة، بيروت، د.ت.
40- طبقات المفسرين، ط1، تح/علي محمد عمر، الناشر مكتبة وهبة، مطبعة الحضارة العربية، الفجالة،1976م
- **الشنتريني**: علي بن بسام، (ت542هـ1147م).
41- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح/إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1979 م
- شيزري: عبد الرحمن بن نصر، (ت590 هـ/1193م).

42- نهاية الرتبة في طلب الحســـبة، مطبعة التأليف والترجمة والنشـــر، القاهرة، 1946 م.

- الصقلي: محمد بن حيون، (ت363هـ/ 974م).

43- الجمان في أخبار الزمان، دار الأندلس للطباعة، بيروت،1996م.

- الضبي: أبن عميرة، (ت 605هـ/1208م).

44- بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تح/ إبراهيم الابياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت،1989م.

- ابن عبدون: عبد الله محمد بن احمد التجيبي(ت527هـ/1132م).

45- رســـالة في الحســـبة، تح/فاطمة الإدريســـي، دار ابن حزم للطباعة والنشـــر والتوزيع، 2009م.

- ابن عذارى، أحمد بن محمد المراكشي، (ت712هـ/1312م).

46- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ط1، تح/إحسـان عباسـي، بيروت، 1967م.

- عياض: محمد بن عياض اليحصبي السبتي.

47- التعريف بالقاضـي عياض، ط2، تح/محمد بن شـريفة، وزارة الأوقاف والشـؤون الإسلامية بالمملكة المغربية، الرباط، 1982م.

- الغرناطي: أحمد بن إبراهيم بن الزبير، (ت708هـ/1308م).

48- صـلة الصـلة: تح/عبد السـلام الهراس وسـعيد أعراب، وزارة الأوقاف والشـؤون الإسلامية الرباط، 1994م.

- القاضي عياض: أبو الفضل بن موسى اليحصبي (ت 467هـ/1074م).

49- ترتيب المدارك وتقريب المســـالك لمعرفة أعلام مذهب مالك تح/أحمد بكير محمود، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت

- القلقشندي: أبو العباس أحمد، (ت 821هـ/1409م) .
50- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، مطبعة وزارة الثقافة ن القاهرة ،1963م.
- ابن قنفد: احمد بن علي بن الخطيب(ت809هـ/1406م).
51- الوفيات: تح/عادل نويهض، دار الأفاق الجديدة، بيروت، 1980م.
- القونوي: قاسم بن عبدالله، (ت978هـ/1570م)
52- أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء، تح/أحمد بن عبد الرزاق الكبيسي، نشر دار الوفاء، السعودية، 1986م.
- المالكي: أبو بكر عبدالله بن محمد، (ت 474 هـ/1081م).
53- رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، مكتبة النهضة المصرية، تح/بشير البكوش، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان ،1994م.
- الماوردي: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت450هـ/1008م).
54- الأحكام السلطانية والولايات الدينية، دار الكتب العلمية، بيروت ،1978.
- مجهول: (لمؤلف اندلسي من اهل القرن الثامن الهجري)
55- الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تح/سهيل زكار وعبدو عبد القادر زمامه، دار الإرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1979 م.
- المراكشي: محمد بن محمد بن عبد الملك، (ت703هـ/1303م).
56- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تح/محمد بن شريفة، دار الثقافة، بيروت،1965م.
- المراكشي: عبد الواحد بن علي، (640هـ/1242م).
57- المعجب في تلخيص أخبار المغرب تح/محمد سعيد العريان لجنة أحياء التراث الإسلامي، القاهرة، مصر، د.ت.

- الزجالي: عبيد الله بن أحمد(694هـ/1295م).

58- أمثال العوام، تح/محمد بن شـــريفة، مطبعة محمد الخامس، الدار البيضاء، 1975م

- المقري: شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني، (ت1041هـ/ 1631م).

59- ازهار الرياض في أخبار عياض، تح/مصـطفى السـقا وإبراهيم الابياري وعبد الحفيظ شلبي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة،1939م.

60- المصباح المنير، دراسة وتح/يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، د.ت.

61- نفح الطيب في غصـــن الأندلس الرطيب، تح/إحســـان عباس، دار صـــادر، بيروت،1968م.

- المقريزي: تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي، (ت 845هـ/1441م).

62- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار تح/خليل المنصور دار الكتب العلمية، بيروت،1998م.

- المقدسي: شمس الدين أبو عبد الله، (ت 375هـ/985م).

63- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط3 مكتبة مدبولي، القاهرة،1991م.

- الصدفي: الطاهر بن محمد بن طاهر، (عاش وتوفي في القرن السادس الهجري).

64- الســـر المصـــون فيما أكرم به المخلصـــون تح/حليمة فرحات، (بيروت: دار الغرب الإسلامي)،1998م

- النباهي: علي بن عبدالله المالقي، (ت792هـ/1389م).

65- تاريخ قضاة الأندلس، دار الكتب العلمية بيروت،2006م.

66- المرقبة العليا فيمن يســـتحق القضـــاء والفتيا، ط5، تح/ لجنة إحياء التراث العربي، منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت،1983.

- النويري شهاب الدين احمد، (ت733هـ/1332م).

67- **نهاية** الإرب في فنون الأدب، تح/حســين نصـــار، الهيئة المصـــرية العامة للكتاب، القاهرة ،1983م.

- ياقوت الحموي: أبو عبد الله شهاب الدين (ت 626هـ/1228م).
68- معجم البلدان، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، 1957م.

ثانياً: المراجع العربية:

- إبراهيم: رجب عبد الجواد.
69- معجم علماء اللغة والنحو في الأندلس من الفتح إلى سقوط غرناطة، دار الأفاق العربية، القاهرة،2004م.
- إسماعيل: محمود.
70- المهمشون في التاريخ الإسلامي، دار رؤية، القاهرة، 2004م،
- أدهم: على.
71- بعض مؤرخي الإسلام، مكتبة النهضة، مصر، د. ت.
- بدر: احمد.
72- مؤسسات التعليم عند المرابطين والموحدين، المجمع المالكي للبحوث والحضارة الإسلامية، عمان،1989م.
- البهجي: إيناس حسني.
73- تاريخ المغرب والأندلس في عصر المرابطين والموحدين وحتى سقوط دولة بني الأحمر، كلية الأدب دار التعليم الجامعي، الخرطوم، 2015م.
- التادلى: بو يعقوب يوسف.
74- التشوف إلى رجال التصوف، نشره وصححه أدولف فور، الرباط، 1958م.
- بن تاويت: محمد.
75- الوافي بالأدب العربي في المغرب الأقصى، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1982م.

76- تاريخ سبته، دار الثقافة، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الدار البيضاء، 1982م.

- بن جبير: عبد الرحمن.

77- ابن خفاجة الأندلسي، منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت، 1981م.

- الجراري: عباس.

78- قضـــايا مرابطيه في منظور بعض المســتشــرقين، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، مراكش، 1993م.

- الجنان: مأمون بن محي الدين.

79- أبو حيان الأندلسي ومنهجه التفسيري، دار الكتب العلمية، بيروت، 1993م.

- حجي: عبد الرحمن علي.

80- التاريخ الأندلســـي من الفتح الإســـلامي حتى ســـقوط غرناطة، (92-897هـ/711- 1492م)، دار القلم، دمشق، بيروت، 1981م.

- حركات: إبراهيم.

81- المغرب عبر التاريخ، الدار البيضاء، 1965م.

- حسن: احمد عبد المنعم.

82- التاريخ الســياســي والحضــاري للمغرب والأندلس في عصــر المرابطين، دار المعرفة، الاسكندرية، 1997م.

- حسن: علي حسن.

83- التعليم بالمغرب الأقصـــى في عهد المرابطين والموحدين، مطبعة الجامعة، القاهرة، 1974م.

84- الحضـــارة الإســـلامية في المغرب والأندلس في عصـــر المرابطين، مكتبة الخانجي، مصر، 1980م.

- خالص: صلاح.

85- إشبيلية في القرن الخامس الهجري، (دراسة أدبية تاريخية) نشوء دولة بني عباد في اشبيلية وتطور الحياة الأدبية فيها (414- 461هـ)، دار الثقافة، بيروت، د.ت.

- دندش: عصمت.

86- الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988م.

87- دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب أفريقيا، دار الغرب. الإسلامي، بيروت، 1988م.

88- أضواء جديدة على المرابطين، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1988م.

- دياب: مفتاح محمد.

89- مقدمة في تاريخ العلوم والحضارة الإسلامية، دار الكتب الوطنية، بنغازي، 1992م.

- الزر كلي: خير الدين محمود محمد.

90- الأعلام، ط15، دار العلم للملايين، 2002م.

- زروق: محمد.

91- الأندلسيون وهجرتهم إلى المغرب، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء)، 1998م.

- زعرور: إبراهيم محمود.

92- اليهود في الأندلس والمغرب خلال العصور الوسطى، دار المستقبل، دمشق، 1999م.

- الزهراني: علي بن محمد.

93- الحياة العلمية في صقلية الإسلامية (212- 484هـ/826- 1191م)، معهد البحوث العلمية وأحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، 1999م.

- زيادة: نقولا.

94- صانعوا الحضارة الإسلامية، الكويت، 2002م.

- زباديه: عبد القادر.

95- الحضارة العربية والتأثير الأوربي في أفريقيا العربية جنوب الصحراء، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989م.

- السائح: الحسن.

96- دفاعاً عن الثقافة المغربية، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1968م.

- سالم: السيد عبد العزيز.

97- المغرب الكبير، دار النهضة العربية بيروت، 1981م.

- أبو سعد: عبد السلام محمد.

98- التفسير الفقهي عند أبي عطية: كلية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس،2003م.

- السلاوي: أحمد بن خالد.

99- الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى، دار الكتب العلمية، بيروت ،1971م.

- السامرائي: خليل إبراهيم.

100- علاقات المرابطين بالممالك الإسلامية بالأندلس، منشورات وزارة الثقافة، العراق، 1985م.

- شعيب: عبد الواحد عبد السلام.

101- دور المرابطين في الجهاد بالأندلس، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية، طرابلس،1990م.

102- القاضي عياض مؤرخ المغرب، مطابع الشيوخ، جميعه الدعوة الإسلامية، طرابلس، 2000م.

- شقور: عبد السلام.

103- القاضي عياض الأديب، دار الأمل، طنجة، 1983م.

- الشكعة: مصطفى.

104- الأئمة الأربعة، دار الكتاب المصري، القاهرة،1991م.

- شلبي: احمد.

105- تاريخ التربية الإسلامية، ط4، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة،1973 م.

- الصلابي: علي محمد.

106- فقه التمكين عند دولة المرابطين، مؤسسة اقرأ، القاهرة،2006م.

107- الجوهر الثمين بمعرفة دولة المرابطين، دار النشـــر والتوزيع الإســـلامية، القاهرة،2003م.

- ضيف: شوقي.

108- الحضارة الإسلامية، دار الفرقان، عمان،2003م.

109- تاريخ الأدب العربي عصـــر الدول والإمارات بالأندلس، دار المعارف، مصر ،1989م.

- طه: جمال أحمد.

110- مدينة فاس في عصــري المرابطين والموحدين، دار الوفاء للطباعة والنشــر، الاسكندرية، 2001م.

- الطيبي: أمين توفيق.

111- دراســات في تاريخ ســبته الإســلامية، منشــورات جمعية الدعوة الإســلامية، طرابلس،1990م.

- العبادي: أحمد مختار.

112- دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت،1977م.

113- في التاريخ العباسي والأندلسي، كلية الآداب الإسكندرية ،1968م.

- عبد الجواد: حسن علي.

114- الحياة الإدارية والاقتصــادية والاجتماعية في المغرب كلية دار العلوم- قســم التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية،1973م.

- عبد الحليم: رجب محمد.

115- دولة بني صـــالح في تامســـنا بالمغرب الأقصـــى (125- 455/743- 1063م)، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الفجالة، د.ت

- عبد العزيز: محمد عادل.

116- الجذور الأندلسية في الثقافة المغربية، مكتبة نور، القاهرة،2007م.

- عبد المنعم: حمدي.

117- التاريخ السـياسـي والحضـاري للمغرب والأندلس في عصـر المرابطين، دار المعرفة الجامعية، مصر،1997م.

- العبيدي: إبراهيم.

118- تاريخ التربية في تونس، الشركة التونسية للتوزيع تونس، د.ت.

- إسماعيل: عثمان عثمان.

119- تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1993م.

- علي: محمد كرد.

120- الإســـلام والحضـــارة العربية، ط3، معهد البحوث والدراســـات العربية، القاهرة،1968م.

- عنان: محمد عبد الله.

121- دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي، ط2، القاهرة، ،1969م.

122- تراجم إسلامية، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة،1970م.

123- دولة الإسلام في الأندلس عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة،1990م

- عيسى: محمد عبد الحميد.

124- تاريخ التعليم في الأندلس، دار الفكر العربي، بيروت،1982.

- غزلان: عبد الوهاب عبد المجيد.

125- البيان في مباحث علوم القرآن، دار التأليف القاهرة، د.ت.

50- غنيم: كارم السيد.

126- ملامح من حضـــاراتنا العلمية وإعلامها المســـلمين، الزهراء للأعلام العربي، القاهرة،1989م.

51- الفاسي: أبو العباس أحمد بن محمد الإدريسي.

127- البحر المديد في تفســـير القرآن المجيد، ط2، دار الكتب العالمية، بيروت ،2002م.

128- الحضارة الإسلامية في المغرب، ط2 ،دار الثقافة، الدار البيضاء،1986م.

129- حلقات مفقودة من تاريخ الحضـــارة في المغرب الإســـلامي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت،l2006.

- فروح: عمر.

130- تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين، 1982م.

- أبو الفضل: محمد.

131- شرف الأندلس في العصر الإسلامي (515- 686هـ/ 1121- 1287م)، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1996م.

- القطان: مناع.

132- مباحث في علوم القرآن، ط13، مكتبة وهبة، القاهرة،2004م.

- الكتاني: يوسف.

133- مدرسة الإمام البخاري في المغرب، دار لسان العرب،بيروت، د. ت.

- الكعاك: عثمان.

134- مراكز الثقافة في بلاد المغرب، القاهرة، جامعة الدول العربية، 1958م.

- كنون: عبد الله.

135- مدخل إلى تاريخ المغرب كريما دبســـن، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، 1958م

136- النبوغ المغربي في الأدب العربي، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1960م.

- مؤنس: حسين.

137- الثغر الأعلى الأندلسي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة،1992م.

- محمود: حسن أحمد.

138- قيام دولة المرابطين، دار النهضة للنشر، بيروت،1957م.

- مراد: إبراهيم.

139- المُعرب الصـــوفي عند العلماء المغاربة، ليبيا، تونس، الدار البيضـــاء للكتاب،1978م.

- المزروع: وفاء عبد الله.

140- جهاد المســـلمين ودفاعاتهم خلف جبل البرتات، من القرن الأول إلى القرن الخامس الهجري، مكتبة دار القاهرة، القاهرة ،2011م.

141- جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصـــادية والدينية والعلمية في المغرب الإســـلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار المعرب للونشـــريســـي، مركز الإسكندرية للكتاب، الاسكندرية، 1997

- النجار: عبد المجيد عمر.

142- فقه التحضر الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1999م.

- الهرفي: سلامه محمد سلمان

143- دولة المرابطين في عهد على بن يوسف، دار الندوة، مكة،1985م.

ثالثا: المراجع الأجنبية المترجمة:

- اشباخ: يوسف

144- تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ط2، ترجمة محمد عبد الله عنان، مؤسسة الخانجي، القاهرة، 1958 م.

- أو ليري: دي لأسي.

145- الفكر العربي ومركزة في التاريخ، ترجمة: إسماعيل البيطار، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982م.

- بالنثيا: اجيل جنثالث.

146- تاريخ الفكر الاندلسي، ترجمة /حسين مؤنس، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ،1955م.

- ريبيرا: خوليان.

147- التربية الإسلامية في الأندلس، ط2، تح/طارق مكي، دار المعارف، القاهرة، 1994م.

- ريسلر: جاك س.

148- الحضارة العربية، ترجمة: غنيم عبدون، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، د.ت.

- ليفي: بروفنسال.

149- الإسلام في المغرب والأندلس، ترجمة د. السيد عبد العزيز سالم والأستاذ محمد صلاح، النهضة، بيروت،1965م

150- حضارة الغرب في الأندلس، ترجمة، قرقوط، بيروت، د.ت.

- مارسيه: جورج.

151- الفن الإسلامي، ترجمة عفيف بهنسي، منشورات وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد والقومي، دمشق،1968م.

152- بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشـرق الإسـلامي في العصـور الوسـطى، ترجمة محمود عبد الصمد هيكل، منشأة المعارف الإسكندرية، 1991م

- مورينيو: مانويل جوميت.

153- الفن الأندلس الإسلامي في أسبانيا، ترجمة، السيد عبد العزيز سالم مؤسسة شباب الجامعة، القاهرة،1995م.

- هونكه: زيغريد.

154- شـمس العرب تسـطع على الغرب، ترجمة، فاروق بيضـون وكمال دسـوقي، المكتب التجاري للطباعة، بيروت، 1969م.

رابعا: الدوريات:

- بوتشيش: إبراهيم القادري.

155- مواقف العلماء الأندلسيين من التحديات الصليبية بالأندلس إبان عصر ملوك الطوائف، اتحاد المؤرخين العرب- الأمانة العامة، ال عدد60 ،2001م

- البوزيدي: أحمد.

156- مؤسـسـة الزوايا بوادي درعه، ق10و11هـ/16و17م، بين الإشـعاع العلمي والانتشار الصوفي" مجلة أمل، عدد19.

- حاجيات: عبد الحميد.

157- المرابطون ودورهم في تاريخ المغرب وحضـــارته، مجلة التاريخ في العدد الخاص بالصحراء الغربية، مركز الأبحاث التاريخية، الجزائر،1979م

- خرماش: محمد

158- دور المراكز التقليدية في الإشعاع الثقافي بالمغرب مجلة الحضارة الإسلامية، العـدد الثـاني، المعهـد الوطني العـالي للحضـــارة الإســـلاميـة، وهران، الجزائر،1969م.

- الدباغ: محمد عبد العزيز.

159- جامع الأندلس بفاس، مجلة دعوة الحق، المغرب، ال عدد53، 1962م

- دندنش: عصمت.

160- معاهد العلم والتعليم بالأندلس في عهد المرابطين، مجلة دعوة الحق، عدد 258، أغسطس،1968م.

- زمامه: عبد القادر.

161- العقلية القرآنية ومظاهرها الاجتماعية والفكرية في المغرب، مجلة دعوة الحق عدد 7، السنة 12، جوان 1968م.

- العبادي: أحمد مختار.

162- الصفحات الأولى من تاريخ المرابطين، مجلة كلية الآداب، بغداد، العدد 21، سنة 1967م.

163- دراسة حول كتاب الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية وأهمية في تاريخ المرابطين والموحدين، مجلة تطوان المغرب الأقصى عدد: رقم5، 1960م.

- عدة: الشيخ.

164- جهود الفقيه عبد الله بن ياسين في تكوين العصبة الدينية للمرابطين، مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية، كلية الآداب والعلوم.

العكيك: على.

165- القاضي عياض من خلال كتاب الشفا، مجلة كلية الشريعة، نشر جامعة القرويين- كلية الشريعة، العدد20، المغرب،1995م.

- علي: نبيل .

166- الثقافة العربية وعصر المعلومات (رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي)، سلسلة عالم المعرفة، رقم،276، الكويت،2001م.

الفاسي: محمد.

167- عبد الله بن ياسين وانتشار الإسلام بأفريقيا، المجلة الإسلامية العدد 12، المغرب الأقصى،1982م.

الكتماني: عبد العزيز.

168- دور الجامعة اليوسفية في تأسيس ثقافة مغربية خلال العهد المرابطي مراكش، حوليات كلية اللغة العربية، ع3 ،1994 م.

-مكي: محمود علي.

169- وثائق تاريخية جديدة في عصر المرابطين، مجلة معهد الدارسات الإسلامية، مدريد، مج 7، 1959م.

المنوني: محمد.

170- حضارة وادي درعه من خلال النصوص والآثار، مجلة دعوة الحق، السنة الثامنة عشر، العدد الثاني المغرب الأقصى، 1973م.

خامسا: الندوات والرسائل العلمية:

- إبراهيم: احمد زكي بن حاج

171- العلماء في الدولة الإسلامية بالأندلس وأثرهم في السياسة والحضارة عصر الامارة، رسالة ماجستير، جامعة، كلية دار العلوم، القاهرة،1405 هـ/1985م.

- باجو: مصطفى بن صالح.

172- أبو يعقوب الو رجلاني وفكرة الأصولي مقارنة بابي حامد الغزالي، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير، معهد الشريعة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية،1413هـ/1993م.

- بغداد: غربي.

173- خطة الكتابة على عهد الموحدين، رسالة ماجستير، جامعة وهران، -2007 2006م.

- بالغيث: محمد الأمين.
- 174 الحياة الفكرية بالأندلس في عصـــر المرابطين، رســـالة دكتوراه، جامعة الجزائر،1424هـ/2003م.
- جراده: غازي سعيد.
175- الحياة الاقتصـادية والاجتماعية في العصـر المرابطي بالمغرب، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط،1982م.
حاج عبد القادر يخلف.
176- الإســـهام الفكري للبربر في الأندلس من العهد العامري إلى نهاية الوجود المرابطي (371- 539هـ/981- 1144م) رســالة ماجســتير، قســم التاريخ، جامعة وهران،2008- 2009م.
الحاكمي: الحبيب.
177- الإسهام العلمي للبربر في الاندلس، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسـلامي، كلية العلوم الإنسانية والحضـارة الإسـلامية قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران،2013- 2014م
- الصالحين: أمينة.
178- الصـــلات العلمية بين عدوتي الأندلس والمغرب زمن المرابطين رســـالة ماجستير غير منشورة، أكاديمية الدراسات العليا، جنزور،2007م.
- عبد الله:محمد محمود.
179- الأثر السياسي للعلماء في عصر المرابطين، رسالة ماجستير مكة المكرمة، جامعة أم القرى،1418هـ/1997م).
- بن عبد الله: عبد العزيز.
180- الفن المعماري بالمغرب والأندلس، ندوة التراث الحضـــاري المشـــترك بين اسبانيا والمغرب، غرناطة، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، 1992م.

- بوعامر: مريم.

181- الهجرة الأندلسية إلي للمغرب الأدنى ودورها في الازدهار الحضاري ما بين (7 - 9 هـ / 13 - 15 م)، رسالة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، العلوم الإسلامية والعلوم الاجتماعية قسم التاريخ والآثار، تلمسان، (1930هـ- 1431هـ / 2009م- 2010م).

- القادري: إبراهيم بوتشيش.

182- علم النجوم والفلك وتوقعات المستقبل ببلاد المغرب خلال عصري المرابطين والموحدين 6 – 7هـ ضمن أعمال الندوة التكريمة، الجمعية المغربية للبحث التاريخي، المغرب،2005م.

- يخلف: حاج عبد القادر.

183- الإسهام الفكري للبربر في الأندلس في عصر العامري إلى نهاية الوجود المرابطي (371هـ- 539م/ 981م- 1144م) رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة وهران،2009- 2008م.

سادسا: المعاجم:

- ابن أبي بكر: عبد الرحمن.

184- معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، تح/ محمد إبراهيم، مكتبة الآداب، القاهرة، 2004م.

- الرازي: محمد بن بكر.

185- مختار الصحاح، تح/محمود خاطر، مكتبة لبنان، بيروت، 1995 م.

- ابن زكريا: أبو الحسين بن فارس.

186- معجم مقاييس اللغة، تح/عبد السلام محمد هارون دار الفكر للطباعة، 1979م.

- ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمد.

187- لسان العرب، ط3، دار صادر، بيروت، 1994م.

الملاحـــــــق

أ – الوثائق.

ب – جداول الكُتَّاب والقضاة.

ج – الخرائط.

الملحق رقم (1) كتاب الخليفة العباسي ليوسف بن تاشفين[1]

وعلىٰ هـذا الأُسلوب كتب أمينُ الدين أبُو سعيد، العَلاَءُ بن وَهْب بن مُوصَلايَا عن القائم بأمر الله عهدَ أمير المسلمين يُوسفَ بن تاشفين، بسلْطنة الأندَلُس و بلادِ المغرب، بعد العشرين والأربعمائة، فيما رأيتُه فى ترَسُّل آبن مُوصَلايا المذكور .

وهذه نسختُه بعد البسملة الشريفة :

هـذا ماعَهِد عبدُ الله و وَلِيُّه، عبـدُ الله القائمُ بأمر الله أميرُ المؤمنين، إلىٰ فلان حينَ آنتهىٰ إليه ماهُو عليه من آدِّراع جَلاَبيب الرَّشاد، فى الإصْـدار والإيراد، وآتِّباع سَنَن من أبدىٰ وأعاد، فيما يجْمَـع خيْرَ العاجِلة والمعَاد، والتخصيص من حَميد الأنْحاء والمَذاهب، بمـا يستَمِدّ منه أصنافَ الآلاء والمَواهب، والتحَلِّى من السَّداد الكامل، بمـا فازَ فيه بامتطاء الغاربِ من الجمـال والكاهِل، واتضح ماهو مستبت به من صِحَّة الدِّين واليَقين، والمُواظبة من آكتِساب رضا الله تعالىٰ علىٰ ماهو أقْوىٰ الظَّهير والمُعين، فى ضِمْن ماطَوىٰ عليه ضُلُوعَه، وأدَام لَهَجَه به وولُوعه : من مُوالاةٍ لأمير المؤمنين يَدِينُ الله تعالىٰ بهـا، ويرجُو النجاةَ من كل مَخُوف بآستحكام سَعْيها، ومشايعةٍ لدوْلتـه ساوىٰ فيها بين ماأظْهَر وأَسَرّ، وأمَّل فى آجتِناء ثمرها كلَّ ما أبْهَج وسَرّ، فوَلاّه الصَّلاةَ بأعمال المَغْرب، والمعاونَ، والأحْداث، والخرَاج، والضِّياع، والأعْشار، والجَهْبذة[1]، والصَّدقات، والجَوَالِى، وسائرِ وجُوه الجِبَايات، والعَرْض، والعَطاء، والنَّفقةَ فى الأولياء، والمَظَالِم، وأسواقَ الرقيق، والعيارَ فى دُور الضَّرْب، والطِّرَز، والحِسْبة، ببلاد كذا وكذا : سكُونًا إلىٰ آستقلاله بأعْباء ماآستكْفاه إيَّاه، وآستقباله النعمةَ عليه فى ذٰلك بكلِّ مايَنْشُر ذِكْره و يُطيب رَيَّاه، وثِقةً بكونه للصَّنيعة أهلا، و بأفْياء الطاعة الإماميَّـة مستَظِلّا، وتَوْفِرةً علىٰ مايزيدُه بحضرة أمير المؤمنين حُظْوة تُرَدّ باعَ الخطوب عنه قَصيرا، وتَمُدّ مقاصِدَه من التوفيق بما يَضْحىٰ له فى كلِّ حالةٍ نصـيرا، وعِلْما بمـا فى آصْطناعه من مصلحةٍ تَسْتنير أهِلَّتُها، وتستَثير من شُـبه الغىّ شواهِدُها وأدلَّتُها، والله تعالىٰ يَصل مَرامِىَ أمير المؤمنين بالإصابَة، ويُعينه علىٰ ما يُقِرّ كلَّ آمرئ فى حقِّه ويُحِـلُّه نِصابه، ويُحْسِن له الخَطْرةَ فى كلِّ ما يَغْـدو له مُمْضيا، ولمَطَايا الآجتهادِ فى فعله مُنْضيا، وما توفيقُ أمير المؤمنيـن إلَّا بالله، عليه يتوكل و إليه يُنيب .

(1) القلقشندي: صبح الأعشى، ص30-31.

الملحق (2) كتاب يوسف بن تاشفين للرعية بالعدوتين يأمرهم بأن يدعوه بأمير المسلمين وناصر الدين [1]

سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

أما بعد : حمدا لله ، أهل الحمد والشكر ، ميسر اليسر ، وواهب النصر ؛ والصلاة على محمد المبعوث بنور الفرقان والذكر ، وانا كتبناه اليكم من حضرتنا العلية بمراكش حرسها الله ، فى منتصف محرم سنة ست وستين وأربعمائة ، وانه لما من الله علينا (46) بالفتح الجسيم ، وأسبغ علينا من أنعمه الظاهرة والباطنة ، برود النعيم ؛ وهدانا وهداكم الى شريعة نبينا محمد المصطفى الكريم ، صلى الله عليه وعلى آله أفضل الصلاة وأتم التسليم ، رأينا أن نخصص أنفسنا بهذا الاسم ، لنمتاز به عن سائر أمراء القبائل . وهو « أمير المسلمين وناصر الدين » فمن خاطب الحضرة العلية السامية ، فليخاطبها بهذا الاسم ان شاء الله تعالى ، والله ولى العدل بمنه وكرمه ، والسلام .

(1) مؤلف مجهول : الحلل الموشية ، ص29–30.

ملحق رقم (3)

رسالة من ابن العريف إلى ابن قسي زعيم الثورة في غرب الأندلس ضد المرابطين

«بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على محمد نبيه الكريم. سلام عليكم ورحمة الله وبركاته. كتبته عن صلاح ظاهر، وعافية شاملة لي ولأهلي ولإخواني والحمد لله رب العالمين. ووقفت من قبل قريبي أحمد سلمه الله عند منصرفه من تلك الجهة على عدة كراريس في فنون من العلم كتب فيها بعض كلامك وأجوبتك، فسرني تمام فهمك ونفوذ عزمك وإشرافاً من علم الحقيقة على أنها كتاب متشابهه يصدق بعض لبعض. فالحمد لله الذي أبلغني عن أهل وقتي ما كنت أومله وإني منذ ست وعشرين سنة سألت رجلاً من أهل القرآن والحفظ للموطأ[1] والسياحة كيف بأهل الانقطاع في العلم قال غلب عليهم الاجتهاد والعمل، وقل عندهم العلم والبحث. فقلت واحسرتي، ثم هأنا يبلغني عن أناس بالمشرق والمغرب في وقتنا من نكث العلم ما يسرني من كان في حقائق العلم همه وغمه ومن أشد ما يمسني بعد معرفتي بحالها وحال إخواني لما في رؤية أحوالكم ومعرفتي بها من يقظة قلبي وحياة ليلي فأعلمه والسلام عليكم وعلى كل واحد ممن تحبه ويحبك مرداداً ورحمة الله وبركاته».

المصدر: ابن العريف: **مفتاح السعادة وتحقيق الإرادة**. (مخطوط)
C.C رقم ١٥٦٢ ص ١٩٣ ـ ١٩٤.

---

(١) في الأصل كتبت هكذا الموطى.

ملحق رقم (4)

رسالة من الأمير علي بن يوسف
إلى المستظهر بالله العباسي[1]

خص الله حضرة الإمام المستظهر بالله أبي العباس أمير المؤمنين بأفكار الحسنات، وأنوار المساعي الصالحات، وحشر إليها وفود الخيرات وصرف[2] دونها عيون الحادثات، كتب ولي الدولة العباسية المقتدر بسيرتها الفاضلة المرضية وهو بحمد الله جلت أسماؤه حمداً موصول الأسباب، ممدود الأطناب، ونسأله[3] الصلاة على محمد رسوله المنتخب اللباب من أكرم الأنساب، وأن يختص حضرة أمير المؤمنين سليل الخلائف بصفايا العوارق والموالف اللطائف ويجمع على الأقران بحقها، والاعتراف بفضلها كلمة المخالف والمخالف، وعقيدة المناجف والموالف عن أوفى عهد وأقوى عقد في التمسك بعلائق طاعتها، والتقليد بقلائد[4] إمامتها بعد أن وصل إليه كتابها العزيز مضمنه من متراسمها العالية ومواكبها الزاكية عهود ألزموها رسوماً وحداداً، وأقامها في عضد أمره جنوداً، ونشر منها الوية للفخر وبنوداً، على أنه ما زال يحمل مشايعتها ومبايعتها معتصماً وبعلامة إمامتها وخلافتها معلماً ولأحكام ملتها[5] العادلة متقلداً ملتزماً وفي مجاهدة أعداء الدين وحماية أرجاء المسلمين مجتهداً معتزاً ما يشيد بالدعاء لها على منابر بلاده ويعظم أمرها ويفخم فوزها وذكرها في أوقات انفراده واحتشاده ويجعل تقوى الله تعالى نصب اعتقاده وعرض اعتماده، ويتخذ من كتابه المبين، وسنة رسوله الأمين دليل هدايته وإرشاده ويستفرغ في قطع المظالم ومنع المحارم وسع قدرته واجتهاده، وعلى هذه البصيرة والوتيرة درج من درج من آبائه وأجداده والأحوال بحمد الله بجنباته مستقيمة، والأعمال في جميع جهاته سليمة، والأحكام بمراعاته على مركز الحق ومقر العدل مقيمة،

---

(١) هو الخليفة العباسي المستظهر بالله الخليفة ٢٨ من الخلفاء العباسيين تولى الحكم فيما بين ٤٨٧: و ٥١٢ هـ) وهو الذي قلد يوسف بن تاشفين وابنه علي الإمارة على المغرب والأندلس.

(٢) في الأصل: وطرف لكننا استحسنا مصطلح حرف تمشيا مع المعنى.

(٣) كتبت في الأصل هكذا: نسئله.

(٤) في الأصل: لقلائد.

(٥) في الأصل: منتها.

ملحق رقم (5)

١ — ملوك المرابطين

يحيى بن إبراهيم الجدالى
يحيى بن عمر اللمتونى } قبل سنة ٤٤٧ = ١٠٥٥

١ — أبو بكر بن عمر اللمتونى (توفى سنة ٤٨٠) ... ٤٤٨ = ١٠٥٦

٢ — يوسف بن تاشفين ... ... ٤٨٠ = ١٠٧٨

٣ — على بن يوسف ... ... ٥٠٠ = ١١٠٦

٤ — تاشفين بن على (توفى سنة ٥٤٠) ... ... ٥٣٧ = ١١٤٢

٥ — إبرهيم بن تاشفين بن على ... ... ٥٤٠ = ١١٤٥

٦ — إسحق بن على بن يوسف (توفى سنة ٥٤١) ... ٥٤٠ = ١١٤٥

يحيى بن غانية (آخر ولاة المرابطين بالأندلس توفى سنة ٥٤٣) .

ملحق (6)

عمال المرابطين بالأندلس

قرطبة	أشبيلية	غرناطة
أبو محمد تاشفين بن سليمان	ابراهيم بن يوسف بن تاشفين	ابو بكر بن ابراهيم
الزبير بن عمر للمثم	أبو بكر بن علي بن يوسف	أبو بكر بن ابى محمد
أبو محمد عبد الله بن جنون	أبو بكر بن مزدلى	أبو بكر بن علي بن يوسف
أبو عبد الله المعروف بأبن عواد	الأمير باسنجور	تاشفين بن علي
		تميم بن يوسف بن تاشفين
أبو محمد عبد الله بن مزدلى	تميم بن يوسف بن تاشفين	الزبير بن عمر
أبو عبد الله بن نوتان	أبو جعفر عمر	سير بن الحاج
أبو عبد الله محمد بن أبي زنفى	سير بن أبي بكر	أبو محمد عبد العزيز بن يليان
أبو عبدالله محمد بن الحاج داود	طلحة بن العنبر	عبد بن مزدلى
أبو محمد مزدلى بن سلنكان	عبد الله بن أبي بكر بن جنونه	عثمان بن بدر اللمتونى
المنصور بن محمد بن الحاج	أبو محمد عبد الله بن فاطمة	على بن الحاج بن محيون
أبو زكريا يحي بن تاشفين	عثمان بن عمر	على بن يوسف بن تاشفين
	المنصور بن محمد بن الحاج	موسى بن الحاج
	أبو زكريا يحي بن على بن مجون	مزدلى بن سلنكان
	أبو زكريا يحي بن اسحق انجبار	-
	يحي بن سير	يحي بن واسينو
	أبو يعقوب بن على	

تابع عمال المرابطين بالأندلس

مرسية	بلنسية	سرقسطة
إبراهيم بن تاعياشت	إبراهيم بن تاعياشت	أبو بكر بن ابراهيم بن تيفلويت
أبو بكر بن تيفلويت	أبو بكر بن ابراهيم بن تيفلويت	أبو عبد الله محمد بن الحاج
أبو عبد الله محمد بن تاشفين	أبو الطاهر تميم بن يوسف	
أبو زكريا يحي بن غانية	عبد الله بن فاطمة	
أبو عبد الله بدر بن ورقاء	علي بن محيون	
أبو عبد الله يبنتان بن علي	أبو عبد الله محمد بن الحاج مزدلي بن سلنكان	
	أبو زكريا يحي بن تاسورة	
	أبو زكريا يحي بن علي بدر بن ورقاء	
	أبو يعقوب بن يبنتان بن علي	

ملحق (7)

الكتاب الوزراء

١ — أبو بكر بن الصائغ .

٢ — أبو بكر محمد بن محمد المعروف بابن القبطرنة .

٣ — أحمد بن أبي جعفر بن محمد بن عطية القضاعي .

٤ — أبو جعفر أحمد بن عطية القضاعي.

٥ — ابن باجة (أبو بكر).

٦ — جعفر بن إبراهيم بن أحمد المعافري .

٧ — أبو جعفر بن البني .

٨ — أبو الحسن غلام البكري .

٩ — طلحة بن عبد العزيز بن سعيد البطليوس .

١٠ — عبد الرحمن بن أحمد بن إبراهيم .

١١ — عبد الرحمن بن أسبط .

١٢ — عبد الرحمن بن جعفر بن إبراهيم بن أحمد المعافري .

١٣ — أبو عبد الله بن أبي الخصال .

١٤ — أبو محمد عبد المجيد بن عبدون الفهري اليابري .

١٥ — عبد الملك بن أبي الخصال مسعود بن فرح بن خاصة الغافقي .

١٦ — أبو القاسم بن الجد المعروف بالأحدب .

١٧ — مالك بن وهيب .

١٨ — محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن السقاط .

١٩ — ومحمد بن سليمان الكلاعي المعروف بابن القصيرة .

٢٠ — محمد بن عبد الملك بن عبد العزيز .

٢١ — يحيى بن محمد بن يوسف الأنصاري ، أبو بكر ابن الصيرفي .

٢٢ — يحيى بن هام السرقسطي .

ملحق (8)

٩ — القضـــاء

(١) قضاة الاندلس

غرناطة	قرطبة	اشبيلية
أحمد بن عبد الرحمن بن محمد ابن الصقر	أبو بكر بن منظور	أبو بكر بن العربى
أحمد بن محمد بن عمر التميمى	عبد الملك بن مسرة بن خلف	أحمد بن محمد بن عمر التميمى
خلوف بن خلف أبو سعيد	عيسى أبو الاصبغ بن سهل	ابن شبرين
عبد العظيم بن زيد بن يحيى	عيسى بن الملجوم	شريح بن محمد بن شريح
أبو عبدالله بن حسون الكلبى	أبو عبد الله محمد ابن أحمد	عبد الله بن خليفة
عبد الله بن على بن عبد الملك ابن سمجون اللواتى	ابن خلف التجيبى	أبو عبد الله محمد محمد بن داود ابن عطيه
عبد المنعم بن مروان بن عبد الملك	أبو الوليد محمد بن رشد	أبو القاسم بن داود
على بن عبد الرحمن بن سيدابية	محمد بن عبد الرحمن بن ابراهيم ابن الوزان	
على بن محمد بن عذره بن هانىء		أبو القاسم بن منظور
عياض اليحصبى		محمد بن اسماعيل بن عبد الملك
عيسى أبو الاصبغ بن سهل		محمد بن داود بن عطيه بن سعيد
أبو بكر محمد بن أحمد القليعى		
محمد بن عبد الله بن حسن بن حسنونة		
محمد بن على الأزدى		
محمد بن هشام بن أحمد بن موسى بن محمد		
هشام بن احمد بن هشام الملالى		

تابع : قضـــاء الأندلس

شرق الأندلس	الجزيرة الخضراء	بلنسية
محمد بن إبرهيم بن أحمد بن أسود الغساني	أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد المعافري عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن الكتامي عبد الله بن علي بن عبد الملك ابن سمجون	اسماعيل بن مهلهل

مرسية	أشنتمرية الشرق	مالقة
أبو الحسين بن محمد بن سكره عاشر بن محمد بن عاصر أبو علي الصدفي	لب بن عبد الجبار بن عبد الرحمن	الحسين بن عبيد الله بن حسين الكتبي

جيان	المرية	البونت
عبد العظيم بن يزيد الخولاني	أبو الحسن بن أضحى عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن عبد المنعم بن مروان بن عبد الملك	محمد بن عبد العزيز بن سعيد ابن عقال

حصن مرجيق	لاردة	استجة
ابن شبرين	أحمد بن هذيل الانصاري	أحمد بن محمد بن هذيل الانصاري

مالقة	شلب	شاطبة
عبد الرحمن بن قاسم الشعبي	ابن شبرين	عاشر بن محمد بن عاشر أبو بكر محمد بن خلف

ملحق (9)

خريطة توضح الأندلس في عصر ملوك الطوائف (399- 478هـ/1009- 1085م)[1]

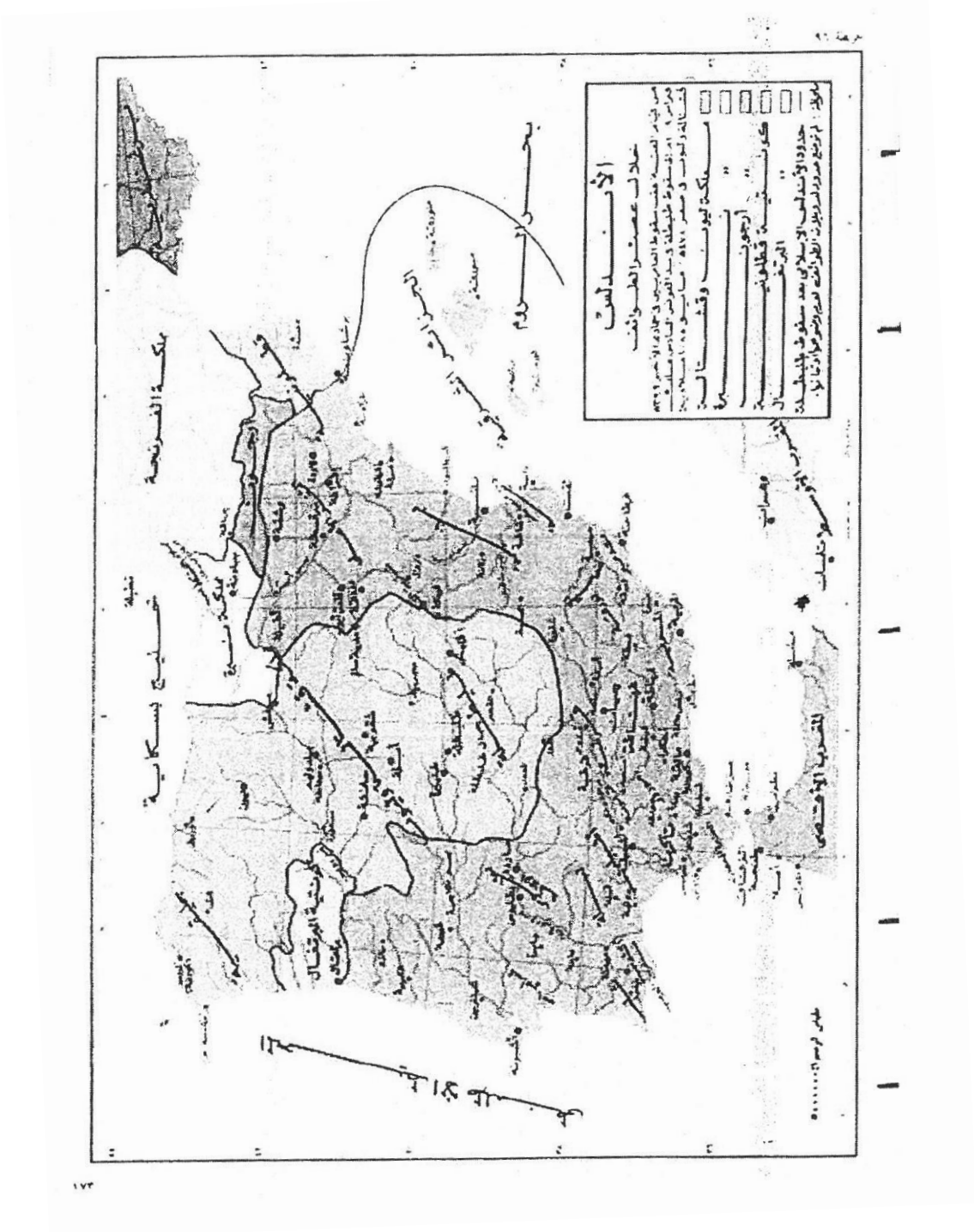

(1) حسين مؤنس : أطلس التاريخ الإسلامي، دار الزهراء، القاهرة، الطبعة الأولى، 1987م، ص173، خريطة رقم 96.

ملحق (10)

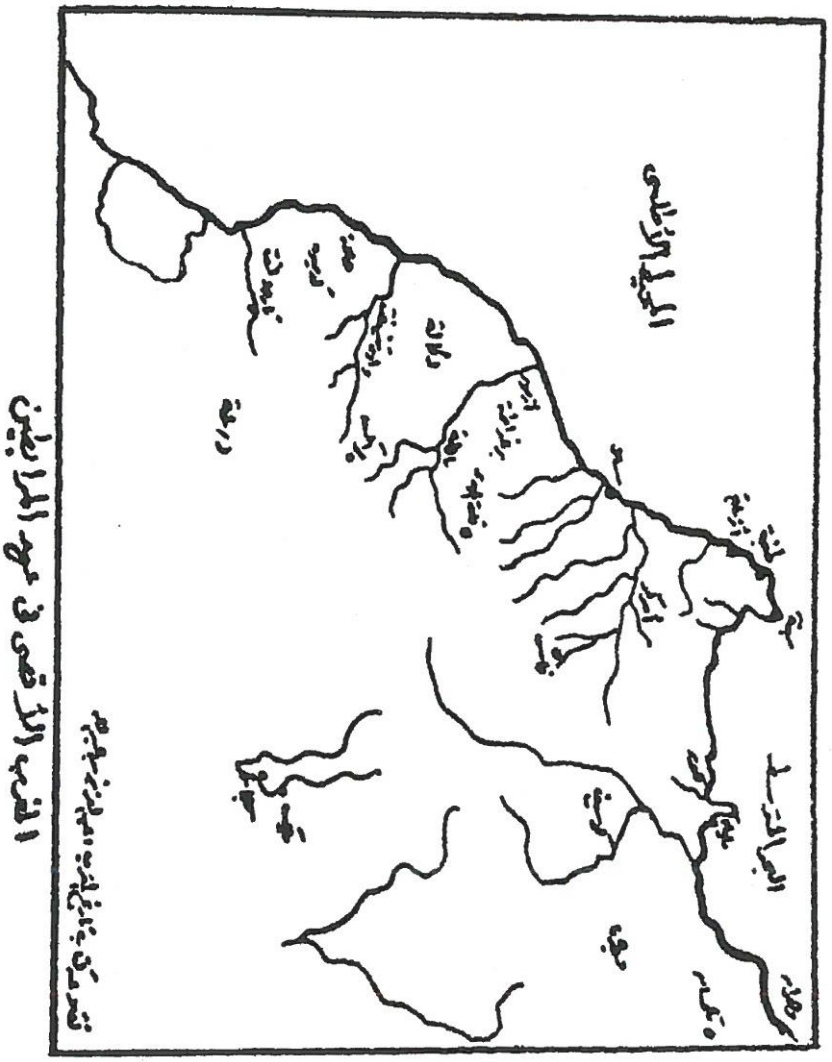

ملحق (11)

نبرة وأرغون
قطلونية
الجزائر الشرقية
دولة المرابطين
الأندلس
في عصر المرابطين
جميع المؤلفة الكتاب . السيد وعصر ابيدال

ملحق (12)

خريطة توضح الأندلس في عصر المرابطين (484- 541هـ/1091- 1146م)[1]

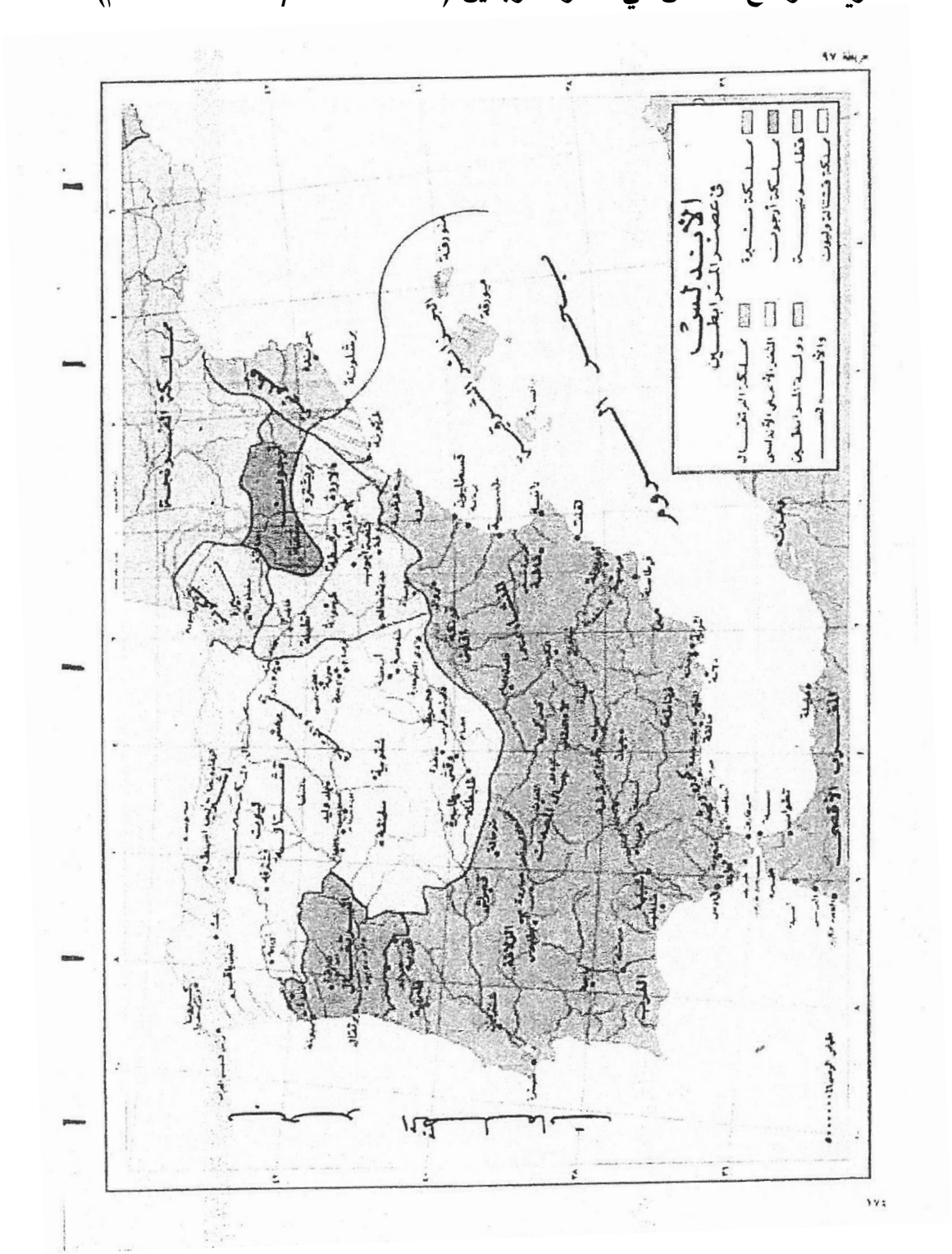

(1) حسين مؤنس : أطلس التاريخ الإسلامي، ص174، خريطة رقم 97.

ملحق (13)